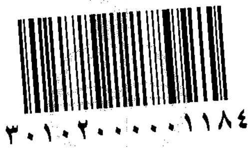
المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
فرع الكتاب والسنة




# الظلم وأثره على الفرد والمجتمع
## في ضوء الكتاب والسنة

رسالة ماجستير

مقدمة من الطالب
دوخي بن زيد بن علي الحارثي

إشراف الأستاذ الدكتور
عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

١٤٠٧ هـ




الله
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار (٤٢) مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء (٤٣) ﴾ . ابراهيم .

وقال صلى الله عليه وسلم :

" من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"

رواه البخارى

## " شكـــر وتقـــديــر "

ان الحمد والشكر لله رب العالمين الذى خلقنا من العدم الى الوجود وأسبغ علينا نعمه ، ويسّر لنا كل عسير ، فلا سهل الا ماجعله سهلا فهو الذى يجعل الصعب سهلا ، له الشكر على آلائه ونعمائه فهو أهل أن يحمد ويشكر .

يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لم يشكر الله من لم يشكر الناس " (١) .

واننى أتقدم بالشكر لصاحب السمو الملكى **الأمير خالد بن عبد الله ابن عبد العزيز** وكيل الحرس الوطنى للمنطقة الغربية الذى سهّل لى اكمال دراستى العليا .

وأتقدم بالشكر أيضا لإستاذى الجليل **الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدى** عميد كلية الدعوة وأصول الدين الذى أشرف على رسالتى هذه وكان يوجهنى التوجيه السليم وآخذ من وقته الشىء الكثير . فجزاه الله خير الجزاء .

كما أتمنى لكل مسئول فى جامعتى ـ جامعة أم القرى ـ التوفيق والنجاح فى أداء مهمتهم التى أولاهم الله إياها لينتشر العلم ويقل الجهل ويعبد الله حق عبادته . فالحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

**دوخى بن زيد الحارثــى**

---

(١) الحديث من رواية أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنظر مسند الامام أحمد تحقيق : احمد شاكر جـ ١٣ ص٢٤٦ . اسناده صحيح .

# المقدمة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون . وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما : ﴿ ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ﴾ (١) وأشهد أن محمدا عبده ورسوله القائل : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . . . . " (٢) .

والقائل : " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا " (٣) اللهم صل و سلم على عبدك ورسولك الهادى البشير والسراج المنير وعلى صحابته الغر الميامين ، الذين كانوا يقولون الحق وبه يعدلون ، ومن اقتفى أثرهم واستنّ بسنّتهم الى يوم الدين .

أما بعد : فلما للظلم من عواقب وخيمة وسبب فى زوال النعم وهلاك الأفراد وسقوط الحكومات واندثار الأمم الماضية بنزول الهلاك من الله عليهم وإبادتهم بأنواع مختلفة من العذاب الدنيوى والأخروى أو سقوطهم وذهابهم شذر مذر على أيدى غيرهم بسبب ظلمهم مثلما حصل فى هذا الزمن الذى أصبحت تياراته تموج بأهله ذات اليمين وذات الشمال وهم على أعمال منحرفة وطرق معوجّة وسبل متفرّقة ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ بل هم يغوصون فى ظلمات

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة باب ٥٥ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم باب ٣ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب العلم باب ٩ ، ٦٧ .

الظلم ويهلكون أفرادًا وجماعات وحكومات ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ .

لما رأيت هذا الأمر الذى استفحل واشتدت وطأته - ولم تكن هناك استجابة كاملة فى الرجوع عن هذا الظلم إلا انه لا سمع ولا طاعة - كان من واجبى أن أسعى حثيثا فى بحث هذا الموضوع واستقصائه وبيان الأمور المهمة التى تهم هذه المجتمعات على اختلافها شعوبا وحكومات ، أفرادا وجماعات ، وقد تريّثت قبل الكتابة فى هذا الموضوع وبحثت لعلّى أجد كتابا حاويا لهذا الموضوع يمكن الرجوع إليه والنظر فى هذا الأمر وما يحتوى من أنواع فى الوقوع فيها الهلاك فى الدنيا والآخرة . فلم أجد الا موضوعات متفرقة بين طيات الكتب لا يرتوى منها الظمآن ، فنزلت الميدان - ميدان العلم - أسوة بزملائى طلبة العلم ، واقتداء بالعلماء الأفاضل الذين خدموا هذا العلم ، والذين هم ورثة الأنبياء كما أخبر بهذا الصادق المصدوق محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإنّ العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إنّ العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما انّما ورّثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " . (١)

---

(١) رواه الترمذى كتاب العلم حديث ٢٦٨٢ وقال ولا نعرف هذا الحديث الا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس هو عندى بمتصل هكذا، حدثنا محمود بن خداش بهذا الاسناد ، وقال : انما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن

===

فوجدت كتاب الله تعالى يغصّ بالآيات البيّنات التى تبيّن الظلم وعواقبه الوخيمة . قال تعالى : ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، ولكل درجات مما عملوا . وماربك بغافل عما يعملون ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وكم قصمنا من قرية وهى ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ فكأيّن من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطّلة وقصر مشيد ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة

---

= = = جميل عن كثير بن قيس عن أبى الدرداء عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا أصح من حديث محمود بن خداش ورأى محمد بن اسماعيل هذا أصح، وروى البخارى طرفا منه فى كتاب العلم ١ .

(١) سورة يونس : آية (١٣) (٢) سورة الكهف : آية (٥٩) .

(٣) سورة الأنعام : آية (١٣١ - ١٣٢) .

(٤) سورة الأنبياء : آية (١١) .

(٥) سورة الحج : آية (٤٥) .

ثم أخذتها وإليّ المصير ﴾ [١] . وقال تعالى : ﴿ وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ [٢] . وقال تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون . ذكرى وما كنا ظالمين ﴾ [٣] .

والسنة المطهرة تندد بالظلم والظلمة فالرسول - صلى الله عليه وسلم بين أن الشرك بالله تعالى ظلم عظيم . فعند ما نزل قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ [٤] وتخوف الصحابة وسألوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقالوا : " أيّنا لا يظلم نفسه يارسول الله ؟ ، أخبرهم صلى الله عليه وسلم أنه الشرك كما أخبر تعالى عن عبده لقمان فى نصحه لابنه ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ [٥] .

والشرك هو أكبر الكبائر وهو الذنب الذى لا يغفر ، وقد ندّد صلى الله عليه وسلم أيضا بما دون الشرك فقال صلى الله عليه وسلم: "أتدرون من المفلس ؟ ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: "انّ المفلس من أمتى ، يأتى يوم القيامة بصلاة ، وصيام ، وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار " . [٦]

---

(١) سورة الحج : آية ( ٤٨ ) . (٢) سورة القصص : آية ( ٥٩ ) .
(٣) " الشعراء : " ( ٢٠٩ ) . (٤) " الأنعام : " ( ٨٢ ) .
(٥) " لقمان : " ( ١٣ ) .
(٦) رواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة كتاب البر والصلة رقم الحديث ٢٥٨١ واللفظ له ، والترمذى : كتاب القيامة ٢ ، وأحمد فى المسند ٢ / ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٧٢ .

وستجد أيها القارئ الكريم الآيات والأحاديث مبثوثة أمامك في الأبواب والفصول والمباحث التى ستمر عليها في صلب رسالتنا هذه، وقد بينا تفاسير وشروح ذلك التماسا من كتب التفاسير وشروحات كتب الحديث، وقمنا بالتعليق على كل ما استطعنا الى ذلك سبيلا.

وكلنا أمل في الله — تعالى — أن يهدينا الصواب ويجنبنا الخطأ والارتياب.

واليك أخي القارئ وصفا للبناء العام للبحث والذى موضوعه (الظلم وأثره على الفرد والمجتمع):

١ — **التمهيد**: وفيه تعريف الظلم.

٢ — **الباب الأول**: رحمة الله تعالى وتنزهه عن الظلم.

**الفصل الأول**: مظاهر عدل الله تعالى وشواهده.

**المبحث الأول**: كمال نزاهته عز وجل عن الظلم.

**المبحث الثاني**: نجاة المتقين والنكال بالظالمين.

**المبحث الثالث**: امهال الظالمين الى يوم القيامة وأخذهم بما يستحقون.

**المبحث الرابع**: عفو الله عن المستضعفين والتائبين بقبول توبتهم.

**المبحث الخامس**: القضاء بين العباد بحضور رسلهم وكتب أعمالهم والحفظة عليهم من الملائكة.

**الفصل الثاني**: طرق التخلص من الظلم:

**المبحث الأول**: الذكر والاستغفار.

اننى عندما أقدم هذه الرسالة التي تأخذ مكانها ضمن غيرها من رسائل طلبة العلم والعلماء لا أدعي أنني قد أشبعت هذا الموضوع من جميع نواحيه ولم أكن لأقول اننى قد استقصيته بل أدليت بدلوى وأخذت ما قد قدّر لى لأننى دائما أرى وأعلم أن الزمن يسير والعمر قصير وأرجو أن أكون قد توصلت الى مافيه الفائدة للجميع والله من وراء القصد . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ،،،

# التمهيد

## - تمهيـــــــد -

### معنى الظلم فى اللغة :

الظلم فى اللغة : مجاوزة الحـد .

والظلم بالضم .

والمصدر الحقيقى : الظلم بالفتح . ظلم يظلم ظلما بالفتح فهوظالـم وظلوم .

وظلمه حقـه وتظلّمه اياه ، وتظلم أحال الظلم عن نفسه ، ومنه شكا مـن ظلمه ، واظلم كافتعل . وانظلم احتمله وظلّمه تظليما : نسبه اليـه .

ومن أمثلة ذلك فى اللغة : ظلم الأرض : حفرها فى غير موضع حفرها .

ظلم البعير : نحره من غير داء .

ظلم الوادى : بلغ الماء موضعالم يكن بلغه من قبل .

ظلم الوطب : سقى منه اللبن قبل أن يروب وتخرج زبدته .

ظلم الحمار الأتان : سفدها وهى حامل . (١)

### الظلم فى الاصطلاح :

وضع الشيء فى غير موضعه الشرعي . (٢)

---

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٤٧ دار الجيل ،وترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ج ٣ ص ١٢٧ - ١٢٨ ، عمدة القارى ج ٦ جزء ١٢ ص ٢٨٣ ، انظر لسان العـرب المجلد ١٢ ص ٣٧٣ ، تاج العروس ج ٨ ص ٣٨٣ ، والقاموس المحيط ج ٤ ص ١٤٧ ، والصحاح في اللغة والعلـوم للجوهرى ج ٢ ص ٦٧ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٥ ص ٩٥ ، وعمـدة القارى ج ٦ جزء ١٢ ص ٢٨٣ .

وقيل : التصرف في ملك الغير بغير اذنه .(١)

قال ابن رجب الحنبلي البغدادي : "الظلم : أن يعاقب بذنوب غيره"(٢) ، وهو مما يدل على أن الله قادر على الظلم ولكن لا يفعله فضلا منه وجودا وكرما واحسانا الى عباده .

وبهذا نكون قد وقفنا على ثلاثة تعاريف :

**الثاني** منها هو : "التصرف في ملك الغير بغير اذنه" وهذا التعريف لا يشمل الا بعض جزئيات الظلم فهو تعريف ناقص .

وأما التعريف **الثالث** وهو : "أن يعاقب بذنوب غيره" فانه لم يشمل ظلم النفس للنفس ولا ظلم الغير للغير . فهذا التعريف ناقص أيضا .

وبهذا يكون التعريف الأكمل للظلم هو التعريف **الأول** وهو :

"وضع الشيء في غير موضعه الشرعي" لكونه يشتمل على جميع أنواع الظلم .

---

(١) تاج العروس ج ٨ ص ٣٨٣ ، وأقرب الموارد في فصح العربية والشوارد ج ٢ ص ٧٣٢ .

(٢) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ص ٢١١ دار المعرفة بيروت .

# الباب الأول

## رحمة الله تعالى وتنزهه عن الظلم

### وفيه فصول

الفصل الأول: مظاهر عدل الله تعالى وشواهده.

الفصل الثاني: طرق التخلص من الظلم.

الفصل الثالث: عقوبة الظلمة

# الباب الأول

## رحمة الله تعالى وتنزهه عن الظلم

خلق الله - جل وعلا - الخلق من العدم الى الوجود ولا ينكر أولوا الألباب ممن نوّر الله بصائرهم وألهمهم رشدهم وهدوا الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أساس خلق أبيهم آدم حيث هو من تراب ثم جاء نسله من ماء مهين - نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسو الله العظام لحما ثم ينشئه خلقا آخر تبارك الله أحسن الخالقين ، ثم يجعل - عز وجل - ثدى الأم له سقاء وحجرها له فراشا ثم يعيش ويترعرع فى هذه الحياة الدنيا ولا يكلف من قبل الله تعالى بأوامر ولا نواهى حتى يصل الى سن البلوغ ، بل تدريب وتعليم ثم يبدأ التكليف ويلزم بأوامر الله والعمل بها والانتهاء عن محارم الله والابتعاد عنها " ألا وأن لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه "(١) * من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد *(٢) تنزه وتقدس عن ظلم أحد هو الذى أوجده على هذه البسيطة لهدف ولغرض لا لأى أمر غيره وهو عبادته - عز وجل - فالكون ومن فيه صغيرا وكبيرا من جميع المخلوقات تحت قهره وسلطانه فهو الذى يحييهم ويرزقهم ويميت كل من انتهى أجله ويجازيه بعمله * كل نفس بما كسبت رهينة *(٣) .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الايمان باب ٣٩ ، ومسلم فى صحيحه كتاب المساقاة باب ١٠٧ واللفظ له ، وابن ماجه في سننه فتن ١٤ ، والدارمى فى سننه بيوع ١ ، وأحمد فى المسند ٤ / ٢٧٠ .

(٢) سورة فصلت : آية (٤٦) .

(٣) سورة المدثر: " (٣٨) .

قال الله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (١) .

وقد أحصى الجميع وعدهم عدّا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا .

وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين ﴾ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون . ﴾ (٢) .

ليس لله - عز وجل - حاجة فى ظلم عباده أو عذابهم لأنهم هم الفقراء إليه الضعفاء المحتاجون له ، وهو الغنى الحميد الذى لا يموت ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣) ، ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ (٤) .

يقول تعالى : ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما ﴾ (٥) أى ليس لله - تعالى - حاجة فى عذاب عباده

---

(١) سورة الذاريات : آية (٥٦ - ٥٨) .
(٢) سورة الأنعام : " (٥٩ - ٦١) .
(٣) " " : " (١٠٣) .
(٤) سورة الأنبياء : " (٢٣) .
(٥) سورة النساء : " (١٤٧) .

اذا أصلحوا العمل وآمنوا به وبرسوله وشكروه على ما أولاهم من النعم ، ودفع عنهم من النقم . أى منفعة له سبحانه فى عذابهم ؟ أيتشفى به من الغيظ ؟ أم يدرك به التأثر ؟ أم يدفع به الضر ويستجلب النفع وهو الغنى عنهم ؟ !

**قال سيد قطب :**

( نعم مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ؟ ان عذابه لجزاء على الجحود والكفران وتهديد لعله يقود الى الشكر والايمان ، انها ليست شهوة التعذيب ولا رغبة التنكيل ولا التذاذ الآلام ولا اظهار البطش والسلطان تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا فمتى اتقيتم بالشكر والايمان فهناك الغفران والرضوان . الى أن قال : اذا كان الخالق المنشىء المنعم المتفضل الغنى عن العالمين يشكر لعباده صلاحهم وإيمانهم وشكرهم وامتنانهم .

اذا كان الخالق المنشىء المنعم الغنى عن العالمين يشكر فماذا ينبغى للعباد المخلوقين المحدثين المغمورين بنعمة الله تجاه الخالق الرازق المنعم المتفضل الكريم ألا إنها اللّمسة الرفيعة العميقة التى ينتفض لها القلب ويخجل ويستجيب ألا انها الاشارة المثيرة الى معالم الطريق الى الله الواهب المنعم الشاكر العليم ) (١) اهـ .

فالمعلوم لدى كل ذى لب سليم وعقل زاك فطن عارف بحقائق الأمور مدرك للأشياء مريضها من سقيمها ، قويها من ضعيفها ،

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ٧٨٦ .

حاكمها من محكومها ، أن هناك قوة عظيمة لاتضادها قوة ، وأن لها الغلبة ، ولها السيطرة ، ولها التصرف فى جميع الأشياء وفى كل الأحوال الا انها قدرة الله التى لايدانيها قوة ، تصمد له تعالى جميع المخلوقات ، ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد ﴾ (١) .

فمادام هذه صفته تعالى فما حاجته تعالى فى ظلم عباده ؟ حاشاه ذلك وتنزه وتقدس عن كل العيوب والنقائص ، فقد حرّم عز وجلّ الظلم على نفسه وهو قادر عليه ، وجعله بين عباده محرّما كما جاء ذلك عنه تعالى فى الحديث القدسى :

عن أبى ذرّ رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن الله ـ تبارك وتعالى ـ أنه قال : " ياعبادى إنى حرّمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا . ياعبادى كلكم ضال الا من هديته فاستهدونى أهدكم . ياعبادى كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عار الا من كسوته فاستكسونى أكسكم . ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم . ياعبادى إنكم لم تبلغوا ضرّى فتضرونى . ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى . ياعبادى لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد على فى ملكى شيئا ـ ياعبادى لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك فى ملكى شيئا . ياعبادى لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا فى

---

(١) سورة الصمد .

صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته مانقص ذلك مما عندى إلاّ كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر . ياعبادى إنّما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إيّاها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلاّ نفسه "(١) .

قال النووى على قوله " إنى حرّمت الظلم على نفسى " : قال العلماء: معناه تقدّست عنه وتعاليت والظلم مستحيل فى حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ كيف يجاوز ـ سبحانه ـ حدّا وليس فوقه من يطيقه ، وكيف يتصرف فى غير ملك والعالم كله فى ملكه وسلطانه وأصل التحريم فى اللغة المنع فسمى تقدّسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع فى أصل عدم الشىء "(٢) .

ولكن القول بأن الظلم مستحيل فى حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ فلا شئ يستحيل عليه ـ عز وجلّ ـ لا ظلم ولا غيره ولكنه ـ جلا وعلا ـ حرّمه على نفسه وجعله بين عباده محرّما .

ان تنزه الله - عز وجل - يظهر واضحا جليا في كتابه الكريم وفي سنة رسوله المطهرة ولا يخالج العقول السليمة من الزيغ والضلال شك في ذلك وفي ذلك يقول الدكتور أحمد الشرباصي : ( ان الله - تبارك وتعالى - هو أحكم الحاكمين وهو أعدل العادلين وهو المنزه عن كل

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر باب ٥٥ .

(٢) النووى على صحيح مسلم ج ٨ جزء ١٦ ص ١٣٢ .

عيب وعن كل نقص ، وعن كل سوء ، وهو - سبحانه - المتصف بالعدل الكامل المطلق ولذلك كان من أسمائه ( العدل ) ومعناه أنه الذى لا يميل به الهوى فيجور في الحكم . وقد ورد في سورة النحل من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ ان الله يأمر بالعدل ﴾ ولا يتصور عاقل أن الله - تعالى - يأمر بالعدل ثم لا يتصف به .) أ هـ [١]

وفي هذا الباب سأتناول مظاهر عدل الله تعالى وشواهده وطرق التخلص من الظلم وعقوبة الظلمة في ثلاثة فصول :

---

( ١ ) كتاب " يسألونك في الدين والحياة " ج ٢ ص ٦٣١ الطبعة الثانية دار الجيل / ١٩٧٧ م .

# الفصل الأول

## مظاهر عدل الله تعالى وشواهده .

وفيه مباحث

المبحث الأول : كمال نزاهته عز وجل عن الظلم .

المبحث الثاني : نجاة المتقين والنكال بالظالمين .

المبحث الثالث : إمهال الظالمين إلى يوم القيامة وأخذهم بما يستحقون .

المبحث الرابع : عفو الله عن المستضعفين والتائبين بقبول توبتهم .

المبحث الخامس : القضاء بين العباد بحضور رسلهم وكتب أعمالهم والحفظة عليهم من الملائكة .

## الفصل الأول

## مظاهر عدل الله تعالى وشواهده

لقد سبق في علم الله - تبارك وتعالى - ماتصلح عليه البشرية في حياتهم الدنيوية ليسودهم التوادد والتلاطف فيلجأ بعضهم الى بعض، ويحتاج بعضهم للآخر، وينتظم سير هذه الحياة على ما أراد الله - عز وجل - ، فأنزل الرحمة التى بها يتراحمون، فيعطف كبيرهم على صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، ويتواضع الأغنياء للفقراء والمحتاجين، ولا تكون هناك أنفة، ولا اعتلاء، ولا ارتفاع لملك واعتزاز بملكه، ولا لأمير وافتخاره بمكانته وسلطانه كلهم من آدم وآدم من تراب، فأصحاب السلطان يهتمون ويعطفون على من أولاهم الله أمرهم واسترعاهم عليهم ويقيمون بين أممهم العدل الذى أمر به رب العزة والجلال .

فالرحمة تتغلغل في القلوب ويحنو الفرد على أخيه وذلك يظهر جلاء في المسلم الذى ذاق حلاوة الايمان ودخل سويداء قلبه، وأيقن بلقاء ربه، كيف لايكون وقد أدبه الاسلام بمبادئه العالية الصافية من كل رذيلة وسفسف، وقوّمه وأنار له طريق الهدى ونوّر بصيرته وأبان له المسالك السوية في هذه الحياة الدنيا وما يمرّ فيها وما يحصل من انحرافات يقصم الله بها الظلمة المنحرفين عن الصراط السوى .

والذين قد نزعت الرحمة من قلوبهم وتعاملوا مع إخوانهم بل ومع البشرية بقسوة قلب وشراهة حيوان مفترس لايعبأ الله بهم في أى مكان هلكوا، فلم يحكموا بما أنزل الله بل ضلوا وأضلوا فحكموا بالأنظمة والقوانين المخالفة للاسلام ونبذوا حكم الله ظهريًا والذى فيه العدل وفيه الحفاظ على حقوق البشرية جمعاء . فكيف بمن كان صاحب عظمة ومكانة، ورئاسة وملك، وسؤدد وعز، وأمر ونهى، وعطاء ومنع، ثم لم يعطف ولم يعدل، بل يظلم هذا ويأكل مال هذا ويعبث فيما

قد تولّى أمره ، فمن كانت هذه صفته فليتذكر عظمة الله وقدرته التـــى ليس فوقهـــا شيء ، ويتذكر ملكوته وسلطانه وهيمنته وأنه صاحب العطاء، وصاحب الملك ، لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، فهو سبحـــانـــه المسيطر على هذا الكون وما فيه له الأسمـــاء الحسنى والصفات العـــلا ومن صفاته التى اتصف بها العدل فالعدل يجعل الناس يسيرون صراطا مستقيما ، لافرق بين قوى وضعيف ، ولا غنى وفقير ، ولا ملك ومملوك ، فالميزان واحـــد ميزان الحق والمساواة وهذا يحصل به ودّ القلـــوب ، وشفاء غلّ الصدور ، والرحمة شفقة يجعلهـــا الله فى قلوب الناس ، بل فى جنس الحيوان بأسره ، فترى الأم تحنو على ولدها ، فترفع الوحـــش رجلها لابنها ليرتوى من ثديها .

فالوالدان يرحمان أبناءهما ويعطفان عليهم ، وكذا الأخـــوة والأقارب أخوة النسب وكذا بقية الأرحام ، هذه غريزة أوجدهـــا اللـــه — جل وعلا — ، وهناك أخوة الاسلام ﴿ انما المؤمنون أخوة ﴾ فهـــى الأخوة الصادقة التى يربطهـــا رباط الاسلام والتى ليس أقوى ولا أوثـــق منهـــا شيء .

ان هذه رحمة واحدة أنزلهـــا الله — تعالى — فى هذه الحياة الدنيا لتتراحم بهـــا المخلوقات . وادخر — سبحانه — تسعاً وتسعين رحمة يرحم بهـــا عباده يوم القيامة كما ثبت فى الحديث عن أبى هريرة — رضـــى الله عنه — قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقـــول : " ان الله خلق الرحمة يوم خلقهـــا مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعـــا وتسعين رحمة ، وأرسل فى خلقـــه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار" (١)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق ١٩ ، ومسلم في صحيحه كتاب التوبة ١٨ - ٢١ ، والترمذى كتاب الدعوات ٩٩ ، وابن ماجه كتاب الزهد ٣٣ ، والدارمى : كتاب الرقاق ٦٩ ، وأحمد فى المسند ٢ / ٤٣٣ .

# المبحث الأول

## كمال نزاهته عز وجل عن الظلم

# المبحث الأول

## كمال نزاهته - عز وجل - عن الظلم

قال الله تعالى :

﴿ ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ (١)

أي لا يعاقب أحدا بدون ذنب ولا يجازي خلقه بما لا يستحقون ولكن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم بالمعاصي والكفر بمخالفتهم لأمر الله - تعالى - .

قال أبو السعود :

( أن ما حكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لأمر مستند الى الله - عز وجل - من خلقهم مو فى المشاعر ونحو ذلك ، بل إنما هو من قبلهم أى لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الأولوية والأخروية من مبادىء ادراكاتهم وأسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك بغير اخلال بشىء أصلا ) (٢) اهـ .

---

(١) سورة يونس : آية (٤٤) .

(٢) تفسير أبى السعود : ص ١٤٩ الجزء الرابع .

وقال تعالى :

﴿ ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾(١) .

قال ابن كثير :

( يقول الله مخبرا أنه لايظلم أحدا من خلقه يوم القيامة مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة بل يوفيها له ويضاعفها له إن كانت حسنة كما قال تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ﴾ الآية ، وقال تعالى مخبرا عن لقمان أنه قال : ﴿ يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ﴾(٢) .

قال النسفى :

(﴿ ان الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ قال : هى النملة الصغيرة . وعن ابن عباس — رضى الله عنهما أنه أدخل يده فى التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة ، وقيل جزء من أجزاء الهباء فى الكوة ذرة )(٣) اهـ .

وقال الفخر الرازى :

( واعلم أن المراد من الآية أنه تعالى لايظلم قليلا ولا كثيرا ، ولكن الكلام خرج على أصغر ما يتعارفه الناس يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ان الله لايظلم الناس شيئا ﴾ .(٤) اهـ .

---

(١) سورة النساء : آية (٤٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٤٩٧ .

(٣) تفسير النسفى : الجزء ١ ص ٢٢٦ .

(٤) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب المجلد الخامس الجزء العاشر ص ١٠٥ .

فليعلم من هذا أن الله جلّت قدرته وتعالت وتقدست أسماؤه وصفاته قد تنزه عن ظلم عباده فلا حاجة له فى ظلم أحد ، بل من أحسن فله الحسنى وزيادة ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

فالظلم والحسد والحقد لايحصل إلا بين الناس لتفاوتهم فى الأمور المختلفة فهذا يحسد هذا على منصب وهذا يحسد هذا على مال وهكذا .

ويغلب حصول الحسد والحقد من أسافل الناس وسقطهم كما يغلب حصول الظلم من أهل القوة والجبروت الذين بعدوا عن الدين وتعاليمه وقيمه ومبادئه ، فبعدت بهم الشقة عن ذلك لجهلهم ولانغماسهم فى الدنيا وحطامها فتنافسوها حتى حصل ما حصل من ظلم وجور حيث نأى بهم الهوى والشيطان عن اتباع ما ارتضاه لهم الرحمن ، وهذا سيؤدى بهم الى الهلاك والدمار مثلما حصل لمن قبلهم من الأمم .

وحاشاه ـ عز وجل ـ أن يظلم أحدا ، فالجميع يعيش من رزقه ويحيون ويموتون بأمره فهو المتصرف فى جميع الأمور لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، وكل شئ عنده بمقدار ، وصدق حيث يقول :

﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (١) .

---

(١) سورة الكهف : آية (٤٩) .

ويقول الله تعالى: ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ﴾ (١) .

هذه آيات الله التنزيلية التي تتلى على محمد عبد الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بيّن فيها المولى - عز وجل - بأنه لا يريد لعباده الا الخير ، وأنه لا يجور على أحد فهو الحكم العدل لا يظلم أحدا ، بل الناس أنفسهم يظلمون بارتكابهم ما حرّم ربهم عليهم .

قال أبو السعود :

( ﴿ وما الله يريد ظلما للعالمين ﴾ تذييل مقرر لمضمون ماقبله على أبلغ وجه وآكده فإن تنكير الظلم وتوجيه النفي الى إرادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والإلتفات الى الاسم الجليل إشعارا بعلة الحكم وبيانا لكمال نزاهته - عز وجل - عن الظلم بما لا مزيد عليه . أي ما يريد فردا من أفراد العالمين في وقت من الأوقات فضلا عن أن يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما أن الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبات وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع إيماء الى التعريض بأن الكفرة هم الظالمون ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ (٢)

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٠٨) .

(٢) تفسير أبي السعود : المجلد الأول الجزء الثاني ص ٧٠ .

قال الله تعالى : ﴿ مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ (١) .

الله - سبحانه - لا يعاقب عباده بغير ذنب ، ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام ، ولا يريد الظلم لأحد منهم . فحاشاه أن يظلم مادام لا يريده لعباده ، فليحذر العبد من ظلم نفسه حتى لا يوقعها في الهلاك فمن عدل الله - تعالى - وعدم ظلمه لأحد مجازاة كل عبد من عبيده على صنيعه بما يستحق . إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ولا يستوى عند الله من يصبر نفسه على طاعة الله - تعالى - والعمل بما جاء به رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن ربه متبعا لا مبتدعا مقتديا لا منحرفا ، صابرا نفسه في هذه الحياة الدنيا وما فيها من عقبات ومن أشواك يريد ما عند الله والدار الآخرة غير راكن الى الظلمة . ولا من قد غفل قلبه عن ذكر الله - تعالى - واتبع هواه وركن الى الدنيا وزخرفها .

إن أعداء الله الظلمة لا يزالون يتربصون بأولياء الله المؤمنين الدوائر ﴿ عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٢) ، فسبحان من لا يخفى عليه خافية وهو للظالمين بالمرصاد .

فقد بيّن تعالى في الآية التي هي مدار بحثنا ماكان من الظلمة مع قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء بعدهم . فقد طلب قوم نوح منه طرد

---

(١) سورة غافر : آية (٣١) .

(٢) سورة الفتح : آية (٦) .

المؤمنين وأنه لم يمنعهم من اتباعه الا أولئك الذين يرون بزعمهم أنهم أراذل الناس فقال تعالى مخبرا عنهم : * أنؤمن لك واتبعك الأرذلون * ، وقوله تعالى عنهم : * مانراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادئ الرأى * ، وقال تعالى مخبرا عن رد نوح -عليه السلام- * وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين * وقوله : * وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنّى أراكم قوما تجهلون * .

ويقول الله تعالى :

* ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولى ولا نصير * (١) .

الله - جل شأنه وتعالى وتقدست أسماؤه وصفاته - له الحكمة البالغة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فلو أراد - سبحانه - لجعل الناس كلهم على الهدى ، ولو شاء لجعلهم على الضلالة ، ولكنه - تعالى - جعل الناس فريقين فهدى من شاء الى الحق وأضل من شاء عنه ، وهذا بمشيئته الأزلية وما سبق فى علمه - تعالى- بمن سيطيع ومن سيحيد ويعصى .

قال الشوكانى : * ولو شاء لجعلهم أمة واحدة * قال الضحاك : أهل دين واحد اما على هدى واما على ضلالة ولكنهم افترقوا على أديان مختلفة بالمشيئة الأزلية وهو معنى قوله : * ولكن يدخل من يشاء فى رحمته * فى الدين الحق وهو الاسلام .

* والظالمون مالهم من ولى ولا نصير * أى الظالمون مالهم من ولى يدفع عنهم العذاب ولا نصير ينصرهم فى ذلك المقام ) (٢) اهـ

نعم ان الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم ما حرم ربهم عليهم فى هذه الحياة الدنيا سيلقون جزاءهم يوم القيامة ، يوم

---

(١) سورة الشورى : آية (٨) .

(٢) فتح القدير : ج ٤ ص ٥٢٥ .

الفصل بين الخلق ، يوم ينجى الله المؤمنين ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته ، ويخزى الظالمين الكافرين به - تعالى - ، يقول تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ (١) .

ان الله - عز وجل - رحيم بعباده جميعا ولكنه مع رحمته عادل يجازى كل عبد بعمله فى الدنيا إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وقد سبقت رحمته غضبه وله مائة رحمة أنزل واحدة فى الدنيا وادخر باقى المائة يوم القيامة كما ثبت فى الحديث عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة . وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المسلم بكل الذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار " (٢) .

وعن سلمان قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : " إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها فى الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة

---

(١) سورة محمد : آية (١١) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق / ١٩ حديث رقم ٦٤٦٩ ، ومسلم فى صحيحه التوبة ١٨ ، ٢١ ، والترمذى كتاب الدعوات ٩٩ ، وابن ماجه كتاب الزهد ٣٥ ، والدارمى كتاب الرقاق ٦٩ ، وأحمد فى المسند ٢ / ٤٣٣ .

على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة " . (١)

قال ابن حجر في هذا الحديث الأول : ( اشتمل على الوعد والوعيد المقتضيين للرجاء والخوف فمن علم أن من صفات الله - تعالى - الرحمة لمن أراد أن يرحمه والانتقام لمن أراد أن ينتقم منه ، لا يأمن انتقامه من يرجو رحمته ، ولا ييأس من رحمته من يخاف انتقامه ، وذلك باعث على مجانبة السيئة ولو كانت صغيرة وملازمة الطاعة ولو كانت قليلة .

**قيل** : في الجملة الأولى نوع اشكال فإن الجنة لم تخلق للكافر ولا طمع له فيها فغير مستبعد أن يطمع في الجنة من لا يعتقد كفر نفسه فيشكل ترتب الجواب على ما قبله ، **وأجيب** : بأن هذه الكلمة سيقت لترغيب المؤمن في سعة رحمة الله التي لو علمها الكافر الذي كتب عليه أنه لاحظ له في الرحمة لتطاول اليها ولم ييأس منها .

**ثم قال** : واذا كان ذلك حال الكافر فكيف لا يطمع فيها المؤمن الذي هداه الله للإيمان ؟ . ) (٢) اهـ

اذا كان الكافر يرى من رحمة الله - تعالى - ما يجعله يطمع في ذلك ودخوله الجنة في اليوم الذي يرى فيه الجميع أن لا منجا ولا ملتجأ من الله إلا إليه ، فأولى أن يطمع في ذلك المؤمن ، وكل يعترف بما قدم في حياته ، الكافر يود لو يرجع الى الدنيا ليعمل

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة ٢١ " سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه " .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري : مجلد ١١ كتاب الرقاق ص ٣٠١ .

صالحا غير الذى كان يعمل ، والمؤمن يود لو ازداد من الصالحات لترتفع درجته ، ولكن رحمة الله - تعالى - قريبة من المؤمنين فيقول تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وماألتناهم من عملهم من شىء كل امرىء بما كسب رهين ﴾ (١) .

هذا فى حق الطائعين المتمثلين لأمر الله - تعالى - . وأما الذين لامولى لهم ولا نصير الذين ظلموا أنفسهم فى حياتهم الدنيا بكفرهم وضلالهم فيقول الله فى حقهم : ﴿ وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ (٢) .

إن هذا هو العدل الذى لايجاريه عدل فكل يُحاسب ويجازى على ما قدم ولا يظلم الله أحدا من عباده بل يقرر - سبحانه - يوم القيامة العباد بما عملوا : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٣) .

فلا حجة لأحد . الكل يعترف بما فى كتابه وما سجّل له وما سجّل عليه ، وهنا تظهر العدالة الربانية الحقّة .

---

(١) سورة الطور : آية (٢١) .

(٢) سورة الطور : آية (٤٧) .

(٣) سورة الاسراء: آية (١٣ - ١٥) .

ويقول تعالى :

﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله ان الله لايحب الظالمين ﴾ (١) .

( هو تحريك لمشاعر أولئك الذين بغى عليهم أهل البغى أن يأخذوا بحقهم ، وأنه إذا كان العفو سنّة كريمة وعملا مبرورا ، فانه لايكون كذلك حتى يجىء عن قدرة على من بغى ، فيكون العفو هنا عن فضل وإحسان ممن بغى عليه ، الأمر الذى يرى منه الباغى أن هناك يدا قادرة على أن تقطع هذه اليد التى بغت ، فلا يتمادى بعد هذا فى بغيه ، بل ينزجر ويندحر ، ولا يطل برأسه من جحره بعد هذا أبدا .

قال تعالى : ﴿ فمن عفى وأصلح فأجره على الله ﴾ : إشارة الى الأخذ بما هو أولى من جزاء السيئة بسيئة مثلها ، وهو العفو عن المسىء وذلك بعد القدرة عليه ، ووقوعه فى يد من بغى عليه ، فإن العفو مع القدرة - كما قلنا - هو عقوبة للمعتدى ، ووقعها على النفوس الحيّة أقسى وأمرّ من كل عقوبة ) (٢) .

ان من عدل الله أن شرع القصاص ومن رحمته أن ندب الى الفضل وهو العفو كما هو فى الآية الكريمة ، فهو - جل وعلا - لا يحب

---

(١) سورة الشورى : آية (٤٠) .

(٢) التفسير القرآنى للقرآن : مجلد ٥ جزء ٢٥ ص ٧٧ .

الظالمين أى المعتدين بالسيئات على الآخرين لذا ندّد بهم وأثبت حق المعتدى عليهم فقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليهم بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (١) .

**وقال تعالى** : ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ (٢) .

وقد ندب ـ سبحانه ـ الى العفو لرحمته بعباده ، فقال تعالى : ﴿ فمن عفى وأصلح فأجره على الله ﴾ .

**وقال تعالى** : ﴿ والجروح قصاص فمن تصدّق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٣) .

وقد أعقب المولى ـ عز وجل ـ بعد الآية التى نحن بصددها قوله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ ولمن صبر وغفر انّ ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (٤) .

فبيّن تعالى رفع الظلم عمّن ظلم ونصرة المظلوم من الظالم فالرد بالمثل من حق المظلوم وله التصرف فى ذلك ولا سبيل عليه ، إنما السبيل على من يظلم الناس فى دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم ،

---

(١) سورة البقرة : آية (١٩٤) .

(٢) سورة النحل : آية (١٢٦) .

(٣) سورة المائدة : آية (٤٥) .

(٤) سورة الشورى : آية (٤٣) .

فبعدل الله - تعالى - وإنصافه يحفظ الحقوق وقد توعّد الظلمة بالعذاب الأليم : الشديد الموجع . وهذا من تمام عدله ورحمته بعباده حتى لايبغى أحد على أحد ولا يظلم أحد أحدا .

قال الثعالبى : ( قال ابن عطية : سمّى الجزاء باسم الابتداء وإن لم يكن سيئة لتشابههما فى الصورة . )(1)

---

(1) جواهر الحسان فى تفسير القرآن : ج ٤ ص ١١٤ .

# المبحث الثاني

## نجاة المتقين .. والنكال بالظالمين

## المبحث الثاني

## " نجاة المتقين والنكال بالظالمين "

يقول الله تعالى : ﴿ أولا يذكر الانسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيّهم أشدّ على الرحمن عتيا ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴿ وإن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيّا ﴿ ثم ننجّي الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جثيّا ﴾ .(١)

يذّكر المولى -عز وجل- عباده المنكرين للبعث والاعادة بعد أن صاروا رميما ببدء خلقهم حيث لم يكونوا شيئا ﴿ أولم ير الانسان أنّا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

ياله من ظلم عظيم ! كيف ترى الحقائق واضحة ثم يكفر بها الانسان ، ولكن المولى -عز وجل- لم يكن ليعذب أحدا بذنب آخر كما قال تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وقد جاء هذا في خمسة مواضع في القرآن الكريم .(٢) وهذا من عدله -تعالى- وتنزهه عن الظلم الذي حرّمه على نفسه ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

---

(١) سورة مريم : آية (٦٧ ، ٧٢) .

(٢) سورة الأنعام : آية (١٦٤) ، والاسراء : آية (١٥) ، وفاطر : آية (١٨) ، والزمر : آية (٧) ، والنجم : آية (٣٨) .

فعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " قال الله كذّبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك . أما تكذيبه ايّاى أن يقول انى لن أعيده كما بدأته ، وأما شتمه ايّاى أن يقول اتخذ الله ولدا ، وأنا الصمد الذى لم ألد ولم أولد ولم يكن لى كفوا أحد " . (١)

ويقسم المولى - عز وجل - بأنه لا بد من حشر جميع الخلائق ومحاسبتهم ومجازاة كل بعمله فعباده المتقون ينجيهم - عز وعلا - من عذابه ويدخلهم جنته ﴿ جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ أى تفضيلا من الله - تعالى - بسبب أعمالهم الطيبة حيث استعدوا فى دار الدنيا وزرعوا زرعا وجدوا حصاده طيبا يانعا فى الآخرة ، وأما من خبث زرعهم فلم ينتج ولم يخرج إلا خبثا ، فهؤلاء الظلمة الذين فرّطوا فى جنب الله مأواهم النار وبئس القرار ﴿ جزاء وفاقا ﴾ .

قال ابن كثير :

﴿ ثم ننجى الذين اتقوا ﴾ أى اذا مرّ الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصى بحسبهم نجّى الله - تعالى - المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط وسرعتهم بقدر أعمالهم التى كانت فى الدنيا ثم يشفعون فى أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا قد أكلتهم النار إلا دارات وجوههم

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير سورة الاخلاص ، وله أطراف ٣١٩٣ ، ٤٩٧٤ ، ٤٩٧٥ . والنسائى : جنائز ١١٧ ، وأحمد فى المسند : ٢/٣١٧ ، ٣٥٠ .

وهى مواضع السجود وإخراجهم إيّاهم من النار بحسب مافى قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذى يليه حتى يخرجون من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر : لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيرا قطّ ولا يبقى فى النار إلا من وجب عليه الخلود ). (١) اهـ .

( عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما خلقوا ، ثم قرأ : كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعدا علينا إنّا كنّا فاعلين ، وأوّل من يكسى من الخلائق إبراهيم ، ويؤخذ من أصحابى برجال ذات اليمين وذات الشمال ، فأقول يارب أصحابى فيقال : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح : إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ) . (٢)

وعن أبى هريرة وعن أبى سعيد الخدرى قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : " يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له : ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة حديث رقم ٢٤٢٣ وقال حسن صحيح .

قال : فيقول لا ، فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني "(١) .

هذا جزاء المفرطين في طاعة الله - تعالى - يعرفون بجرائمهم ويؤخذ بهم ذات الشمال ، ويذكرهم المولى - عز وجل - بما قد أنعم به عليهم من نعمة السمع والبصر والمال والولد وتسخير الانعام له وطوّع له الأرض لينعم من خيراتها ويسعى عليها ، وجعل له السلطة وما إلى ذلك ومع هذا فقد أنكر لقاء الله - تعالى - ومحاسبته حيث قد افترّ بالدنيا وزخرفها وضيّع وقته فيما لا يرضى الله وحتى اخترمته المنيّة ، فالله ينساه أي يتركه - تعالى - جزاء على ما حصل منه ، وأما أصحاب الأعمال الطيبة فيؤخذ بهم ذات اليمين ويحاسبون حسابا يسيرا ، ويظفرون بجزاء موفورا ، بتنعمهم في الجنة التي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) .

هكذا يتجلى عدل الله - تعالى - وعدم ظلمه لعباده في الآيات البينات وأحاديث رسوله - صلى الله عليه وسلم - الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .

---

(١) رواه الترمذى كتاب صفة القيامة حديث رقم ٢٤٢٨ وقال حديث صحيح غريب .

ويقول الله تعالى : ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ (١)

اذا كانت حكمة الله — تعالى — تقتضى الصلاح لا الفساد ، فلا حاجة له — سبحانه — فى هلاك أحد وهو سائر على مراد الله — تعالى — انما يحيق العذاب والنكال بأهله المفسدين فى الأرض .

قال تعالى : ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون ﴾ (٢) .

فلا يحل ولا يقع العذاب الا بالظالمين أما الفريق الآخر وهم الملتزمون بأوامر الله — تعالى — المنقادون لما جاء به رسل الله — تعالى — فهم الناجون الفائزون .

قال ابن الجوزى : ( وفى قوله تعالى : ﴿ وأهلها مصلحون ﴾ ثلاثة أقوال :

(١) ينتصف بعضها من بعض رواه قيس بن أبى حازم عن جرير . قال أبو جعفر الطبرى : فيكون المعنى لايهلكهم اذا تناصفوا وإن كانوا مشركين ، وإنما يهلكهم اذا تظالموا .

(٢) مصلحون لأعمالهم ، متمسكون بالطاعة ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .

(٣) مؤمنون ، قاله مقاتل . ) (٣)

وأقول : كل هذه الأقوال محتملة .

---

(١) سورة هود : آية (١١٧) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٤٧) .

(٣) زاد المسير ج ١٢ ص ٨٧ دار المعرفة — بيروت — لبنان .

وقال سيد قطب :

( ثم يعود السياق الى تكملة التعليق والتعقيب على مصارع القرى والقرون فيشير من طرف خفى الى أنه لو كان فى هذه القرون أو بقية يستبقون لأنفسهم الخير عند الله فينهون عن الفساد فى الأرض ، ويصدون الظالمين عن الظلم ، ما أخذ تلك القرى بعذاب الاستئصال الذى حلّ بهم ، فان الله لا يأخذ القرى بظلم اذا كان أهلها مصلحين ، أى اذا كان للمصلحين من أهلها قدرة يصدون بها الظلم والفساد ، إنما كان فى هذه القرى قلة من المؤمنين لانفوذ لهم ولا قوة ، فأنجاهم الله ، وكان فيها كثرة من المترفين وأتباعهم والخانعين لهم ، فأهلك القرى بأهلها الظالمين ) (١) .

لهذا كان قوله تعالى : ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ (٢) .

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٤ ص١٩٣٢ .

(٢) سورة هود : آية ١١٦ .

وقال الله تعالى :

﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ﴾ (١) .

نعم لا شك ولا ريب أن القرآن الكريم شفاء للقلوب وللأبدان وللنفوس كيف لا يكون كذلك وهو كلام ربّ العالمين الذى ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٢) انه شفاء من جميع الأمراض حسية كانت أو معنوية ، فبتلاوته بتدبر وتمعن وتنفيذ ما جاء فيه بتحليل حلاله وتحريم حرامه يهدأ الانسان بانشراح صدره وذهاب وساوس الشيطان ونزغاته . يقول تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾ (٣) . بهذا يذهب ما عند الانسان من توهمات ، ومن القلق وجميع الأمراض والاسقام ، وكذا يزول ويذهب ما هناك من حقد وحسد وطمع وهوى وظلم وغير ذلك مما لا يرضاه الله تعالى . انه الكتاب المهيمن على جميع الكتب فهو رحمة للمؤمنين الذين عرفوا قدره وأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وحجة على الظالمين لا يزيدهم الا خسرانا وعمى ، قال تعالى : ﴿ قل هو

---

(١) سورة الاسراء : آية (٨٢) .

(٢) سورة فصلت : آية (٤٢) .

(٣) سورة الناس .

للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ (١) ، فهذه خسارة لا تعادلها خسارة فليست خسارة مال فيكون لها عوض بل خسارة الدين ، الذى خلق الله الانسان من أجله وأن يتعبد به ربه ، وأرسل اليه الرسل وأنزل معهم الكتب ، فمن أطاع وامتثل عمّته رحمة أرحم الراحمين ، ومن جحد وكذب باء بالخسران المبين .

قال الشوكانى : ( اختلف أهل العلم فى معنى كونه شفاء على قولين :

**القول الأول** : أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه .

**القول الثانى** : أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك. (٢)

ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز ، أو من باب حمل المشترك على معنيه ، ثم ذكر ـ سبحانه ـ أنه رحمة للمؤمنين لما فيه من العلوم النافعة المشتملة على مافيه صلاح الدين والدنيا ولما فى تلاوته وتدبره من الأجر العظيم الذى يكون سببا لرحمة الله ـ سبحانه ـ ومغفرته ورضوانه ومثل هذه الآية قوله تعالى :

---

(١) سورة فصلت : آية (٤٤) .

(٢) الرقى والتعوذ لاتكون الا من القرآن الكريم أو ماثبت فى السنة المطهرة ولا يكون بخلاف ذلك من الشعوذة والتفتفة ، والحروز وما يعمله المشعوذون والدجالون من السحرة وغيرهم ويأكلون أموال الناس بالباطل ويضيعون عليهم دينهم .

* قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى * ، ثم لما ذكر - سبحانه - ما فى القرآن من المنفعة لعباده المؤمنين ذكر ما فيه لمن عداهم من المضرة عليهم .

* ولا يزيد الظالمين الا خسارا * أى ولا يزيد القرآن كله أو بعض منه الظالمين الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك والارتياب موضع اليقين والاطمئنان * الا خسارا * أى : هلاكا ، لأنّ سماع القرآن يغيظهم ويحنقهم ويدعوهم الى زيادة ارتكاب القبائح تمردا وعنادا ، فعند ذلك يهلكون . ) اهـ (١)

انّ من رحمة الله - تعالى - وعدله أن أنزل على هذه الأمة هذا الكتاب العظيم الذى هو كلامه - عز وجل - منه نزل واليه يعود وجعل فيه الشفاء فمن أخذ به وعمل أخذ بحظ وافر وحصل له الشفاء ومن تركه ولم يأخذه ولم يعمل به هلك وخسر وهذا من تمام العدل فهو يجازى كلا بعمله ويكتب له السعادة أو الخسران على سعيه .

قال تعالى : * واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون *

---

(١) فتح القدير : جزء ٣ ص ٢٥٣ .

وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرين * (١) .

فكيف لا يقوى الحق وأهله والله ينزل من القرآن ما هو شفاء لما في الصدور من الشك والريب والزيغ وسبب الرحمة لمن آمن به والتزمه قولا وعملا واعتقادا ؟ وكيف لا يهبط ويزهق الباطل وأهله الظلمة الذين جعل الله القرآن عليهم عمى لتركهم الاهتداء به وازديادهم في التكذيب والشك والارتياب .

ان الهلاك والدمار والعذاب لا يحل ولا يقع الا بالظالمين وأعوانهم لتنكبهم صراط الله المستقيم واعراضهم عن هدى القرآن الذى فيه النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة قال الله تعالى : * قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها * (٢) .

ويقول الله تعالى :

* وما تشاءون الا أن يشاء الله انّ الله كان عليما حكيما *

---

(١) سورة التوبة : آية ( ١٢٤ - ١٢٥ ) .

(٢) سورة الأنعام : آية ( ١٠٤ ) .

يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذابا أليما ﴾ .[1]

إن الهداية بيد الله - تعالى - يهدى من يشاء ويضل من يشاء فلا يستطيع أحد أن يهدى نفسه ولا يجلب لها نفعا إلا بمشيئة الله - تعالى - فهو العليم بمن يستحق الهداية فييسرها له وييسره لها بعد تعييض الأسباب ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ﴿ ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ﴾ .[3]

وقال تعالى : ﴿ وإن الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ﴾ .[4]

إنّ من هدي الى صراط مستقيم وقام بما ألزمه الله من الهدى والنور والتقى وابتعد عن محارم الله تعالى وحماه ولم يقع فى شىء مما حرّم عليه وصبر على هذه الحياة الدنيا وما فيها من أشواك ومن مصائب ومن بلاوى ومصائب وعلم أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فان الله - جل وعلا - يدخله فى رحمته بفضله بمشيئته وإرادته لأنه

---

(١) سورة الانسان : آية (٣١) .

(٢) سورة الزمر : آية (٢٣) .

(٣) سورة الروم : آية (٥٣) ، وسورة النمل : آية (٨١) .

(٤) سورة الحج : آية (٥٤) .

ـ تعالى ـ هو الذى يسر له هذا الطريق وهذا المسلك وجنّبه طريق الشر والغواية .

أما من عميت بصيرته وضل وغوى وتنكب صراط الله المستقيم وطريق المنعم عليهم ، وسلك طريق المغضوب عليهم والضالين ، فهذا ومن سلك طريقه ونهج منهجه من أعوانه وأمثاله الظلمة أعد الله لهم عذابا أليما أى موجعا جزاء على تعديهم على محارم الله ـ تعالى ـ وعدم مبالاتهم بما كلفوا به فى هذه الحياة الدنيا التى ما مثلها الا كمثل مسافر استظل تحت شجرة ثم ذهب وتركها ، أما دار الخلد فهى الآخرة . يقول تعالى : ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ (٢) .

إن لكلٍّ جزاء وهذا من عدل الله تعالى ولا يستوى هؤلاء وهؤلاء قال تعالى: ﴿ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ (٣) . نعم لا يستوى الظلمة العصاة ولا المطيعون التقاة كل

---

(١) سورة التوبة : آية (٦٨) .

(٢) سورة التوبة : آية (٧٢) .

(٣) سورة الحشر : آية (٢٠) .

له شرعة ومنهاجا ، وفى الآخرة له مستقر جزاءا وفاقا .

يقول سيد قطب عند ذكر آية الحشر :

( لا يستويان طبيعة وحالا ، ولا طريقة وسلوكا ، ولا وجهة ولا مصيرا ، فهما على مفرق طريقين لا يلتقيان أبدا فى طريق ، ولا يلتقيان أبدا فى سمة ، ولا يلتقيان أبدا فى خطة ، ولا يلتقيان أبدا فى سياسة ولا يلتقيان أبدا فى صف واحد فى دنيا ولا آخرة ...

﴿ أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ ، ثم يثبت مصير أهل الجنة ويدع مصير أهل النار مسكوتا عنه . معروفا . وكأنه ضائع لا يعنى به التعبير ) (١) اهـ

اننا مهما بحثنا فى كتاب الله الكريم أو فى سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عدل الله ـ تبارك وتعالى ـ وعن آثار رحمته بعباده ولطفه بهم فستجد ذلك فى أماكن كثيرة ومواضع متعددة ، وإذا نظرنا فى هذا الكون وما به من مخلوقات فإن ذلك يعيش ويستقر فى كنف وفى رزق الله يقول الله تعالى : ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ﴾ (٢) .

ثم من عدله ـ تعالى ـ أن بعث فى كل أمة من الأمم رسولا يبين لهم ما يصلحون به فى هذه الحياة الدنيا وما تستقر عليه أحوالهم وما يكون به كسب أرزاقهم ، وما يكون فيه حفظ أنفسهم وأموالهم

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٥٣١ .

(٢) سورة هود : آية (٦) .

وأعراضهم . يقول تعالى : ﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾(١) .

يقول تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾(٢) .

فلا حكم أفضل من حكمه ولا عدل تستقيم وتصلح عليه البشرية أعلى من عدله – جل وعلا – فمن لطفه ورحمته بمخلوقاته جمعاء أنه عندما خلقها لم يتركها سدى بل ضبطها بضابط الرسالة والكتب المنزلة وأبان لهم ما فيه سعادتهم الدينية والدنيوية فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد .

---

(١) سورة فاطر : آية (٢٦) .
(٢) سورة النحل : آية (٣٦) .

# المبحث الثالث

## إمهال الظالمين إلى يوم القيامة وأخذهم بما يستحقون .

## المبحث الثالث

## " امهال الظالمين الى يوم القيامة وأخذهم بما يستحقون

قال الله تعالى : ﴿ ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار * مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء * وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال * وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال ﴾ (١) .

يخبر المولى – عز وجل – رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم – بأنه – تعالى – غير غافل وغير مهمل للظلمة الذين يتقلبون فى نعم الله – تعالى – ، وهذا وعيد شديد للظالمين ، وتسلية للمظلومين ، وبيان من ربّ العالمين ، بأنه وإن أملى للظالم وأمهله ، فلا بد من أخذه ، وإذا أخذه – تعالى – لم يفلته ، ﴿ وكذلك أخذ ربّك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد ﴾ . والمصيبة العظيمة والطامة الكبرى هو اذا أخّر المولى – عز وجل – الظالم وأجّل له العذاب ليوم القيامة حيث لا تطرف الأعين من شدّة الهول ويأتون مسرعين الى اجابة الداعى . قال تعالى : ﴿ مهطعين الى الداع ﴾ وقال تعالى : ﴿ يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا * يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا *

---

(١) سورة ابراهيم : آية (٤٢ – ٤٥) .

يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما * وعنت الوجوه للحيّ القيوم وقد خاب من حمل ظلما * (١) .

وهم مقنعوا رؤوسهم أى رافعوها ، وأبصارهم شاخصة لا تطرف لحظة لما هم فيه من الهول وكذا قلوبهم خاوية خالية ليس فيها شئ لكثرة الوجل والخوف قد صعدت الى الحناجر . قال تعالى : * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع العقاب * وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع . * (٢)

قال سيد قطب :

( والرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لايحسب الله غافلا عما يعمل الظالمون * ولكن ظاهر الأمر يبدو وهكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون ويسمع بوعيد الله ، ثم لايراه واقعا بهم فى هذه الحياة الدنيا ، فهذه الصيغة تكشف عن الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الأخيرة ، التى لا إمهال بعدها ، ولا فكاك منها ، أخذهم فى اليوم العصيب الذى تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع ، فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة ، مأخوذة بالهول لاتطرف ولا تتحرك ، ثم يرسم مشهدا للقوم فى زحمة الهول . مشهدهم مسرعين لايلوون على شئ ولا يلتفتون الى شئ ، رافعين رؤوسهم لاعن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها

---

(١) سورة طه : آية (١٠٨ ــ ١١١) .
(٢) سورة غافر: آية (١٧ ــ ١٨ ) .

حراكا ، يمتد بصرهم الى ما يشاهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد اليهم ، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لاتضم شيئا يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه ، فهى هواء خواء .

هذا هو اليوم الذى يؤخرهم الله اليه . حيث يقضون هذا الموقف ، ويعانون هذا الرعب ) . (١) اهـ

وقال الشوكانى :

( فى هذا تسلية للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعلام للمشركين بأن تأخير العذاب عنهم ليس للرضاء بأفعالهم ، بل سنة الله ـ سبحانه ـ فى امهال العصاة .. الى أن قال عند قوله تعالى : ﴿ ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ أى ترفع فيه أبصار أهل الموقف ، ولا تغمض من هول ما تراه فى ذلك اليوم ... الى أن قال : والمراد أن الأبصار ، بقيت مفتوحة . لاتتحرك من شدة الحيرة والدهشة ) . (٢) اهـ

قال أبو السعود :

( فيه تسلية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووعد له أكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد أو لكل أحد ممن يستعجل عذابهم أو يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته ـ تعالى ـ ، والاعتزاز بامهاله . وقيل : معناه لاتحسبنّه ـ تعالى ـ يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢١١١ .

(٢) فتح القدير : ج ٣ ص ١١٥ .

بل معاملة من يحافظ على أعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا[1] ،
والمراد بالظالمين أهل مكة ما عدت مساويهم من تبديل نعمة الله
ـ تعالى ـ كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الأنداد كما يوءذن
به التعرض لحكمة التأخير المنبىء عنه قوله تعالى : ﴿ قل تمتعوا ﴾[2] الاية .
أو جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا ﴿ انما يوءخرهم ﴾
يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجّل عقوبتهم حسبما يشاهد
وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق أى دم على ما كنت عليه من
عدم حسبانه ـ تعالى ـ غافلا عن أعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجبه
من العذاب الأليم اذ تأخيره للتشديد والتغليظ ، أولا تحسبنّه ـ تعالى ـ
تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها إنما ذلك لأجل هذا أولا تحسبنّه
ـ تعالى ـ يعاملهم معاملة الغافل ولا يوءاخذهم بما عملوا لما ترى من
التأخير انما هو لهذه الحكمة . وقرىء بالنون وإيقاع التأخير عليهم مع
أن الموءخر إنما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان أنّهم
متوجهون الى العذاب مرصدون لأمر ما لا أنهم باقون باختيارهم ...)[3] اهـ
الى آخر ماقال .

---

(١) القطمير : القشرة الرقيقة على النواة كاللفافة لها .
النقير : النقطة التى على ظهر النواة .
الفتيل : الخيط الذى فى شقّ النواة .

(٢) قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار ﴾ ٣٠ ابراهيم .

(٣) تفسير أبى السعود : المجلد الثالث الجزء الخامس ص ٥٥ .

اذا أمعنّا النظر فى آيات الله التنزيلية ، وقفنا على عظم عدل الله ـ تعالى ـ وتنزهه عن الظلم فهو يؤخر عباده ويمهلهم ، وقد أرسل لهم الرسل وأنزل عليهم الكتب حتى تبلغ الحجة قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (١) ، فلا حجة لأحد وإن كان فحجة داحضة وأقوال باطلة .

ما أحلمك يارب الأرض والسماء على عبادك ، وما أكرمك ، وما أنزهك عن أن تظلم أحدا بل خيرك الينا نازل ، وشرّنا اليك صاعد ، تمنّ علينا بالخيرات ، ونبادل احسانك بالاساءة ، فنستغفرك ونتوب اليك ، ونسألك المغفرة والرضوان ، ومحو الزلّات ، ومضاعفة الحسنات ، ولا تجعلنا يا الله ممن يظلمون أنفسهم أو غيرهم ، ولا تخرجنا من هذه الدنيا الا ونحن سالمون ، ومن عذابك ناجون ، وعن النار مبعدون ، ولجنتك كاسبون ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

---

(١) سورة النساء : آية (١٦٥) .

(٢) سورة الكهف : آية ٤٩ .

ويقول تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (١) .

قال عبد الرحمن السعدى :

( يخبّر – تعالى – عن حكمه العدل ، وقضائه القسط بين عباده ، إذا جمعهم يوم القيامة ، وأنه يضع الموازين العادلة ، التى يبيّن فيها مثاقيل الذر الذى توزن به الحسنات والسيئات .

﴿ فلا تظلم نفس ﴾ مسلمة ولا كافرة ﴿ شيئا ﴾ بأن تنقص من حسناتها ، أو يزاد فى سيئاتها .

﴿ وان كان مثقال حبّة من خردل ﴾ التى هى أصغر الأشياء ، وأحقرها من خير أو شر ﴿ أتينا بها ﴾ وأحضرناها ، ليجازى بها صاحبها .

كقوله : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٢) .

﴿ ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها * ووجدوا ما عملوا حاضرا ﴾ (٣) .

﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾ يعنى بذلك نفسه الكريمة ، فكفى بها حاسبا ،

---

(١) سورة الأنبياء : آية (٤٧) .

**الخردل** : نبات عشبى حرّيف من الفصيلة الصليبية ينبت فى الحقول وعلى حواشى الطرق ، تستعمل بذوره فى الطب ، ومنه بذور يتبّل بها الطعام . والواحدة خردلة . ويقال : ماعندى من كذا خردلة : شىء ، ويضرب به المثل فى الصغر ، فيقال : ماعندى خردلة من كذا . المعجم الوسيط : ١ / ٢٢٥ . ===

(٢) سورة الزلزلة : آية ٧ – ٨ .

(٣) سورة الكهف : آية ٤٩ .

أى عالما بأعمال العباد حافظا لها ، مثبتا لها فى الكتاب عالما بمقاديرها ومقادير ثوابها واستحقاقها ، موصلا للعمال جزاءها .) (١) اهـ

ورد فى الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - مرفوعا : " يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسع وتسعون سجلا ، كل سجل منها مدّ البصر ، ثم يقال : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب . فيقال : أفلك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول : لا ، فيقال : بلى ، إنّ لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم اليوم ، فيخرج له بطاقة مع هذه السجلات فيقال : إنك لاتظلم ، فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة . (٢)

قال ابن كثير :

( أى ونضع الموازين العدل ليوم القيامة ، الأكثر على أنه انما هو ميزان واحد وانما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه ) . (٣)

---

=== والذرة : هى أصغر جزء فى عنصر ما ، يصح أن يدخل فى التفاعلات الكيمائية . المعجم الوسيط : ١ / ٣١٠ .

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنّان : ج ٥ ص ٢٣٥ .

(٢) فتح المجيد ص ٥٨ تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، والحديث رواه الترمذى (٢٦٤١) فى الايمان ، باب فى ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا اله الا الله وحسنه ، وابن ماجه (٤٣٠٠) فى الزهد ، باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة ، وأحمد فى المسند ٤ / ٢١٣ ، والحاكم ١ / ٥ ، ٦ وصححه ووافقه الذهبى ، وهو كما قالا .

(٣) تفسير القرآن الكريم ج ٣ ص ٨٠ .

لا ظلم لأحد من ربّ العالمين إنما هى أعمال العباد يوفيها لهم ثم يجازيهم بها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ الا نفسه ، لايغادر شيئا الا أحصاه وجازى عليه .

قال تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (١) وقال تعالى على لسان عبده لقمان فى وعظه لابنه ﴿ يابنى انها ان تك مثقال حبّة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ﴾ (٣) .

كل هذه الآيات تدل دلالة واضحة على عدل الله — تعالى — وتنزهه عن ظلم عباده ، فلا حاجة له — سبحانه — فى ذلك فهم الضعفاء اليه وهو القوى العزيز ، هم الفقراء اليه وهو الغنى الحميد .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ﴾ (٤) .

فمن عدله تعالى أن جعل هناك ملائكة مع كل إنسان يكتبون الحسنات والسيئات ويوم القيامة يؤتى بهذه الصحف فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله وكل يقرأ كتابه وما قدّم فى حياته الدنيا قال تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الكهف : آية (٤٩) .

(٢) سورة لقمان : آية (١٦) .

(٣) سورة النساء : آية (٤٠) .

(٤) سورة فاطر : آية (١٥) .

(٥) سورة الاسراء : آية (١٣) .

ويقـول تعالى :

﴿ ولو أنّ لكل نفس ظلمت مافى الأرض لافتدت به وأسروا النّدامة لما رأو العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ (١) .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى :

( و ) اذا كانت القيامة ﴿ لو أن لكل نفس ظلمت ﴾ بالكفر والمعاصى ــ جميع ﴿ مافى الأرض ﴾ من ذهب وفضة وغيرهما لتفتدى به من عذاب الله . ﴿ لافتدت به ﴾ ولما نفعها ذلك ، وإنما النفع والضر ، والثواب والعقاب ، على الأعمال الصالحة ، والسيئة . ﴿ وأسرّوا ﴾ أى الذين ظلموا . ﴿ الندامة لما رأوا العذاب ﴾ ندموا على ما قدّموا ، ولات حين مناص . ﴿ وقضى بينهم بالقسط ﴾ أى : العدل التام ، الذى لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه . ) (٢) اهـ

هذه الآية الكريمة تنبيه من المولى ــ عز وجل ــ وتحذير لعباده الذين خلقهم ــ تعالى ــ جميعا لطاعته وعبادته لا لشىء آخر وبيّن لهم أنه لا ينفع أحدا يوم القيامة عند الله الا عمله الصالح الذى تقرّب به الى الله فى حياته الدنيا ، أما غيره فيستحيل أن ينفعه بشىء .

---

(١) سورة يونس : آية (٥٤) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنّان : ج ٣ ص ٣٦٢ .

قال ابن جرير :

( يقول تعالى ذكره : ولو أن لكل نفس كفرت بالله وظلمها في هذا الموضع عبادتها غير من يستحق عبادة وتركها طاعة من يجب عليها طاعته مافي الأرض من قليل أو كثير لافتدت به يقول لافتدت بذلك كله من عذاب الله إذا عاينته ، وقوله : وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب يقول وأخفت رؤساء هؤلاء المشركين من ضعفائهم وسفلتهم الندامة حين أبصروا عذاب الله قد أحاط بهم وأيقنوا أنه واقع بهم وقضي بينهم بالقسط ، يقول : وقضى الله يومئذ بين الاتباع والرؤساء منهم بالعدل وهم لايظلمون وذلك أنه لايعاقب أحدا منهم الا بجريرته ولا يأخذه بذنب أحد ولا يعذب إلا من قد أعذر اليه في الدنيا وأنذر وتابع عليه بالحجج ) . (١) اهـ .

قال تعالى : ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ .

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : " اختصمت الجنة والنار الى ربّهما ، فقالت الجنة : ياربّ مالها لايدخلها الا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار : يعني أوثرت بالمتكبرين ، فقال الله — تعالى — للجنة : أنت رحمتي ، وقال للنار : أنت عذابي ، أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منكما ملوءها ، قال : فان الله لايظلم من خلقه أحدا ، وأنه ينشئ للنار من يشاء

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج ١١ ص ١٢٣ مطبعة الحلبي بمصر الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨م .

فيلقون فيها فتقول : هل من مزيد ثلاثا ، حتى يضع فيها قدمه فتمتلىء ، ويرد بعضها الى بعض وتقول قط قط قط ". (١)

وعن أنس - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ، يقال لهم الجهنميون ". (٢)

السفع : أثر تغير البشرة فيبقى فيها بعض سواد. (٣)

فى هذين الحديثين يبين لنا المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أنه لا أنساب ولا أصحاب مكانة من رئاسة وغيرها ولا أصحاب ثروة ، فالمعروف أن الضعفاء هم الأقرب الى الحق والالتزام به ، لذا فقد بيّن - صلى الله عليه وسلم - المخاصمة التى حصلت بين الجنة والنار ، وأن الجنة لايدخلها الا الضعفاء وسقطهم ولا يعنى هذا أن الأغنياء وأصحاب السلطات والمكانات لايدخلون الجنة بل يدخلونها اذا نزّهوا أنفسهم من الظلم بأنواعه ولكن المعروف أن ذلك قلة ويغلب عليهم فى الدخول الصنف الأول لأن ماهم فيه من مكانات قد تطغى عليهم فيأخذهم الكبر - أعاذنا الله من ذلك - وهذا الصنف الذى أخذه الكبر لماله أوسلطانه فقد أوثرت به النار ، وهذا منتهى العدل فجعل - سبحانه - الجنة رحمته ، والنار عذابه للمخالفين الواقعين فى الظلم فى حياتهم الدنيا كما بيّن لنا - صلى الله عليه وسلم - فضل الله ورحمته بمن يخرجهم - سبحانه - من النار بعد التمحيص وما أصابهم من سفع النار أثر ما أصابوا فى الدنيا من ذنوب وماتوا ولم يتوبوا منها.

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد ٢٥ حديث : ٧٤٤٩. وسيرد الحديث معنا ص ٢١٠ - ٢١١ والكلام عليه

(٢) رواه البخارى في صحيحه كتاب التوحيد ٢٥ حديث : ٧٤٥٠.

(٣) فتح البارى ج ١٣ ص ٤٢٧.

ويقول الله تعالى :

﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ (١) .

إن من عميت بصيرتهم وضلوا الطريق واستهوتهم الشياطين ويحسبون أنهم على هدى مع أنهم فى غوايتهم وفى غيّهم يتمادون ، وعن الصراط المستقيم ناكبون يطلبون تعجيل العقوبة لفرط إنكارهم وتكذيبهم ولكن من رحمة الله — تعالى — أنه لم يعجل العقوبة لهذه الأمة بخاصة فهو يوءخرهم لأجل مسمى ويتجاوز عن المشركين إذا آمنوا ، وعن المذنبين أذا تابوا قال تعالى : ﴿ والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لايدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٢) .

وأما من أُصرّ على الكفر فالله شديد العقاب وهذا من عدله فلا مساواة بين الموءمن والكافر بل من عاش ومات على الايمان فهو يجازيهم

---

(١) سورة الرعد : آية (٦) .

(٢) سورة الفرقان : آية (٦٧ — ٧٠) .

بالجزاء الحسن يجازيهم بجنة فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وأما من عاش ومات على الكفر فالنار مثواه ﴿ لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاءا وفاقا * إنهم كانوا لايرجون حسابا * وكذبوا بآياتنا كذابا ﴾[١] .

يقول ابن كثير : عند قوله تعالى : ﴿ وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ : ( أى أنه تعالى ذو عفو وصفح وستر للناس مع أنهم يظلمون ويخطئون بالليل والنهار ، ثم قرن هذا الحكم بأنه شديد العقاب ليعتدل الرجاء والخوف كما قال تعالى : ﴿ فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ إن ربك لسريع الحساب وإنه لغفور رحيم ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿ نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم ﴾[٤] )[٥] اهـ

قال صديق حسن خان :

( ﴿ وإن ربك لذو مغفرة ﴾ أى لذو تجاوز عظيم والمراد به الإمهال وتأخير العذاب ﴿ للناس على ﴾ أى مع ﴿ ظلمهم ﴾ باقترافهم

---

(١) سورة عمّ : آية (٢٤ ـ ٢٨) .
(٢) سورة الأنعام : آية (١٤٧) .
(٣) سورة الأعراف : آية (١٦٧) .
(٤) سورة الحجر : آية (٤٩) .
(٥) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٥٠١ .

الذنوب ووقوعهم فى المعاصى إن تابوا عن ذلك ورجعوا إلى الله - سبحانه - ، والجار والمجرور من محل نصب على الحال أى حال كونهم ظالمين ) (١) .

اذا تتبعنا كتب التفاسير وجدنا المعانى تدور على قطب واحد وهدف واحد هو بيان أن الله - سبحانه وتعالى - يترتب جزاؤه على العدل والإمهال للعباد لعلهم يرجعون عن غيّهم وطغيانهم ويلتزمون بأوامر الله - تبارك وتعالى - مع أن من عميت بصيرتهم وحادوا عن الجادة واقترفوا الذنوب ووقعوا فى المعاصى وظلموا أنفسهم بذلك يستعجلون بالعذاب عندما تُبيّن لهم رسلهم الحق وتأمرهم بالالتزام به وتنهاهم عن الظلم وتجاوز الحد فى ذلك، فهم يقولون كما بيّن لنا القرآن الكريم : ﴿ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (٢) .
وهذا من شدّة تكذيبهم وعنادهم وكفرهم .

أما علموا أن الله قد أهلك كثيرا من الأمم السالفة بسبب ظلمهم وأوقع بهم نقمته وجعلهم عبرة وعظة لمن يتعظ ؟ !

أما يرون رحمته - تعالى - وعدله بأن أخرهم عن العذاب ولم يعجله لهم مثل ماحصل لمن سلف عسى أن يتوبوا ويرجعوا الى الله فيبدل سيئاتهم حسنات ؟ !

ان رحمته وعدله تظهر واضحة فيما غير آية من كتابه العزيز وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولكن أين الذين يعقلون الحق ويرونه وهو يظهر لهم واضحا جليا ؟ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟

---

(١) فتح البيان فى مقاصد القرآن ج ٥ ص ٧٣ .
(٢) سورة الأنفال : آية (٣٢) .

وقال الله تعالى :

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (١)

قال ابن كثير :

( يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم وأنّه لو يؤاخذهم بما كسبوا ماترك على ظهر الأرض من دابة ٠ أى لأهلك جميع دواب الأرض تبعا لاهلاك بني آدم ، ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر وينظر الى أجل مسمى ، أى لا يعاجلهم بالعقوبة اذ لو فعل ذلك بهم لماأبقى أحدا ) (٢) ٠

قال الألوسي البغدادى :

( ﴿ بظلمهم ﴾ أى بسبب كفرهم ومعاصيهم بناء على أن الظلم فعل مالا ينبغي ووضعه في غير موضعه على الغير ويدخل فيه ما عدّ من القبائح وهذا تصريح بما أفاده قوله تعالى : ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ وايذان بأنّ ما أتاه هؤلاء الكفرة من القبائح قد تناهى الى أمد لاغاية وراءه ، فلو يؤاخذهم ما ترك ، على الأرض المدلول عليها بالناس من دابة ، وقال من دابة بناء على شهرة كون الدبيب في الأرض أى ما ترك عليها شيئا من الدواب أصلا بل أهلكها بالمرة ، أما الظالم فبظلمه وأما غيره فبشؤم ذلك فقد

---

(١) سورة النحل : آية (٦١) ٠

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٥٧٣ ٠

قال سبحانه : ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾[١] .

... الى أن قال : ( أنه - تعالى - لو آخذهم بما كسبوا من كفر أو معصية لجعل هلاكهم جميعا وبطل نسلهم لايبقى أحد من الناس وحينئذ يهلك الدواب لأنها مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم كما يشعر به قوله تعالى : ﴿ خلق لكم مافى الأرض جميعا ﴾[٢] )[٣] . ا هـ

قال محمود حجازى : ( وهو الرحمن الرحيم واسع الكرم كثير الحلم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ويعاقبهم على جرمهم فورًا ماترك على ظهر الأرض من دابّة ولكنه جل جلاله - ستّار غفور رحيم ، وهو يؤخرهم الى أجل مسمى عنده فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ، وعندئذ يأخذ المسئ جزاءه حتما بلا تأخير ولا إمهال )[٤] .

إن من حكمة الله وعدله أن جعل الأعمار غير معروف أجلها للناس فلا أحد يعرف متى يكون أجله لأنه لوكان ذلك لاستعد كل عبد عندما يقرب الأجل وقدم التوبة وعمل صالحا ، ولكنه - جل وعلا - استأثر بذلك فى علمه ، وأنذر عباده عقابه وخوفهم من النار ، ودعاهم الى الجنة وسهّل طريقها وجعل - سبحانه - الأجل محدودا

---

(١) سورة الأنفال : آية (٢٥) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٩) .

(٣) روح المعانى : جزء ١٣ ص ١٧٠ " بتصرف " .

(٤) التفسير الواضح : ج ١٣ ص ٤٩ .

فلا يزاد فيه ولا ينقص كما بين ذلك فى غير ما موضع من القرآن العظيم فقال تعالى : ﴿ ولكل أمة أجل فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (١) . كما أن من عدله أن بين فى كتابه أن من كذب بآياته واستكبر عنها فان مأواه النار ، ومن آمن وعمل صالحا فإن مصيره الى الجنة كما بين ذلك — تعالى — فقال : ﴿ ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأعراف : آية (٣٤) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٤٠ — ٤٣) .

# المبحث الرابع

## عفو الله عن المستضعفين والتائبين بقبول توبتهم .

## المبحث الرابع

## عفو الله عن المستضعفين والتائبين بقبول توبتهم

قال الله تعالى :

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ﴾ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ﴾ (١) .

بيّن المولى -عز وجل- حال من يقبض ملك الموت أرواحهم وهم ظالموا أنفسهم ببقائهم بين ظهرانى المشركين وسوء الهم سوء ال تقريع وتوبيخ على فعلتهم تلك ، واعتذارهم الذى لا يجدى ولا يغنى عنهم من الله شيئا ومن عذاب الله لقاء فعلتهم تلك إلا من قد استثنى المولى - عز وجل - وهذا من لطف الله - تعالى - ورحمته بالمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين ليس لهم قدرة واستطاعة على الهجرة من بلاد الشرك الى بلاد الاسلام فهذا الصنف عفى عنهم من يعلم السر وأخفى ذو العفو والمغفرة الواسعتين .

يقول القرطبى :

( المراد بالملائكة ملك الموت لقوله تعالى : ﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكّل بكم ﴾ و ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ أى فى حال ظلمهم أنفسهم ، كما قال تعالى : ﴿ هديا بالغ الكعبة ﴾ .

---

(١) سورة النساء : آية (٩٧ - ٩٩) .

وقول الملائكة : ﴿ فيم كنتم ﴾ سؤال تقريع وتوبيخ أى أكنتم فى أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم كنتم مشركين ! وقول هؤلاء : ﴿ كنّا مستضعفين فى الأرض ﴾ يعنى مكة ، اعتذار غير صحيح ، اذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل ، ثم وقفتهم الملائكة على دينهم بقولهم : ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة ﴾ . ويفيد هذا السؤال أنهم ماتوا مسلمين ظالمى أنفسهم فى تركهم الهجرة ، والا فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شىء من هذا ، وانما أضرب عن ذكرهم فى الصحابة لشدة ما واقعوه ، ولعدم تعيّن أحدهم بالايمان ، واحتمال ردته . والله أعلم )[1] .

ان الرحمة من صفته ـ عز وجلّ ـ قال تعالى : ﴿ قل لمن ما فى السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ﴾[2]

قال الألوسى :

( جملة مستقلة داخلة تحت الأمر صادحة بشمول رحمته ـ عز وجلّ ـ لجميع الخلق إثر بيان شمول ملكه وقدرته ـ سبحانه وتعالى ـ للكل المصحح لانزال العقوبة بالمكذبين مسوقة لبيان أنه ـ تعالى ـ رؤف بالعباد لا يعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم التوبة . )[3]

فالله رؤف بعباده ، غفّار للذنوب رحيم بهم ، فهو ـ سبحانه ـ يصفح عن عقوبتهم عليها ، ويتفضّل عليهم بنعمه مع مخالفتهم أمره ونهيه ، وركوبهم معاصيه .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج ٥ ص ٣٤٥ .
(٢) سورة الأنعام : آية (١٢) .
(٣) روح المعانى : ج ٧ ص ١٠٤ .

ففى الآيتين الأخيرتين من الآيات التى معنا هنا تتجلّى الرحمة الربانية والعدل الالهى الذى لايساويه عدل فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، لاتخفى عليه خافية ، فقد تاب وعفى عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان بعجزهم عن الهجرة ، للضعف أو عدم الخلاص من المشركين أو عدم الاهتداء الى الطريق ، فهم لم يتركوا الهجرة اختيارا بل لسبب من الأسباب ، علم الله ذلك ، فاستثناهم من المستطيعين للهجرة ولم يهاجروا بل رضوا بمجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بأمور الدين ، وان كانوا قد أسلموا ، وبيّن الله ـ تعالى ـ أن جزاءهم فى الآخرة جهنم لبقائهم بين ظهرانى المشركين ولم يسعهم ما وسع بقية المسلمين الذين هاجروا فارين بدينهم الى الحبشة ثم الى المدينة ولم تهن عزائمهم ولم يضعهم المال ولا الولد ولا الزوجات بل آثروا دين الله ـ تعالى ـ وطمعوا فى ما عنده مما أعدّه لعباده الطائعين . ﴿ أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ﴾ .

وجاء فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمّل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب

فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى له فقاسوه فوجدوه أدنى الى الأرض التى قبضته ملائكة الرحمة ."

قال قتادة :

فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت ناء بصدره " .(١)

ذكر النووى فى شرحه لهذا الحديث عند لفظ : "انطلق الى أرض كذا وكذا فان فيها أناسا يعبدون الله فاعبد معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء "قال العلماء في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التى أصاب بها الذنوب والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ماداموا على حالهم وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم وينتفع بصحبتهم وتتأكد بذلك توبته ) .(٢)

ومن آثار رحمة الله - جل شأنه وعظم سلطانه - ما جاء فى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة حديث رقم ٢٧٦٦ ، والبخارى فى صحيحه كتاب الأنبياء ٥٤ ، وابن ماجه كتاب الديات ٢ ، وأحمد في المسند ٣/ ٢٠ ، ٤٤ .

(٢) النووى على صحيح مسلم جزء ١٧ ص ٨٣ .

الحديث عن صفوان بن محرز قال : قال رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول فى النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن من يوم القيامة من ربّه - عز وجل - حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول أى ربّ أعرف قال فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنى أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكافر والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله " (١) .

نعم ما أرحم الله بعباده وما أعدله عندما يوفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

ولكن لا يغترّ أحد من الناس من كونه يقول لا اله الا الله ، وليفهم أن المنافقين كانوا كذلك يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويزكون ويصومون رمضان ويحجون بيت الله الحرام ويقاتلون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ (٢) ، هذا اقرار منهم ظاهر وباطنهم بضد ذلك . وجاء ذلك فى مواضع كثيرة فى القرآن وفى السنة المطهرة .

---

(١) مسلم فى صحيحه كتاب التوبة حديث رقم ٢٧٦٩ .
(٢) سورة المنافقين : آية (١) .

فلابد للمؤمن الذى يؤمن بلقاء الله وبالجنة والنار والذى يرجو الله أن يجعله ممن يدنيهم يوم القيامة أن يلتزم بأوامر الله قولا وعملا قلبا وقالبا فإن الإيمان لابد أن يكون قولا باللسان وإيمانا بالجنان وعملا بالأركان ، وإن مما عمّت به البلوى فى هذا الزمان هو الاقتصار على النطق فقط بأعمال الخير دون فهم للمقصود أو مع الفهم ولكن يحصل التقصير فى العمل إضافة الى مخالفة أوامر الله — جل وعلا — وأوامر رسوله — صلى الله عليه وسلم — والبعد كل البعد عما كان عليه الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه والتابعون والسلف الصالح ، وارتكاب ما أحدث فى هذا الزمان من المنكرات التى غزانا بها أعداء الاسلام ولكن لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، وانا لله وانا اليه راجعون ، ونسأل الله — تعالى — بفضله ومنّه وكرمه وجوده أن يرد المسلمين اليه مردا جميلا ، وأن يلزمهم كلمة التقوى ، ويوحّد صفوفهم ، وينصرهم على أعدائهم أعداء الاسلام والمسلمين .

ويقول الله تعالى :

﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد غفورا رحيما ﴾ (١) .

(١) سورة النساء : آية (١١٠) .

كل ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون ، ليس فى هذا غرابة فهو بشر يجوز عليه الخطأ والنسيان ولكن المولى — عز وجل — جعل التوبة والاستغفار ماحية لذلك لأن العبد يعرف أن له ربّا يغفر الذنوب ويقيل العثرات ويمحو السيئات .

فمن رحمته بعباده أن جعل التوبة تجب ما قبلها ، وهو — سبحانه — ليس له حاجة فى عذاب أحد من عباده فهم فقراء اليه وهو الغنى الحميد وأن من أرجى الأوقات بقبول التوبة ثلث الليل الآخر حيث يكون ربّنا — تبارك وتعالى — قريبا من عباده كما جاء فى حديث النزول الذى رواه أبو هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " ينزل ربّنا — تبارك وتعالى — كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له " . (٢)

---

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التهجد ١٤ ، ومسلم فى صحيحه كتاب المسافرين ١٦٨ — ١٧٠ ، وأبو داود كتاب السنة ١٩ ، والترمذى كتاب الصلاة ٢١١ ، وابن ماجة كتاب الاقامة ١٨٢ والدارمى كتاب الصلاة ١٦٨ ، والموطأ كتاب القرآن ٣٠ ، وأحمد فى المسند ٢/٢٦٤ ....

أين يكون العباد فى هذه الساعة وأين هم من هذه الفرصة الغالية ، فى مناجاة ربّ الأرباب غافر الزلّات وقاضى الحاجات ؟ لا يضيّع هذه الفرصة الا من خسر عظيم العطايا ، وفرّط فى زمن فيه تنزل الرحمة بالعفو والانفكاك من الذنوب والخطايا .

يقول سيد قطب :

( انه — سبحانه — موجود للمغفرة والرحمة حيثما قصده مستغفر ينيب ... والذى يعمل السوء يظلم غيره ، ويظلم نفسه ، وقد يظلم نفسه وحدها اذا عمل السيئة التى لا تتعدّى شخصه ... وعلى أيّة حال فالغفور الرحيم يستقبل المستغفرين فى كل حين ، ويغفر لهم ويرحمهم متى جاءوه تائبين . هكذا بلا قيد ولا شرط ولا حجاب ولا بوّاب ، حيثما جاءوا تائبين مستغفرين وجدوا الله غفورا رحيما ) (١)

ان ماجاء فى السنة المطهرة ما يعرفنا برحمة الله بعباده وما يوده لهم من الخير وطريقه . فيروى لنا الامام البخارى — رحمه الله تعالى — من حديث عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — حديثين أحدهما عن النبى — صلى الله عليه وسلم — والآخر عن نفسه قال : " إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وأن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا — قال أبو شهاب بيده فوق أنفه — ثم قال : لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتدّ عليه الحرّ

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٥ ص ٧٥٥ .

والعطش أو ماشاء الله ، قال أرجع الى مكانى ، فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فاذا راحلته عنده "[١] .

قال الحافظ ابن حجر :

( قال المحب الطبرى : " انما كانت صفة المؤمن لشدة خوفه من الله ومن عقوبته لأنه على يقين من الذنب وليس على يقين من المغفرة ، والفاجر قليل المعرفة بالله فلذلك قل خوفه واستهان بالمعصية . "وقال ابن أبى جمرة : " السبب فى ذلك أن قلب الفاجر مظلم فوقوع الذنب خفيف عنده ، ولهذا تجد من يقع فى المعصية اذا وعظ يقول هذا سهل ، قال : ويستفاد من الحديث أن قلة خوف المؤمن من ذنوبه وخفته عليه يدل على فجوره ، قال : والحكمة فى تشبيه ذنوب الفاجر بالذباب كون الذباب أخف الطير وأحقره ، وهو مما يعاين ويدفع بأقل الأشياء ، حتى قال : وفى الحديث ضرب المثل بما يمكن ، وارشاد الى الحض على محاسبة النفس واعتبار العلامات الدالة على بقاء نعمة الايمان ، وفيه أن الفجور أمر قلبى كالايمان ، وفيه دليل لأهل السنة لأنهم لايكفرون بالذنوب ورد على الخوارج وغيرهم ممن يكفر بالذنوب " . وقال ابن بطال : يؤخذ منه أنه ينبغى

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الدعوات حديث رقم ٦٣٠٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب التوبة ١ ــ ٨ ، والترمذى كتاب القيامة ٤٩ ، وكتاب الدعوات ٩٨ ، وابن ماجه كتاب الزهد ٣٠ ، والدارمى كتاب الرقاق ١٩ ، وأحمد فى المسند ١/ ٣٨٣ ..
والحديث الأول هو الموقوف على ابن مسعود ، والثانى مرفوع الى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

أن يكون المؤمن عظيم الخوف من الله — تعالى — من كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا ، لأن الله — تعالى — قد يعذّب على القليل فانه لا يسأل عما يفعل — سبحانه وتعالى — " . وقال القرطبى فى ( المفهم ) : " هذا مثل قصد به بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب وأنه يقبل عليه بمغفرته ويعامل معاملة من يفرح بعمله ، ووجه هذا المثل أن العاصى حصل بسبب معصيته فى قبضة الشيطان وأسره وقد أشرف على الهلاك ، فاذا لطف به ، ووفقه للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية ، وتخلّص من أسر الشيطان ومن المهلكة التى أشرف عليها فأقبل الله عليه بمغفرته ورحمته " ) (١) اهـ .

بعد أن ذكرنا بعض الأقوال على هذا الحديث فان ما يظهر لنا واضحا جليّا هو أثر رحمة الله — تعالى — بعباده ، فهو أشدّ فرحا بتوبة عبده اذا تاب وأناب وأقلع عن المعاصى فهو يتوب على من تاب ويفرح — سبحانه — بذلك .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنّه عذابا لا يعذّبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع مافيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال : لم فعلت

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١١ كتاب الدعوات ص ١٠٥ — ١٠٦ .

هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر الله له " (١) .

سبحان علام الغيوب ، ستار العيوب ، غفار الذنوب ، يعلم ما يكون في القلوب ، فلقد علم ـ سبحانه ـ صدق مقالة عبده في أن يعمل به ما عمل خوفا من الله وعلمه بشديد عذابه وأليم عقابه ، ولكن رحمة المولى سبقت غضبه فغفر لعبده على ما كان منه من سوء الأعمال وعدم فعل الخيرات حتى أتاه الممات ، فالمؤمن لا ييأس من رحمة الله الواسعة .

وعن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال : " سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ان عبدا أصاب ذنبا ـ وربما قال أذنب ذنبا ـ فقال : رب أذنبت ذنبا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر ، فقال ربه أعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى = ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا ـ أو أذنب ذنبا ـ فقال : رب أذنبت ـ أو أصبت ـ آخر فاغفره ، فقال : أعلم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا ـ وربما قال أصاب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب التوبة ٢٥ ، والبخارى في صحيحه كتاب الأنبياء ٥٤ ، والترمذى فضائل الجهاد ١٤ ، النسائى : جنائز ١١٧ ، وابن ماجه : زهد ٣٠ ، وأحمد : ٢ / ٣٢٣ ...

ذنبا ـ فقال : ربّ أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفر لى ، فقال اعلم عبدى أن له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدى ثلاثا فليعمل ما شاء . (١)

قال ابن حجر : ( قال القرطبى فى المفهم : يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه ، لكن هذا الاستغفار هو الذى ثبت معناه فى القلب مقارنا للسان لينحل به عقد الاصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة ، ويشهد له حديث : " خياركم كل مفتن توّاب " ، ومعناه الذى يتكرر منه الذنب والتوبة فكلما وقع فى الذنب عاد الى التوبة ، لا من قال استغفر الله بلسانه وقلبه مصرّ على تلك المعصية فهذا الذى استغفاره يحتاج الى الاستغفار ." ويشهد له حديث ابن عباس مرفوعا : " التائب من الذنب كمن لاذنب له " ، وقوله : " اعمل ماشئت " معناه مادمت تذنب فتتوب غفرت لك ) (٢)

---

(١) رواه البخارى في صحيحه ـ كتاب التوحيد ٣٥ حديث رقم ٧٥٠٧ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٤٧١ .

ويقول الله تعالى :

﴿ وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ (١) .

هذه الآية الكريمة توضح لنا آثار رحمة الله بعبده يونس بن متى حيث سمع نداءه بالدعاء لخالقه ومولاه الله — عز وجل — حين التقمه الحوت ، فنجاه وأخرجه من بطن الحوت لم يكسر له عظما ولم يخدش له لحماً ، وهكذا تكون آثار رحمة الله — تعالى — التى عم بها جميع المؤمنين من خلقه فينجيهم من كل كرب ومن كل غم ولم تكن خاصة بالرسل — عليهم السلام — بل رحمته قريبة من المؤمنين اذا أخلصوا وتابعوا .

وقد ذكر بعض المفسرين من قصص ذى النون — يونس بن متى — أمورا لا تليق بنبى من الأنبياء — عليهم السلام — من كونه تعمّد الوقوع فى معصية الله — تعالى — وأفضل ما رأيت مما قيل فى معنى هذه الآية ماذكره القاسمى ورجحه من كلام ابن حزم . ( بعد أن حكى مذهب الكرامية قال : وذهب أهل السنة والمعتزلة والنّجّاريّة والخوارج

---

(١) سورة الأنبياء : آية (٨٧ — ٨٨) .

والشيعة أنه لايجوز البتّة أن يقع من نبى معصية بعمد صغيرة ولا كبيرة .

ثم قال ابن حزم : ( وهذا القول الذى ندين الله به ولا يحل لأحد أن يدين بسواه . ونقول أنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ، ويقع منهم قصد الشئ يريدون به وجه الله — تعالى — والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله — تعالى — . الا أنه — تعالى — لا يقرهم على شئ من هذين الوجهين أصلا ، بل ينبههم على ذلك ولا بد ، أثر وقوعه منهم ، وربما يبغض المكروه فى الدنيا كالذى أصاب آدم ويونس والأنبياء — عليهم السلام — ، بخلافنا فى هذا فإنا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله — عز وجل — فلم يصادف مراده — تعالى — . بل نحن مأجورون على هذا الوجه أجرا واحدا )

ثم قال فى الكلام على يونس — عليه السلام — :

( وأما أخبار الله — تعالى — أن يونس ذهب مغاضبا فلم يغاضب ربه قط ، ولا قال الله — تعالى — أنه غاضب ربه . فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب ، وزائدا فى القرآن ما ليس فيه ، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب ربه — تعالى — ، فكيف أن يفعل ذلك نبى من الأنبياء ؟ فعلمنا يقينا أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله — عز وجل — فعوقب بذلك . وإن كان يونس — عليه السلام — لم يقصد بذلك إلا رضاء الله — عز وجل — .

وأما قوله — تعالى — : ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذى لايجوز أن يظن بضعيفه من النساء

أو بضعيف من الرجال إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل • فكيف بنبي مفضل على الناس فى العلم ؟ ومن المحال المتيقن أن يكون نبيّ يظن أن الله - تعالى - الذى أرسله بدينه لايقدر عليه • وهو يرى أن آدميا مثله يقدر عليه ، ولا شك فى أن من نسب هذا للنبى - صلى الله عليه وسلم - الفاضل فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه • فكيف الى يونس بن متى الذى يقول فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لاتفضلونى على يونس بن متى "(١) • فقد بطل ظنهم ولا شك ، وصح أن معنى قوله : ﴿ فظن أن لن نقدر عليه ﴾ أى أن لن نُضيّق عليه كما قال تعالى : ﴿ وإذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾(٢) فظن يونس - عليه السلام - أن الله - تعالى - لايُضيّق عليه فى مغاضبته لقومه ، إذ ظنّ أنه محسن فى فعله ذلك ، وإنما نهى الله - عز وجل - محمدا - صلى الله عليه وسلم - عن أن يكون كصاحب الحوت ، فنعم ، نهاه الله - عز وجل - عند مغاضبة قومه ، وأمره بالصبر على أذاهم وبالمطاولة لهم • وأما قوله تعالى : أنه استحق الذم والملامة ، لولا النعمة التى تداركه بها ، للبث معاقبا فى بطن الحوت ، فهذا نفس ما قلناه من أن الأنبياء - عليهم السلام - يؤاخذون فى الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا وقربة الى الله - عزوجل - ، اذا لم يوافق مراد ربهم ، وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بأنه كان من الظالمين • والظلم وضع الشىء

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٤١٢ ، ٣٤١٣ ، وكتاب التفسير حديث رقم ٤٦٠٣ ، ٤٦٠٤ ، ٤٨٠٤ ، ٤٨٠٥ •

(٢) سورة الفجر : آية (١٦) •

فى غير محله فلما وضع النبى — صلى الله عليه وسلم — المغاضبة فى غير موضعهـا اعترف فى ذلك بالظلم (١) .

والذى نحن بصدده هو بيان سعة رحمة الله — عز وجل — بعباده اذا هم التجؤا اليه واعترفوا بتقصيرهم فى حقـه — تعالى — . تبين لنا ما كان من أمر يونس بن متى — عليه السلام — وما حصل له ، ترى ما حصل بعد ذلك أى بعدما ابتلعه الحوت ونزل به فى قاع البحـر .

لقد لجأ الى ربه ومولاه وناداه بالنداء الذى أبانه الله لنا فى محكم التنزيل ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إنّى كنت من الظالميـن ﴾ فسبحان سامع الصوت وكاسي العظام لحما بعد الموت لايغيب عنـه شىء ولا تخفى عليه خافية يسمع دبيب النملة على الصفاة الملساء فى الليلة الظلماء ، لقد سمع استغاثة عبده — يونس عليه السلام — وهـو يدعوه ويلجأ إليه ، فرحمه — تعالى — وأنجـاه من الغم وما هو فيـه من الكرب العظيم ، نعم ما أعظمه من كرب ، وما أكبرها من مصيبـة وأشقّهـا على العباد ، وما أهونهـا وأبسطها على الخالق العظيـم الذى لا إله غيره ، والذى أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون انه لو غرق إنسان فى البحر لوجدنا الناس يجمعون قواهم ومعداتهم ويجدّون فى البحث ويذهبون يمنة ويسرة وأسفل وأعلى ويرسلـون غواصاتهم وخطاطيفهم فقد يحصلون على ذلك بتوفيق اللـه وقـد لا يحصلون على ذلك ولا يعرفون مصيره . وهذا دلالة على عجز الانسان وقوة الخالق العظيم .

---

(١) محاسن التأويل : المجلد السابع الجزء ١١ ص ٢٨٥ — ٢٨٦ .

كيف بمن كان فى بطن الحوت وفى قاع البحر وفى تلك الظلم العظيمة ثم فى لحظة من اللحظات اذا هو قد أنقذ ورجع على ما كان عليه من الصحة والسلامة ، إنها القدرة الالهية ، إنه الله الذى لا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء . ﴿ انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (١) ، استجاب لنبيه فأنقذه مما هو فيه ﴿ فاستجبنا له فنجيناه من الغم ﴾ .

وفى شعر أمية بن أبى الصلت (٢) :

وأنت بفضل منك نجيت يونسا .. وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

كذا العدل الربانى الذى يظهر واضحا جليا مقترنا برحمته بجميع عباده المؤمنين الذين يؤمنون به فى الرخاء والشدة ، يؤمنون به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ أى اذا كانوا فى غموم وأخلصوا فى أدعيتهم منيبين لاسيما بهذا الدعاء ، فهو يسمع دعاءهم ويقضى حاجاتهم ، ويتوب عليهم ، ويغفر زلاتهم ، رؤوف رحيم عدل لا يظلم أحدا ولا يرضاه من أحد على أحد ، جل وعلا وتنزه وتقدس .

---

(١) سورة يس : آية (٨٢) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : " سورة الصافات " آية (١٤٤) ص ٢١ .

# المبحث الخامس

## القضاء بين العباد بحضور رسلهم وكتب أعمالهم والحفظة عليهم من الملائكة

## المبحث الخامس

### القضاء بين العباد بحضور رسلهم وكتب أعمالهم والحفظة عليهم من الملائكة

يقول الله تعالى :

﴿ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ (١) .

يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - : ( فكل أمة تعرض على الله بحضرة رسولها وكتاب أعمالها من خير وشر موضوع شاهد عليهم وحفظتهم من الملائكة شهود أيضا أمة بعد أمة ، وهذه الأمة الشريفة وإن كانت آخر الأمم فى الخلق إلا أنها أول الأمم يوم القيامة يفصل بينهم ويقضى لهم كما جاء فى الصحيحين عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق " (٢) فأمته انما حازت قصب السبق بشرف رسولها - صلوات الله وسلامه عليه - دائما الى يوم القيامة ) (٣) . اهـ

---

(١) سورة يونس : آية (٤٧) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الوضوء ٦٨ والجمعة ١ ، ١٢ ، والأنبياء ٥٤ ، والأيمان ١ ، والديّات ١٥ ، والتعبير ٤٠ ، والتوحيد ٣٥ ، ومسلم فى الجمعة ١٩ ، ٢١ ، والنسائى : الجمعة ١ ، والدارمى : مقدمة ٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤١٩ .

فالله — جل وعلا — يقضى فى الآخرة بين خلقه بالعدل وهم لا يظلمون من جزاء أعمالهم شيئا فهو يجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته ، فإن كان هناك مسىء من أهل الايمان فهو تحت مشيئة الرب ، وأما الكفرة الظلمة المشركون فهم الذين يخلدون فى نار جهنم لا يذوقون الموت كلما نضجت جلودهم بدّلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب جزاءا وفاقا .

فأهل الجنة دخلوها برحمة الله وفضله ، وأهل النار دخلوها بعدل الله — تعالى — ، ولم يكن — تعالى — ظالما لأحد .

قال الشيخ عبد المجيد الشاذلى :

( والظلم الذى حرّمه الله على نفسه مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها ، ويعاقب البرىء على ما لم يفعله من السيئات ، ويعاقب هذا بذنب غيره أو يحكم بين الناس بغير القسط ونحو ذلك من الأفعال التى ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر عليها ، انما يستحق الحمد والثناء لأنه يترك هذا الظلم وهو قادر عليه ، كما أن الله منزّه عن صفات النقص والعيب فهو أيضا منزّه عن أفعال النقص والعيب ) (١) .

وأوضح — تعالى — معنى هذه الآية فى سورة الزمر بقوله تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفّيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ (٢) .

---

(١) حد الاسلام وحقيقة الايمان : ص ١١٩ .

(٢) سورة الزمر : آية (٦٨ — ٧٠) .

فمن رحمة الله وعدله وتنزهه عن الظلم — جل وعلا — الاشهاد على الناس يوم الحشر يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويأتى بالرسل يسألهم عما أجيبوا من أممهم ويشهد عليهم .

قال الشيخ الشنقيطى : ( وقيل الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله، وأظهر الأقوال فى الآية عندى أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا الى أممهم ، لأنه لايقضى بين الأمة حتى يأتى رسولها كما صرّح تعالى فى سورة يونس فى قوله تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون ﴾ فصرّح — جل وعلا — بأنه يسأل عما أجابتهم به أممهم ، كما قال تعالى : ﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فلنسألنّ الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين ﴾ (٢) ، وقد يشير الى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا ﴾ (٣) ، لأن كونه — صلى الله عليه وسلم — هو الشهيد على هوءلاء الذين هم أمته ، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها ) (٤) .

إنه العدل منه — جل وعلا — ، مع أنه لايسأل عمّا يعمل

---

(١) سورة المائدة : آية (١٠٩) .

(٢) سورة الاعراف : آية (٦) .

(٣) سورة النساء : آية (٤١) .

(٤) أضواء البيان : ج ٧ ص ٦٢ .

والخلق هم الذين يسألون فهو يرسل الرسل ويقرر على العباد حسناتهم وسيئاتهم ويشهد على ذلك ويقول تعالى : ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون ﴾ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون ﴾ (١) .

من هنا ظهرت البينات وتنزه رب الأرض والسموات عن ظلم عباده ، حيث قرر عليهم وأثبت ما كانوا يعملون فى دنياهم من خير أو شر ، وأكبر اثبات وأبلغ حجة ارسال الرسل التى أرسلت اليهم .

وقال الفخر الرازى : فى المسألة الثالثة من المسائل التى ذكرها عند تفسير قوله تعالى ﴿ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون ﴾ .

( والمراد من الآية أحد أمرين ، **إما بيان** أن الرسول إذا بعث إلى كل أمة فانه بالتبليغ وإقامة الحجة يزيح كل علة فلا يبقى لهم عذر فى مخالفته أو تكذيبه ، فيدل ذلك على أن ما يجرى عليهم من العذاب فى الآخرة يكون عدلا ولا يكون ظلما ، لأنهم من قبل أنفسهم وقعوا فى ذلك العقاب .

**أو يكون** المراد أن المراد أن القوم اذا اجتمعوا فى الآخرة جمع الله بينهم وبين رسولهم فى وقت المحاسبة ، وبان الفصل بين المطيع

---

(١) سورة فصلت : آية (٢١ ـ ٢٢) .

والعاصى يشهد عليهم بما شاهد منهم ، وليقع منهم الاعتراف بأنه بلغ رسالات ربّه ، فيكون ذلك من جملة ما يؤكد الله به الزجر فى الدنيا كالمساءلة ، وإنطاق الجوارح ، والشهادة عليهم بأعمالهم والموازين وغيرها ، وتمام التقرير على هذا الوجه الثانى أنه تعالى ذكر فى الآية الأولى أن الله شهيد عليهم ، فكأنه — تعالى — يقول : أنا شهيد على أعمالهم يوم القيامة ، ومع ذلك فانى أحضر فى موقف يوم القيامة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بتلك الأعمال . والمراد منه المبالغة فى إظهار الحق ) . (١) اهـ

بعد هذا كله نخرج بفائدة جليلة وبلاغ عظيم وهو أن الله — تبارك وتعالى — بعدما خلق الخلق وكلفهم بعبادته لم يتركهم سدى بل أرسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين وجعل مع كل مخلوق ملائكة يكتبون أعماله إن خير فخير وإن شرا فشر .

**قال تعالى** : ﴿ وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ماتفعلون * إن الأبرار لفى نعيم * وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين ﴾ . (٢)

**وقال تعالى** : ﴿ ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ . (٣)

**وقال تعالى** : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم

---

(١) تفسير الفخر الرازى : المجلد التاسع جزء ١٧ .
(٢) سورة الانفطار : آية (١٠ — ١٥) .
(٣) سورة الاسراء : آية (١٦٤ — ١٦٥) .

القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ (١) .

ماكان الله — تعالى — ليذر عباده هملا ولا ليتركهم سدى بل ضبطهم — سبحانه وتعالى — فى حياتهم الدنيا وأعد لكل نزلا يوم القيامة ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (٢) .

قال الله تعالى : ﴿ يوم ندعو كل أناس بامامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلا ﴾ (٣) .

وقد قال الله تعالى : ﴿ ولكل أمة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ﴾ (٤) ، وقوله : فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هوءلاء شهيدا ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ يوم نبعث في كل

---

(١) سورة الاسراء : آية ( ١٣ — ١٤ ) .
(٢) سورة المدثر : آية ( ٣٨ ) .
(٣) سورة الاسراء : آية ( ٧١ ) .
(٤) سورة يونس : آية (٤٧) .
(٥) سورة النساء : آية (٤١) .

أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ... ﴾ الآية (١)

وقال تعالى : ﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ (٢) . الآية .

وقيل المراد بالامام " الكتاب " واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (٤) وقوله : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه .. ﴾ الآية (٥) ، وقوله : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ﴾ (٦) .

قال الشنقيطي بعد ذكر الآيات في الاستدلال على الامام وهي سالفة الذكر : ( واختار ابن كثير أن الامام هو كتاب الأعمال لدلالة آية ( يس ) وهذا القول رواية عن ابن عباس ذكرها ابن جرير وغيره ، وعزاه ابن كثير لابن عباس وأبي العالية والضحاك والحسن . وعن قتادة ومجاهد أن المراد " بامامهم " نبيهم ...... وقال بعض أهل العلم : " امامهم " أي بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع . وممن قال به : ابن زيد ، واختاره ابن جرير . وقال بعض أهل العلم : ﴿ يوم ندعو كل أناس بامامهم ﴾ أي ندعو كل قوم بمن يأتمون به . فأهل الايمان أئمتهم الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — وأهل الكفر أئمتهم سادتهم وكبراؤهم من رؤساء الكفرة كما قال تعالى :

---

(١) سورة النحل : آية (٨٩) .
(٢) سورة الزمر : آية (٦٩) .
(٣) سورة يس : آية (١٢) .
(٤) سورة الجاثية : آية (٢٨) .
(٥) سورة الكهف : آية (٤٩) .
(٦) سورة الاسراء : آية (١٣) .

﴿ وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ... ﴾ الآية . وهذا الأخير أظهر الأقوال عندى . والعلم عند الله ). [١] اهـ .

والذى أراه والله أعلم أن المراد بالامام هو النبى ويؤيد هذا حديث حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذى انقض البارحة ؟ قلت : أنا ، ثم قلت : أما انى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت ، قال : فماذا صنعت ؟ قلت : استرقيت [٢] ، قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبى ، قال : ما حدثكم الشعبى ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن حصيب الأسلمى أنه قال : لا رقية الا من عين أو حمة [٣] فقال : قد أحسن من انتهى الى ما سمع ، ولكن حدثنا عن ابن عباس عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : عرضت على الأمم ، فرأيت النبى ومعه الرهيط [٤] ، والنبى ومعه الرجل والرجلان ، والنبى ليس معه أحد ، اذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل : هذا موسى وقومه ، ولكن أنظر الى الأفق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى : أنظر الى الأفق الآخر ، فنظرت فاذا سواد عظيم ، فقيل لى : هذه أمتك ،

---

(١) أضواء البيان : ج ٣ ص٦١٦ .

(٢) استرقيت : أى طلبت الرقية ، وهى مداواة المريض بالنفث بنحو قراءة قرآن أوأدعية مأثورة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — .

(٣) حمة : بضم المهملة وتخفيف الميم ، وهى سمّ العقرب وشبهها .

(٤) الرهيط : تصغير ( الرهط ) وهى الجماعة دون العشرة .

ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله شيئا ، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ما الذى تخوضون فيه ؟ فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال أنت منهم ، ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال سبقك بها عكاشة " (١) .

فالشاهد من هذا الحديث هو عرض الأمم يقدمهم أنبياؤهم .

ومن هنا نرى عدل المولى — عز وجل — فى بعث الناس ومحاسبتهم على ما عملوا فى حياتهم الدنيا فآخذ كتابه بيمينه كما قال تعالى : ﴿ فأمّا من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * انى ظننت أنى ملاق حسابيه * فهو فى عيشة راضية * فى جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية * وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابية * ولم أدر ما حسابية * ياليتها كانت القاضية * ما أغنى عنّى ماليه * هلك عنّى سلطانيه * خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه * ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه * انه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعام الا من غسلين * لا يأكله الا الخاطئون ﴾ .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ٢٢٠ ، والبخارى في صحيحه كتاب الطب حديث رقم ٥٧٥٢ ، ورواه الترمذى في صفة القيامة حديث رقم ٢٤٤٨ .

فلا يظلم الله أحدا شيئا ، بل كل يوفى عمله ويجازى على ذلك ان خيرا فخير ، وان شرا فشر .

فالله لايظلم الناس مثقال ذرة كما قال تعالى : ﴿ ان الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ (١) .

قال البغوى :

( ﴿ ان الله لايظلم مثقال ذرة ﴾ وقال قوم : هذا فى الخصوم ، وروى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : ( اذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد ألا من كان يطلب مظلمة فليجىء الى حقه فليأخذه ، فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فليأخذ منه وان كان صغيرا ، ومصداق ذلك فى كتاب الله تعالى : ﴿ فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (٢) (٣) .

---

(١) سورة النساء : آية (٤٠) .

(٢) سورة المؤمنين : آية (١٠١) .

(٣) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل : ج ١ ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

# الفصل الثاني

## طرق التخلص من الظلم

وفيه مباحث .

المبحث الأول : الذكر والاستغفار .

المبحث الثاني : استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته في حياته .

المبحث الثالث : كف النفس عن الظلم .

المبحث الرابع : التوبة .

## الفصل الثانـــي

## طرق التخلص من الظلـــم

الإنسان بطبعه يقع منه الخطأ ، ولكن الرجوع إلى الله بالإقلاع عما ارتكب والندم على ما حصل منه من ذنب ومما يخالف أمر اللـــه — تعالى — وأمر رسوله — صلى الله عليه وسلم — والعزيمة على عـــدم العودة ، والتخلص من حقوق الآخرين يكون فى ذلك تمحيصا له مـــن المظالـــم .

عن أنس أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " (١) .

فالظلم قد يقع من العبد نفسه بارتكاب ما حرّم الله عليه ، وقـــد يكون غمط الناس فى أنفسهم أو أموالهم وأعراضهم .

وهنا لابد على العبد الذى اعترف حقا بعبوديته لله — تعالى — ولم تستهوه الشياطين ولم تطغ عليه النفس الأمارة بالسوء بالتبصير فى أمره ومما يقع فيه أن يكون دائما على حذر من معاصى الله . فاذا وقع فى مخالفـــة لما قد حرّم الله — تعالى — عليه فليرجع الى الله ويلتـــزم بأوامره — تعالى — ويعلم أنه — تعالى — اذا أخذ الظالم لم يفلته ، وأخذه أليم شديد .

وبهذا يجب على العبد الذى يريد الخلاص من الظلم أن لا يكون

---

(١) رواه الترمذى كتاب القيامة ٤٩ ، وابن ماجه فى الزهد ٣٠ ، والدارمى فى الرقاق ١٨ ، وأحمد فى المسند ١٩٨/٣ ، قـــال الألبانى فى صحيح الجامع الصغير حسن حديث ٤٣٩١ ، وتخريج المشكاة ٢٣٤١ .

أمّعة مع الناس إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء لا بل يلزمه أن يحسن اذا أحسن الناس وأن لا يسىء اذا أساءوا ، وليعلم أن الأكثرية هم الهالكون ، فلا ينظر للهالك كيف هلك بل ينظر للناجى كيف نجى .

عن عبد الله بن عباس — رضى الله عنهما — قال : كنت خلف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوما ، فقال :"ياغلام انى أعلمك كلمات : إحفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلاّ بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفّت الصحف " (١)

فليطهر العبد نفسه من صغير المعاصى وكبيرها وإذا وقع فى شىء من ذلك فليقلع ويرجع إلى ربه ومولاه .

أما إذا كان ظلم العبد لغيره من العباد فمعلوم أن التوبة لا تخلص من ذلك إلا بالتحلل من أصحاب الحقوق من العباد ، وهذا من عدل الله — تعالى — فهو لا يضيع لعباده شيئا من حقوقهم حتى أنه — تعالى — يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " (٢) .

---

(١) رواه الترمذى كتاب القيامة حديث رقم ٢٥١٦ وقال حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة " تحريم الظلم " حديث رقم ٢٥٨٢ .

فمن نقى نفسه وطهرها من درن المعاصى والحقوق فإنه يقدم على الله — عز وجل — وقد نقى نفسه كما ينقّى الثوب الأبيض من الدّنس ٠

**قال الله تعالى** : ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ﴾(١) ٠

**وقال تعالى** : ﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾(٢) ٠

---

(١) سورة النازعات : آية (٤١) ٠

(٢) سورة النساء : آية (١٤٥ — ١٤٦) ٠

# المبحث الأول

## الذكر والإستغفار

## المبحث الأول

## الذكــــر والاستغفار

قال الله تعالى :

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصرّوا على مافعلوا وهم يعلمون ﴾ (١) .

إن العبد إذا صدر منه ذنب اتبعه التوبة والاستغفار ، فيرجع إلى ربّه وخالقه ويتوب وينيب إليه لأنه يعرف أن لا أحد يغفر ويقبل التوب الا الله فهو يقبل العثرات ويمحو السيئات .

قال أبو السعود :

( ﴿ اذا فعلوا فاحشة ﴾ أى فعلة بالغة القبح ﴿ ظلموا أنفسهم ﴾ بأن أتوا ذنبا أى ذنب كان ، وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة أو الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ماليس كذلك ) (٢) .

فلا يصر العبد على المعصية بل إذا وقع فى ذلك يستغفر ويرجع لأن الموت أقرب إليه من حبل الوريد . فلا يتمادى ويلهيه الأمل حتى يأتى الأجل وهو على تلك المعاصى فكيف يكون الخلاص ؟ !

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٣٥) .

(٢) تفسير أبى السعود : المجلد الأول الجزء الثانى ص ٨٦ .

قال تعالى : ﴿ ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (١).

قال ابن كثير :

( قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا هشام بن يحى عن اسحق بن عبد الله بن أبى طلحة عن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : "إن رجلا أذنب ذنبا فقال : ربّ إنّى أذنبت ذنبا فاغفره لى فقال الله ـ عز وجل ـ عبدى عمل ذنبا فعلم أن له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ، ثم عمل ذنبا آخر فقال : ربّ إنّى عملت ذنبا فاغفره لى فقال ـ تبارك وتعالى ـ علم عبدى أن له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال : ربّ إنى عملت ذنبا فاغفره لى فقال عز وجل علم عبدى أن له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال : ربّ إنّى عملت ذنبا فاغفره فقال عز وجل : عبدى علم أن له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به أشهدكم أنّى قد غفرت لعبدى فليعمل ما شاء" أخرجاه فى الصحيحين من حديث اسحق بن أبى طلحة بنحوه (٢) (٣).

قال النووى على هذا الحديث :

( هذه المسألة تقدمت فى أول كتاب التوبة وهذه الأحاديث

---

(١) سورة الأعراف : آية (٣٤) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد ٣٥ ، ومسلم فى صحيحه كتاب التوبة ٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : جـ ١ ص ٤٠٦ .

ظاهرة في الدلالة لها وأنّه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحّت توبته .

قوله ـ عز وجل ـ للذى تكرّر ذنبه : * اعمل ماشئت فقد غفرت لك * معناه : مادمت تذنب ثم تتوب غفرت لك ، وهذا جار على القاعدة التي ذكرناها .(١)

---

(١) شرح مسلم للنووى : المجلد التاسع جزء ١٧ ص ٧٥ - ٧٦ .

# المبحث الثانى

## إستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته فى حياته .

## المبحث الثاني

## استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته في حياته

**قال الله تبارك وتعالى :**

* وما أرسلنا من رسول إلاّ ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * . (١)

يبيّن الله - تبارك وتعالى - وجوب طاعة رسله لأنهم هم المبلغون عنه - عز وجل - ويرشد - تعالى - العصاة والمذنبين إذا وقع منهم مايخالف أمره أن يأتوا الى رسوله - صلى الله عليه وسلم - تائبين مقلعين عن الذنب ويطلبون من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يستغفر لهم الله بعد توبتهم واستغفارهم فإنهم إذا عملوا ذلك رحمهم الله وتاب عليهم وغفر لهم لأنه هو التواب الرحيم ، ورسله ليسوا كغيرهم من البشر فى أعمالهم وطاعتهم لربهم وخوفهم منه . وما اختارهم المولى - عز وجل - إلا لفضلهم على غيرهم فعصمهم - تعالى - وهذا لون من ألوان التخلص من الظلم وهو طلب الرسول أن يستغفر لهم لقبول دعوته عند ربه التواب الرحيم وهذا فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وقد أخطأ من ظنّ أو اعتقد أن هذا يحصل حتى بعد وفاة

---

(١) سورة النساء : آية (٦٤) .

الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

قال سيد قطب :

( والله توّاب في كل وقت على من يتوب ، والله رحيم في كل وقت على من يؤوب . وهو - سبحانه - يصف نفسه بصفته ، ويعد العائدين اليه المستغفرين من الذنوب ، قبول التوبة وافاضة الرحمة . . . والذين يتناولهم هذا النص ابتداء كان لديهم فرصة استغفار الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وقد انقضت فرصتها وقد بقي باب الله مفتوحا لا يغلق ، ووعده قائما لا ينقض ، فمن أراد فليقدم ، ومن عزم فليتقدم ) (١) اهـ

والرسول - صلى الله عليه وسلم - بيّن لنا فضائل الاستغفار وماذا نقول اذا أردنا التخلص مما قد ظلمنا به أنفسنا .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " والله إنّي لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " (٢) . وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول : " ربّ اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به منّي ، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي ، وجهلي وجدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم اغفر لي ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير " . (٣)

---

(١) في ظلال القرآن : ج ٢ ص ٦٩٦ .
(٢) صحيح البخاري كتاب الدعوات حديث رقم ٦٣٠٧ .
(٣) " " " " " ٦٣٩٨ .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " مثل الذى يذكر ربّه والذى لا يذكره مثل الحىّ والميّت ". (١)

وقال - صلى الله عليه وسلم - : " من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ". (٢)

هذا المسلك الذى لا كلفة فيه ولا موءنة على أحد بل كلمات يتلفظ بها اللسان مع استحضار القلب وخشوع الجوارح لذلك ، فيزول الظلم وينكسر الشيطان ويندحر حيث بطل ماقد عمل من إيقاع الانسان فى المعاصى ، ولكن رحمة أرحم الراحمين الله رب العالمين تدارك بها عبده الذى اصطاده الشيطان وخلصه مما وقع فيه . وبملازمة العبد لهذا يكون بعيدا عن الظلم والأوزار وكل مايغضب الرحمن .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الدعوات حديث رقم ٦٤٠٧ .
(٢) " " " " " ٦٤٠٦ .

# المبحث الثالث

## كف النفس عن الظلم

## المبحث الثالث

## " كف النفس عن الظلـــم "

قال الله تعالى :

﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ﴾ (١)

هذا لون من ألوان التخلص من الظلم بالامتناع من الوقوع في المعاصي ورفضها مهما كان من المغريات الجالبة لذلك ، فنبي الله يوسف — عليه السلام — عندما أراد الله له ما أراد وما حصل بينه وبين أخوته وما قد بينه الله في كتابه الكريم حتى آل به الأمر الى أن صار في بيت العزيز بمصر عند زوجة العزيز ، وقد أوصاها زوجها به خيرا ، ولكن لا يخفى شر النساء ومكرهنّ وكيدهنّ ، فلما كان في يوسف من الجمال ما كان جرى الشيطان في عروقها وزيّن لها الشر وأن تراود يوسف عن نفسه أن يفعل فيها الفاحشة ففعلت ذلك بمحاولته في هذا ولكنه امتنع أشدّ الامتناع ، وولّى هاربا عندما أرادت اجباره على ذلك وصار من أمره ما صار وما لاقاه من التّهم الكاذبة والسجن وهو صابر ، حتى أظهره الله وأبطل كيد الخائنين .

يقول ابن كثير :

( يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته عن نفسه ودعته إليها وذلك أنها أُحبّته حبّا شديدا لجماله وحسنه وبهائه

---

(١) سورة يوسف : آية (٢٣) .

فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها ﴿ قالت هيت لك ﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع و ﴿ قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواي ﴾ وكانوا يطلقون الرب على السيد والكبير أي أن بعلك ربى أحسن مثواى أى منزلى وأحسن إلي فلا أقابله بالفاحشة فى أهله ﴿ انه لايفلح الظالمون ﴾ ) (١) .

إن الاقدام على المعصية أو تبييتها فى النفس قد يردى صاحبها وقد يكون فى ذلك خسرانه وندامته ، ولنذكر قول الله — تعالى — عن أصحاب الجنة وهو البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه حيث حلفوا بينهم ليحصدن الثمر فى الليل حتى لايعلم فقير ولا سائل فيعطى من ذلك حق فقره ومسكنته وبيّتوا النيّة الباطلة والعمل الردىء والذى يخالف ما حض عليه المولى — عز وجل — فكان عاقبة أمرهم خسرا حيث حنّثهم — تعالى — فى أيمانهم فأصاب البستان آفة سماوية فجعلته هشيما وهذا جزاء الظالمين . وستأتى الآيات فى موضعها (٢) وبيان ذلك إن شاء الله تعالى .

نعم ان هذا جزاء من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم عليه ومنع الحقوق ، هذا جزاء من قدم على الأعمال التى لاترضى الله — تعالى — .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٤٧٣ .

(٢) سورة القلم : آية (١٧ — ٣٣) .

**وهنا** فرق بين من كف نفسه عن كل عمل عاقبته وخيمة وفيهـا مضرّة عليه في دينه ودنياه ، وبين من يوقع نفسه في مهاوى الردى بالظلم والتسبب في هلاكها في الدنيا والآخرة .

فالامتناع وعصيان النفس والوقوف عند حدود الله - تعالى - فيه الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة وإن في موقف يوسف - عليه السلام - الإيماني وقصته لعبرة لأولى الألباب .

**كيف** لا يكون ذلك والمولى - عز وجل - يبين لنا في محكم التنزيل فيقول - تعالى - : ﴿ وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم * وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ (١) .

**هكذا** ينبغي أن يسلك الشباب المسلم هذا المسلك الإيماني وأن يثقوا بالله - تعالى - فيقفوا عند حدوده ويمنعوا أنفسهم من الهلكة والوقوع في المعاصي التي هي ظلم للنفس في مجاوزة الحد بالاعتداء على محارم الله - تعالى - ويفوزوا برضاء الله - تعالى - في الدنيا وتحقيق أمانيهم وتذليل الصعوبات التي تقف في طريقهم كما حصل لسلفهم الصالح ، وإن حصل ما يكدر الصفو ، فلا يستنكر ،

---

(١) سورة يوسف : آية (٥٤ - ٥٧) .

فهذه سنّة الحياة وخاصة لعباد الله الصالحين .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " الدنيا سجن المؤمن جنة الكافر " (١) .

**فالعاقبة** دائما تكون لعباد الله المؤمنين الملتزمين بأوامره والواقفين عند حدوده ولا تزعزعهم الأهواء ولا المغريات ، والسوء للظلمة المارقين الذين يجترؤون على محارم الله — تعالى — ويوقعون أنفسهم فى شبك ذلك .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد ١ ، والترمذى كتاب الزهد ١٦ ، وابن ماجه كتاب الزهد ٣ ، وأحمد فى المسند : ٢/٣٢٣ .

# المبحث الرابع

## التوبة

## المبحث الرابع

## التوبـــة

**قال الله تعالى :**

﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إنه غفور رحيم ﴾ (١) .

هذه الآية الكريمة مترتبة على الآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾ .

فلا زلنا نجد لطف الله ورحمته وعد له تظهر واضحة اذا تدبرنا كتابه الكريم . فهذه الكبيرة والتى هى السرقة عندما يرتكبها العبد فان الله -عز وجل- بين لنا كيفية الخلوص منها لأن هذا ظلم قد تعدّى إلى الغير ، فحفظا على حقوق النّاس جعل الله الحد فى السرقة " قطع اليد " التى تعتبر عضوا فاسدا فى الجسد والعضو الفاسد ليس له إلا الإزالة حتى يبقى الانسان شريفا ويعرف حرمة حقوق الآخرين مثلما يرى حرمته .

وقد بيّن لنا -تعالى- أن التوبة تكون عما باشره وعن كل التبعات لما باشره ، والعزم على ترك المعاودة لذلك ، وإصلاح النفس يكون بالالتزام بما أحلّ الله له والابتعاد عن كل ما حرم الله عليه ، فبذلك يبقى الانسان صالحا سالما من الأدناس والأمراض المعنوية المؤدية به الى الهلاك .

---

(١) سورة المائدة : آية (٣٩) .

واللفظ هنا فى الآية عام ، فيشمل السارق وغيره من المذنبين والاعتبار بعموم اللفظ/ لا بخصوص السبب ، كما لا يفوت على أحد أن ماكان فيه حق للغير فلا يسقط بالحد بل لا بد من رد ذلك لصاحبه أو التحلل منه .

والسنة المطهرة تحافظ أشد المحافظة على إقامة الحدود وعدم اسقاطها ، وهذا من العدل الربانى حتى تبقى البشرية فى أمن ورخاء . فالشريف والوضيع فى الحق سواء .

عن عائشة زوج النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أن قريشا أهمهم شأن المرأة التى سرقت فى عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة الفتح فقالوا : من يكلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا ومن يجترىء إلّا أسامة بن زيد حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأتى بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكلّمه فيها أسامة بن زيد فتلوّن وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال أتشفع فى حد من حدود الله ؟

فقال له أسامة : استغفر لى يارسول الله فلما كان العشى قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاختطب فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال :

أما بعد : فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وإنى والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر بتلك المرأة التى سرقت فقطعت يدها . قال يونس قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت

تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -" (١)

وفي رواية لمسلم عن عائشة قالت : كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم فيها .... الحديث .

ولا نذهب بعيدا ولكن أردنا بيان أن توبة الله - تعالى - على الظالم نفسه لا تعني إسقاط الحد عنه إذا بلغ السلطان ويرد على هذا سؤال : كيف يكون التوفيق بين الحديث وقول الله - تعالى - :

﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ . (٢)

**والجواب** : أن هذه الشفاعة إنما هي في قضاء حوائج الناس وتيسير أمورهم وليست في ابطال الحدود وإشاعة الفوضى في المجتمع .

قال ابن كثير في بيان معنى هذه الآية :

( قال مجاهد بن جبر : " نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض " ) (٣) اهـ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الحدود حديث رقم ٦٧٨٨ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره واللفظ له .

(٢) سورة النساء : آية (٨٥) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٥٣١ .

(-) المرأة المخزومية هي فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . أنظر فتح الباري : ج ١٢ ص ٨٨ .

عن أبى موسى قال : كان النبى - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه السائل وربما قال جاءه السائل أو صاحب الحاجة قال اشفعوا فلتؤجروا ويقضى الله على لسان رسوله ماشاء "(١) .

قال ابن حجر :

( قال الطيبى : " الفاء واللام زائدتان للتأكيد لأنه لو قيل اشفعوا تؤجروا صحّ أى إذا عرض المحتاج حاجته علىّ فاشفعوا له الىّ فانكم ان شفعتم حصل لكم الأجر سواء قبلت شفاعتكم أم لا ، ويجرى الله على لسان نبيه ماشاء أى من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها ، أى إن قضيتها أو لم أقضها فهو تقدير الله - تعالى - وقضائه " )(٢) اهـ

ومن هذا يفهم أن الشفاعة الحسنة هى فى الأمور التى ترجع على الأفراد والجماعات بما هو خير . وبضدها الشفاعة السيئة التى منها الشفاعة فى الحدود فهذا هو الذى لا تجوز الشفاعة فيه عند السلطان لأن فى إقامة الحدود استقامة واستقرارا للأفراد والجماعات وحصول الأمن والاطمئنان على الأنفس والأموال ، وكذا يحصل التخلص من تلك المعصية ، ويكون فى إقامة الحد رادعا وزاجرا . وقد يحصل

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد حديث رقم ٧٤٧٦ ، وكتاب الزكاة حديث رقم ١٤٣١ ، والأدب رقم ٦٠٢٦ ، ٦٠٢٨ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة ١٤٥ ، وأبو داود : كتاب الأدب ١١٧ ، والترمذى : كتاب العلم ١٤ ، والنسائى : كتاب الزكاة ٦٥ ، وأحمد فى المسند : ٤ / ٤٠٠ .....

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب الأدب ج ١٠ ص ٤٥١ .

بهذا الاستقامة ، فالمرأة المخزومية تقول عنها عائشة فى الحديث الذى ذكرنا بأنها حسنت توبتها وكانت تأتى اليها وترفع حاجتها الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

كان السلف الصالح اذا وقع أحد هم فى أى مظلمة فانه سرعان مايصل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويقول : طهرنى يارسول الله . كل هذا من أجل التخلص من المظالم .

عن عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت نبى الله — صلى الله عليه وسلم — وهى حبلى من الزنى فقالت : يانبى الله أصبت حدا فأقمه علىّ فدعا نبى الله — صلى الله عليه وسلم — وليّها فقال أحسن إليها فاذا وضعت فائتنى بها ففعل فأمر بها نبى الله — صلى الله عليه وسلم — فشكّت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر تصلى عليها يانبى الله وقد زنت فقال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ". (١)

هكذا يجود المؤمن بنفسه فى سبيل الحق وإن أودى ذلك بحياته لأنه يعلم أن عذاب الله أشد وأبقى فيخلص نفسه مما قد وقع فيه من ظلم لها حتى يسلم من العذاب الأخروى .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحدود ٢٣ " حد الزنا " .

# الفصل الثالث

## عقوبة الظلمة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: مسببات الظلم.

المبحث الثاني: عظم عقوبة الظلم.

المبحث الثالث: جزاء ظالمي أنفسهم بالشرك في الدنيا والآخرة.

المبحث الرابع: جزاء آكلي أموال اليتامى ظلماً.

المبحث الخامس: جزاء آكلي أموال المؤمنين ظلماً وعدواناً.

المبحث السادس: عاقبة الظلم في المسجد الحرام.

المبحث السابع: جزاء الظالمين في الآخرة.

المبحث الثامن: القصاص من عدل الله تعالى.

## الفصل الثالث

## عقوبة الظلمة

إن من الحكمة الإلهية أن قسّم الله الناس فى هذه الحياة الدنيا إلى قسمين : أصحاب شمال وأصحاب يمين ، فأصحاب الشمال يعملون بعمل أهل النار فيد خلونها ، وأصحاب اليمين يعملون بعمل أهل الجنة فيد خلونها .

والذى نحن بصدده هو عقوبة الظلمة - أهل الشمال - الذين لم يترفعوا عن الظلم فى حياتهم الدنيا على اختلافه باغترارهم بالحياة الدنيا وما فيها من لذات ومغريات فاتبعوا أهواءهم وعصوا ربهم بتقديم شهواتهم وطاعة شيطانهم فهم غافلون عما أعد الله لهم من العقوبة .

قال تعالى : ﴿ ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ۞ مهطعين مقنعى رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما للظالمين من نصير ﴾ (٣) .

وسأسبق ذكر العقوبة بيان أسباب الظلم ليكون الحذر منها اتقاء للعقوبة والعذاب ، وسيأتي هذا الفصل في المباحث التالية :

---

(١) سورة ابراهيم : آية (٤٢ - ٤٣) .

(٢) سورة غافر : آية (١٨) .

(٣) سورة الحج : آية (٧١) .

# المبحث الأول

## مسببات الظلم

## المبحث الأول

### مسببات الظلم

الظلم مصدره بل أسبابه ثلاثة أشياء :

١ ) الشيطان : هذا هو العدو الأول وهو السبب في خروج آدم -عليه السلام- من الجنة إلى هذه الحياة الدنيا وقد حذرنا الله منه وبيّن لنا عداوته فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾ (١) .

فهو دائماً و أبدًا بدوام الحياة يأمر الانسان بالفحشاء ويعده الفقر ليحثّه على المنكرات وكل مايغضب ربّ الأرض والسموات ، ويجعل الدنيا أكبر همّه ومبلغ غايته . قال تعالى :

﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾ (٢) .

فهو يتوعد الإنسان بأن يغويه ويضله ويمنّيه الأماني الكاذبة حتى يرتكب مانهاه الله عنه من تعديات وتغيير لخلق الله. والمولى -عز وجل- بيّن لنا هذا وحذرنا من اتباع الشيطان وما يعد من غرور للانسان لاضلاله وليكون من حزبه وأعوانه. قال تعالى : ﴿ إن يدعون من دون الله إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا ﴿ لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا

---

(١) سورة البقرة : آية ( ٢٠٨ ) .

(٢) سورة البقرة : آية ( ٢٦٨ ) .

مفروضا * ولأضلنّهم ولأمنّينّهم ولآمرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعام ولآمرنّهم فليغيّرنّ خلق الله * ومن يتخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا * يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غرورا * أولئك مأواهم جهنّم ولا يجدون عنها محيصا ﴾* (١) .

الشيطان يستحوذ على القلوب أى يغلب عليها فينسى ذكر الله أى ما أمر الله ـ تعالى ـ به حتى يصبح من الخاسرين . وقد بيّن تعالى هذا فقال :

* استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾* (٢) .

ويقول تعالى : * إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير * (٣) .

هذا واحد من أعداء الانسان وهو العدو الكبير والأساس للأعداء الآخرين .

٢ ) __النفس__ : __وهى ثلاثة أنواع__ :

١ - **نفس أمّارة** : وهى التى من شأنها الأمر بالسوء لميلها الى الشهوات وتأثيرها بالطبع وصعوبة قهرها وكفها عن ذلك .

---

( ١ ) سورة النساء : آية ( ١١٧ - ١٢١ ) .

( ٢ ) سورة المجادلة : آية ( ١٩ ) .

٢ — **نفس لوّامة** : وهى : " كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة ، تلوم المحسن نفسه أن لا يكون ازداد احسانا ، وتلوم المسىء نفسه أن لا يكون رجع عن اساءته " (١) .

٣ — **نفس مطمئنة** : وهى التى اطمأنت على ما وعد الله أهل الإيمان به فى الدنيا من الكرامة فى الآخرة .

والغالب على النّفس هو الميل الى الدنيا والانحراف عن الطاعة لأن الشيطان يجرى مع الانسان مجرى الدم ويزيّن للنفس اتباع الهوى والنفس سرعان ماتهوى وتسعى إلى ذلك .

قال ابن القيّم :

( أنها ـ أى النفس ـ (٢) جاهلة ظالمة وأن الجهل والظلم يصدر عنهما كل قول وعمل قبيح . ومن وصفه الجهل والظلم لا يطمع فى استقامته واعتداله البتّة فيوجب له ذلك بذل الجهد فى العلم النافع الذى يخرجها به عن وصف الجهل ، والعمل الصالح الذى يخرجها به عن وصف الظلم ، ومع هذا فجهلها أكثر من علمها وظلمها أعظم من عدلها فحقيق بمن هذا شأنه أن يرغب إلى خالقها وفاطرها أن يقيها شرها ، وأن يؤتيها تقواها ويزكيها ، فهو خير من زكّاها ، فانه ربها ومولاها ، وأن لا يكله إليها طرفة عين ، فإن وكله إليها هلك . فما هلك من هلك الا حيث وكل الى نفسه .... ، فمن عرف حقيقة نفسه وما طبعت عليه ، علم أنها منبع كل شر ، ومأوى كل سوء ، وأن كل خير فيها ففضل من الله من به عليها لم يكن منها كما قال تعالى :

﴿ ولكن الله حبّب إليكم الإيمان و زيّنه فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ (٣) .

---

(١) اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج ١ ص ٧٧ ، دار المعرفة
(٢) الامارة بالسوء
(٣) سورة الحجرات : آية (٧)

فهذا الحب وهذه الكراهة لم يكونا بالنفس ولا بها ، ولكن هو الله الذى منّ بهما ، فجعل العبد بسببهما من الراشدين ﴿ فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ (١) ، ﴿ عليم ﴾ بمن يصلح لهذا الفضل ويزكو عليه وبه ويثمر عنده . ﴿ حكيم ﴾ فلا يضعه عند غير أهله فيضيعه فى غير موضعه . ) (٢) اهـ

يقول تعالى حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ وما أبرىء نفسى إن النفس لأمّارة بالسوء ﴾ (٣) .

ويقول تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنّة ارجعى الى ربّك راضية مرضية ﴿ فادخلى فى عبادى وادخلى جنّتى ﴾ (٤) .

ويقول تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ (٥)

٣ ) **الهوى** : أما الهوى فقد ذكره الله فى كتابه العزيز فى أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ (٦)

وقال تعالى : ﴿ وأمّا من خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنّة هى المأوى ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الحجرات : آية (٨) .
(٢) مدارج السالكين : ج ١ ص ٢٢٠ .
(٣) سورة يوسف : آية (٤٠) .
(٤) سورة الفجر : آية (٢٧ - ٣٠) .
(٥) سورة القيامة : آية (١ - ٢) .
(٦) سورة النساء : آية (١٣٥) .
(٧) سورة النازعات : آية (٤٠) .

وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ولا يصدنّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم ﴾ (٥) .

فى هذه الآيات البينات بيان من المولى - عز وجل - أن فى اتباع الهوى يحصل الخسران المبين الذى يؤدى بصاحبه الى فقدان الخير والمسرات والنعيم الدنيوى والتلذذ بطاعة رب العالمين وبعبادته التى عاقبتها النعيم المقيم بجوار رب العالمين .

وآية الأعراف : ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ﴾ .

قال عبد الرحمن السعدى ، عن الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها ، .

( يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ﴾ . أى : علمناه كتاب الله ، فصار العالم الكبير ، والحبر النحرير ، ( فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ) أى : انسلخ

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٧٦) .
(٢) سورة الكهف : آية (٢٨) .
(٣) سورة طـه : آية (١٦) .
(٤) سورة القصص : آية (٥٠) .
(٥) سورة الأعراف : آية (٢٧) .

من الاتصاف الحقيقى بالعلم بآيات الله ، فإن العلم بذلك ، يصير صاحبه متصفا بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ويرقى إلى أعلى الدرجات ، وأرفع المقامات .

فترك هذا كتاب الله وراء ظهره ، ونبذ الأخلاق التى يأمر بها الكتاب ، وخلعها كما يخلع اللباس .

فلما انسلخ منها ، اتبعه الشيطان : أى تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين وصار الى أسفل سافلين فأزه الى المعاصى أزا ، ﴿ فكان من الغاوين ﴾ بعد أن كان من الراشدين المرشدين . وهذا لأن الله - تعالى - خذله ، ووكله إلى نفسه . فلهذا قال تعالى : ﴿ ولو شئنا لرفعناه بها ﴾ بأن نوفقه للعمل بها فيرتفع فى الدنيا والآخرة فيتحصن من أعدائه ﴿ ولكنه ﴾ فعل مايقتضى الخذلان ( اذ أخلد الى الأرض ) أى : الى الشهوات السفلية والمقاصد الدنيوية ﴿ واتبع هواه ﴾ وترك طاعة مولاه ﴾ . (١)

هذا سبب اتباع الهوى والرضى بالدنيا والظن أنها تدوم ويخلد فيها .

هذه نبذة بسيطة تمهيدا للبحث الذى نحن بصدده وهو عقوبة الظلمة لأن فيما أوردناه مايجعل هناك رادعا وزاجرا للانسان من الوقوع فى الظلم وما يغضب رب العباد وما بسببه يكون دخول النار وغضب الجبار ، ثم يعرف الانسان أعداءه فى هذه الحياة الدنيا وخاصة ماهوسبب غوايته ، وأيضا قرناء السوء الذين وقعوا فى هذه الشبكة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنّان : ج ٣ ص ١١٦ ، المؤسسة السعيدية بالرياض .

التى بيناها فهم يدعون غيرهم ليوقعوهم فيما قد وقعوا فيه ، فليحذر الانسان من هذا ، وليكن دائما يقظا منتبها من أن لايدخل عليه شىء مما ذكرنا وأن لايقع وهو لايعلم ، فإن الشيطان حريص على غواية الانسان وليس له وظيفة وليس له عمل الا السعى فى الأرض هو وجنوده ليضلوا ابن آدم ويأخذوا به ليكون من حزبهم ويكون المسكن سويًا فى نار جهنم والعياذ بالله من ذلك ٠

فالله — سبحانه وتعالى — يوصى عباده ويحذرهم من الشيطان فيقول تعالى : ﴿ يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون ﴾ (١) ٠

وسنوالى ما ييسره الله — تعالى — مما ورد فى عقوبة الظلمة الذين انحرفوا عن صراط الله المستقيم ٠

---

(١) سورة الاعراف : آية (٢٧) ٠

# المبحث الثاني

## عظم عقوبة الظلم

## المبحث الثاني

## "عظم عقوبة الظلم"

قال الله تعالى :

﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد * وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب * وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد ﴾ (١) .

قال السعدى : ( ولما ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم قال الله تعالى لرسوله :

﴿ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك ﴾ لتنذر به ، ويكون آية على رسالتك ، وموعظة وذكرى للمؤمنين .

﴿ منها قائم ﴾ لم يتلف ، بل بقى من آثار ديارهم ، ما يدل عليهم .

( و ) منها ( حصيد ) قد تهدمت مساكنهم ، واضمحلت منازلهم ، فلم يبق لها أثر .

﴿وما ظلمناهم ﴾ بأخذهم بأنواع العقوبات ﴿ ولكنهم ظلموا أنفسهم ﴾ بالشرك والكفر والعناد .

﴿ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ وهكذا كل من التجأ الى غير الله ، لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد .

---

(١) سورة هود : آية (١٠٠ ـ ١٠٢) .

﴿ وما زادوهم غير تتبيب ﴾ أي : خسار ودمار ، بالضد مما خطر ببالهم ، أي يقصمهم بالعذاب ويبيدهم ولا ينفعهم وكانوا يدعون من دون الله من شيء ﴾ (١) .

قال سيد قطب :

( ومصارع القوم معروضة ، ومشاهدهم تزحم النفوس والخيال ، منهم الغارقون في لجة الطوفان الغامر ، ومنهم المأخوذون بالعاصفة المدمرة ، ومنهم من آخذته الصيحة ، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض ، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ، وما حل بهم من قبل في الدنيا للأنظار ..... ) ثم يستمر في بيان أنواع الهلاك فيقول : ( لا تزال آثاره تشهد بما بلغ أهله من القوة والعمران كبقايا عاد في الأحقاف ، وبقايا ثمود في الحجر ... ) (٢) اهـ

إننا اذا تدبرنا آيات الله وما جرى بين الرسل وأممهم وطاعة الطائعين ومعاندة ومكابرة المكابرين ومرور السنين الطويلة على ذلك وبلوغ الشر نهايته ينزّل الله عذابه على من طغى وبغى وأفسد في الأرض بعد اصلاحها وتطاول في الأذى على رسله وعباده المؤمنين ، ولا عبرة لنسب ولا غنى ولا سلطان ، وإن ما حصل لبعض قرابة الرسل من العذاب جزاء على ظلمهم ليعطي صورة حقة للعدالة الحقة والتنزه التام ، فلو تدبرنا ما قصّه الله علينا في كتابه العزيز عن نوح وابنه لكان في ذلك عبرة لأولي الألباب ، وإنذارا لمن حادوا عن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان : ج ٣ ص ٤٥٩ — ٤٦٠ المؤسسة السعيدية بالرياض .

(٢) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ١٩٢٧ .

صراط الله المستقيم . قال تعالى : ﴿ ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين * قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غيرصالح فلا تسألن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ (١) .

قال محمد رشيد رضا :

( إن الله يجزى الناس فى الدنيا والآخرة بإيمانهم وأعمالهم لا بأنسابهم ولا يحابى أحدا منهم لأجل آبائه وأجداده الصالحين وإن كانوا من الأنبياء المرسلين وأن من سأله من هؤلاء الآباء ما يخالف سننه فى شرعه وحكمته فى نظام خلقه كان مذنبا يستحق التأديب حتى يتوب وينيب .... .... )

ثم قال : ( إن هؤلاء المغرورين بأنسابهم من الشرفاء الجاهلين بكتاب ربهم وما يليق بعظمة الربوبية وعلو الألوهية ، الجاهلين بسنة نبيهم الذين يزعمون أنهم أفضل من العلماء العاملين والصالحين المصلحين ، والأغنياء الشاكرين والفقراء الصابرين ، وإن كانوا عراة مما كسا الله هؤلاء الأصناف من لباس التقوى والدين ، وأنهم يستحقون سعادة الدنيا والآخرة بنسبهم ، ويستحقونها من عظمهم وأفاض عليهم من ماله بمحاباة الله له لأجلهم ، أولئك هم الجاهلون ، الذين يشهد عليهم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وهديه فى إنذار عشيرته وأهل بيته

---

(١) سورة هود : آية (٤٥ — ٤٦) .

كقوله لبنته سيدة نساء العالمين : " يافاطمة بنت محمد سليني من مالي ماشئت لا أغني عنك من الله شيئا " (١) .

ثم قال : ( هؤلاء الجاهلون المساكين يعدون أعدى أعدائهم من يدعوهم أو يدعو الناس الى كتاب الله وسنة رسوله خاتم النبيين ، ويعدون أصدق أصدقائهم المبتدعين الخرافيين المشعوذين ) (٢) اهـ

ولو وقفنا هنيهة ناظرين فيما فعل الله — تعالى — بأعدائه ونصرته لأنبيائه وأوليائه ماذا يقول القائل العاقل المنصف ؟ أليس هذا عدل فيما فعل بالظلمة ؟ أليس هذا تنزه من الله تعالى عن الظلم ؟ ان الظلم كل الظلم أن يترك أعداء الله يفسدون في الأرض ، ويقتلون أولياء الله ورسله بغير حق ولم يجازوا على ذلك وحاشا الله عن ذلك .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الوصايا ١١ ، النسائي كتاب الوصايا ٦ ، الدارمي كتاب الرقاق ٢٣ ، وأحمد في المسند ٢٠٦/١ .

(٢) تفسير المنار ج١٢ ص٨٧ دار المعرفة بيروت لبنان .

# المبحث الثالث

## جزاء ظالمي أنفسهم بالشرك في الدنيا والآخرة .

## المبحث الثالث

## جزاء ظالمي أنفسهم بالشرك في الدنيا والآخرة

يقول تعالى :

﴿ سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾(١) .

يبيّن الله — تعالى — لنا أنه يقذف الخوف في قلوب أعدائه الكفرة وأعداء عباده ، فهو يصدهم ويرجعهم خائفين بسبب شركهم بربهم وخالقهم ولجوئهم الى غيره — تعالى — الأمر الذي ليس لهم فيه حجة ولا برهان ، وقد جعل سبحانه النار مصيرهم ومأواهم جزاء شركهم بالله تعالى ، ففي الدنيا يصابون بالرعب فهم في خوف وقلق فلا ملجأ لهم عند الشدائد . وأما حالهم في الآخرة فأشد وأعظم وهو ما أعدّ لهم الجبار من مسكن يأوون إليه جزاء شركهم وهي نار جهنم فبئس المثوى والمستقر لهؤلاء الظالمين الذين ظلموا أنفسهم حيث أوردوها موارد الهلاك وحرموها من السعادة الأبدية .

لقد ندّد تعالى بالشرك وأهله لأنه أعظم الذنوب التي عصي الله بها . قال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ انه من يشرك فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾(٣) .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٥١) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٨٨) .

(٣) سورة المائدة : آية (٧٢) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطّفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ (١) ٠

وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما ﴾ (٢) ٠

وقال تعالى : ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٣) ٠

الى غير ذلك من الآيات التى تندد بالمشركين وتبيّن عقوبتهم ، فهم ظلمة وأىّ ظلم أعظم عند الله من الشرك ؟

إنه — تعالى — يصيب من يرتكب هذا الظلم بالرعب ، واذا أصيب الانسان بالرعب لم تقم له قائمة فى الدنيا فهو دائما ذليل ، ودائما مهزوم ومغلوب وعليه الصولة ، وهذا ما حصل لكفار قريش من الهزيمة أمام الرسول — صلى الله عليه وسلم — مع كثرة عددهم وعددهم وقلة المسلمين ٠ قال الله تعالى فى بيان نصره للمؤمنين وخذلانه للكافرين :

﴿ إذ يوحى ربك الى الملائكة أنّى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم

---

(١) سورة الحج : آية (٣١) ٠
(٢) سورة النساء : آية (٤٨) ٠
(٣) سورة النساء : آية (٧٢ — ٧٣) ٠

كل بنان * ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب * ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ﴾ (١) .

هذا نوع من العقاب الدنيوى .

هذا إضافة الى أن من يموت بقتل أو غيره ولم يتب من هذا الظلم فإن الله جعل النار هى مأواه أى منزله الذى يأوى اليه . قال تعالى : ﴿ فأمّا من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية ﴾ (٢) . فالنار التى هى مقر الظلمة كالأم التى تحتضن ابنها وتجعله فى حجرها فالنار تطبق على أولئك الذين فرّطوا فى جنب الله وعصوه بإعراضهم عن دينه وجعلوا له أندادا .

عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " يقول الله تعالى : لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها فيقول نعم . فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لاتشرك أحسبه قال ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك " (٣) .

إن من عظم هذا الذنب عند الله — تعالى — والذى لايرضاه أبدًا ولا يغفره لمن مات عليه أن حذر نبيه وصفوة خلقه محمدا — صلى الله عليه وسلم — ومن كان قبله من الأنبياء وغيرهم من هذا فقال تعالى : ﴿ ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنفال : آية (١٢ — ١٤) .

(٢) سورة القارعة : آية (٦ — ٩) .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب المنافقين حديث رقم ٢٨٠٥ ، والبخارى فى صحيحه كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٣٣٤ .

(٤) سورة الزمر : آية (٦٥ — ٦٦) .

# المبحث الرابع

## جزاء آكلي أموال اليتامى ظلماً

## المبحث الرابع

## " جزاء آكلى أموال اليتامى ظلما "

**قال الله تعالى :**

﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ (١)

**إن** من يأكل مال اليتامى بلا سبب مشروع فإنما يأكل فى بطنه نارا يوم القيامة جزاء على اعتدائه على مال أولئك الضبية الصغار الذين فقدوا آباءهم وحرموا حنانهم وإن كان الله لايضيع أحدا من خلقه والجزاء من جنس العمل .

**فكان** من عدله — تعالى — أن أنزل البيان العظيم على خلقه مبيّنا عظم العقوبة وهى النار التى تتوقد فى بطنه يوم القيامة مثلما أكل مال اليتامى الضعفاء الذين لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، بل ينظرون الى من يواسيهم فى مصابهم ويداوى جراحهم بسد فاقتهم بحفظ أموالهم إن وجد لهم شيئا ، والانفاق عليهم منها دون اسراف أو عبث بها .

**فمن** رحمة الله — تعالى — أن بيّن مالهم من حقوق وحضّ على الرأفة والعطف بهم والاحسان إليهم فقال تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم

---

(١) سورة النساء : آية (١٠) .

الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ﴾ [١] الآية .

وقال تعالى : ﴿ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيّب ﴾ [٢] الآية

وقال تعالى : ﴿ واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ﴾ . [٣] الآية

كما حذّر — تعالى — من التعدى على حقوقهم وأكلها بالباطل وذمّهم فقال تعالى :

﴿ ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ﴾ [٤] الآية

أى : لا تتصرفوا فى مال اليتيم الا بما يرجع عليه بالنفع من التصرف فى ذلك بما يجعله ينمو مع الحذر مما فيه ضياع لذلك .

عن أبى ذر — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " يا أبا ذر إنى أراك ضعيفا وإنّى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرنّ على اثنين ولا تولينّ مال يتيم ﴾ [٥] .

قال تعالى : ﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضّون على طعام المسكين ﴾ [٦]

---

(١) سورة البقرة : آية (١٧٧) .

(٢) سورة النساء : آية (٣) .

(٣) سورة النساء : آية (٨) .

(٤) سورة الاسراء : آية (٣٤) .

(٥) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة حديث رقم ١٨٢٦ .

(٦) سورة الفجر : آية (١٧) .

وقال تعالى : ﴿ وأما اليتيم فلا تقهر ﴾[١] .

قال ابن كثير :

( أى كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أى لا تذله وتنهره وتهنه ولكن أحسن اليه وتلطّف به . قال قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم )[٢] .

**مادام** هذا خطاب للرسول — صلى الله عليه وسلم — الذى هو خير البريّة . فكيف ببقية العباد الضعفاء كثيرو الأخطاء والذنوب الذين يعتدون على أموال اليتامى فيأكلونها ظلما وبهتانا ؟ كيف بمن يسيء اليهم أو يضربهم أو يشتمهم أو ينهرهم أو يهينهم ؟

**هذا** أمر عظيم والخطر أعظم من ذلك على من وقع منه مخالفة فى حق اليتامى إنه لايقدم على هذا إلا كل ظالم غشوم رأى أن لا أب له يدافع عنه حيث توفّاه الله — تعالى — ، ونسي أو تناسى ما أوعد الله به ظالمى اليتامى من العقوبة الأليمة .

قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لاتعبدون إلا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا ﴾[٣] .

**ومن رحمة** الله — تعالى — بهؤلاء الصبية الضعاف — الأيتام — أن جعل لهم حظّاً فى الفيء فقال تعالى : ﴿ ما أفاء الله على رسوله

---

(١) سورة الضحى : آية

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٥٢٣ .

(٣) سورة البقرة : آية (٨١) .

من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لايكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ (١) .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله وما هنّ ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النّفس التى حرّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّى يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات " (٢) .

وعن سهل بن سعد عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وشبّك بأصبعيه السبّابة والوسطى " (٣) .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " اللهم إنّى أحرّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة " (٤)

---

(١) سورة الحشر : آية (٧) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الوصايا حديث رقم ٢٧٦٦ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ٨٩ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الطلاق حديث رقم ٥٣٠٤ ، والأدب ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد ٤٢ ، وأبو داود كتاب الأدب ١٢٣ ، والترمذى كتاب البر ١٤ ، وأحمد فى المسند ٢ / ٣٧٥ .

(٤) رواه أحمد فى المسند ٢ / ٤٣٩ ، وابن ماجه فى كتاب الأدب ٣٦٧٨ ، وقال محمد فؤاد عبد الباقى : « المعنى أحرج عن هذا الإثم بمعنى أن يضيع حقهما . وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا . وأزجر عنه زجرا أكيدا . قال النووى : وإسناده صحيح ، ورجاله ثقات » وسنن ابن ماجه ٢ / ١٢١٣ .

## الأكل المحرّم والأكل المشروع:

أمّا بالنسبة للأكل المحرم فالآية التى هى مدار بحثنا تبيّن حرمة أكل أموال اليتامى ظلما وأن ذلك نار تتوقد فى بطونهم ، وقد بينا ووضحنا ذلك مع الأدلة من الكتاب والسنة فلا يجوز بوجه من الوجوه الأكل من أموال اليتامى إلا ما صرّح الله — تعالى — به فى قوله :
﴿ ومن كان غنيا فليستعف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ عنه ولا يأكل منه شيئا . وقال الشعبى : هو عليه كالميتة والدم . ﴿ ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ " نزلت فى والى اليتيم الذى يقوم عليه ويصلحه إذا كان محتاجا أن يأكل معه " ) (٢) .

وعن عائشة — رضى الله عنها — : " ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ﴾ .
قالت : أنزلت فى والى اليتيم أن يصيب من ماله إذا كان محتاجا بقدر ماله بالمعروف " (٣) .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رجلا أتى النبى

---

(١) سورة النساء : آية (٦) .
(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٤٥٣ .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الوصايا ٢٧٦٥ ، وكتاب الحدود ٤٤ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان ١٤٤ ، ورواه أبو داود كتاب الوصايا ١٠ ، ورواه أحمد فى المسند ٢/١٨٦ ..

( رسول الله ) — صلى الله عليه وسلم — فقال : إنى فقير ليس لى شىء ولي يتيم قال : فقال " كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متأثل "(١) .

قال شمس الحق العظيم آبادى :

( ولا مبادر ) من المبادرة قال تعالى : ﴿ وبدارا أن يكبروا ﴾ وهذا الذى يظهر فى تفسير الحديث ، وضبطه الحافظ السيوطى فقال قوله " ولا مبادر " قيل : معناه ولا مسرف فهو تأكيد وتكرار ولا يبعد ، وقيل : لا مبادر بلوغ اليتيم بانفاق ماله " ولا متأثل " قال الخطابى : أى غير متخذ منه أصل مال ، وأثلة الشىء أصله ووجه إباحته له الأكل من مال اليتيم أن يكون ذلك على معنى ما يستحقه من العمل فيه والاستصلاح له ، وأن يأخذ منه بالمعروف على قدر مثل عمله ، وقد اختلف الناس فى الأكل من مال اليتيم . فروى عن ابن عباس أنه قال : يأكل منه الوصي إذا كان يقوم عليه ، وإليه ذهب أحمد ابن حنبل . وقال الحسن والنخعى : يأكل ولا يقضى ما أكل . وقال عبيدة السلمانى وسعيد بن جبير ومجاهد : يأكل ويؤديه إليه إذا كبر وهو قول الأوزاعى )(٢) اهـ

قال موفق الدين بن قدامة :

( وإذا كان الولي موسرًا فلا يأكل من مال اليتيم شيئا إذا لم

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الوصايا حديث رقم ٢٨٧٢ .

(٢) عون المعبود : ج ٨ ص ٧٤ .

يكن أبا لقوله تعالى : ﴿ ومن كان غنيا فليستعفف ﴾ وإن كان فقيرا فله أقل الأمرين من أجرته أو قدر كفايته لأنه يستحقه بالعمل والحاجة جميعـــا فلم يجز أن يأخذ إلا ما وجدا فيه فإذا أكل منه ذلك القدر ثم أيسر فإن كان أباً لم يلزمه عوضه رواية واحدة لأن للأب أن يأخـذ من مال ولده ماشاء مع الحاجة وعدمها وإن كان غير الأب فهـــل يلزمه عوض ذلك ؟

على روايتين :

١ ) **احداهما** : لايلزمه • وهو قول الحسن والنخعى وأحـد قولـــي الشافعى لأن الله ـ تعالى ـ أمر بالأكل من غير ذكر عوض فأشبه سائر ما أمر بأكله ولأنه عوض من عمله فلم يلزمه بدله كالأجيـــر والضارب •

٢ ) يلزمه عوضه • وهو قول عبيدة السلمانى وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى العاليه لأنه استباحه بالحاجة من مال غيره فلزمـــه قضاؤه كالمضطر إلى طعام غيره •

**والأول** أصح لأنه لو وجب عليه إذا أيسر لكان واجبا فى الذمـة قبل اليسار فإن اليسار ليس بسبب للوجوب فإذا لم يجب بالسبـــب الذى هو الأكل لم يجب بعده وفارق المضطر فإن العوض واجـــب عليه فى ذمته ولأنه لم ياكله عوضا عن شىء وهذا بخلافه )(١) اهـ

---

(١) المغنى والشرح الكبير : ج ٤ ص ٢٩٥ •

# المبحث الخامس

## جزاء آكلي أموال المؤمنين ظلماً وعدواناً..

## المبحث الخامس

## جزاء آكلى أموال المؤمنين ظلما وعدوانا

قال الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما * ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ (١) .

يقول الشيخ السعدى :

( ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل وهذا يشمل أكلها بالغصوب ، والسرقات ، وأخذها بالقمار ، والمكاسب الرديئة ، بل لعله يدخل فى ذلك ، أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف لأن هذا من الباطل وليس من الحق .

ثم انه ـ لما حرم أكلها بالباطل ـ أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسبة الخالية من الموانع ، المشتملة على الشروط ، من التراضى وغيره .

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ أى : لا يقتل بعضكم بعضا ، ولا يقتل الإنسان نفسه ، ويدخل فى ذلك الإلقاء بالنفس الى التهلكة ، وفعل الأخطار المفضية الى التلف والهلاك .

---

(١) سورة النساء : آية (٢٩ ـ ٣٠) .

﴿ إن الله كان بكم رحيما ﴾ ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها ورتب على ذلك ما رتب من الحدود .

**وتأمل** هذا الايجاز والجمع فى قوله : ﴿ لا تأكلوا أموالكم ﴾ ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ كيف شمل أموال غيرك ، ومال نفسك ، وقتل نفسك ، وقتل غيرك بعبارة أخصر من قوله : ( لا يأكل بعضكم مال بعض ) و ( لا يقتل بعضكم بعضا ) مع قصور هذه العبارة على مال الغير ، ونفس الغير .

الى أن قال : ( ﴿ إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم ﴾ أى فإنها مباحة لكم . وشرط التراضى — مع كونها تجارة — لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا ، لأن الربا ليس من التجارة ، بل مخالف لمقصودها ، وأنه لابد أن يرضى كل من المتعاقدين ، ويأتى به اختيارا .

الى أن قال : ( ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أى : أكل الأموال بالباطل ، وقتل النفوس ﴿ عدوانا وظلما ﴾ أى : لا جهلا ونسيانا ﴿ فسوف نصليه نارا ﴾ أى عظيمة كما يفيده التنكير ﴿ وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ .(١)

**مما سبق** بيانه نعرف أن من الظلم أكل الأموال بالباطل كالربا والقمار والبخس والسرقة وما شابه هذا من سائر صنوف الحيل وإن حرّف وبدّل فى المسمّيات تحايلا فالعبرة بالأصل لا بما استعير من مسمّيات لاستباحته وأكله بالظلم والعدوان وهذا من رحمة الله

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنّان : ج ٢ ص ٥٤ — ٥٦ .

بعباده حتى لايطغى أحد على أحد فيحصل الظلم الذى حرمه الله تعالى ، وليبقى الناس على نظام سليم يضبطهم ويكفل للجميع حقوقهم بطريقة مشروعة فلا ضعيف يُطغى عليه ويؤكل حقه ، ولا قوي يعتدى ويأكل ويعبث فى حقوق الآخرين . فالطرق المباحة مفتوحة الأبواب أمام الجميع فلا حرج على أحد ينهج ذلك ليستفيد وينفع نفسه وينفع غيره .

قال تعالى : ﴿ وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾(١) .

فالطرق المستقيمة والطرق المعوجة قد بينها الله فى كتابه الكريم وبينها رسوله — صلى الله عليه وسلم — فى سنته المطهرة حتى لايكون لأحد حجة بعد هذا .

ونفس المؤمن لها حرمتها عند الله — تعالى — فنهى الله عباده المؤمنين عن قتل أنفسهم بأى طريقة من الطرق سواء بارتكاب مافيه هلاكها بالملل من هذه الحياة الدنيا لمشكلات واجهته أو أمور أخرى من ضر أصابه من مرض أو فقر أو موت قريب كل هذا يجب على المؤمن أن يستسلم له لأن هذه الحياة الدنيا كلها مصاعب ومتاعب فلا بد للعبد أن يطوع نفسه على أوامر الله — تعالى — ويصبّر نفسه حتى تنقضى أيام حياته ويلقى ربه بقلب سليم ليجزيه بأحسن الجزاء وهو النعيم المقيم فى جنات رب العالمين .

ومن أردى نفسه وتسبب فى قتلها أو قتل غيرها فقد استحق غضب الله ووقوع عذابه .

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٧٥) .

عن جابر بن سمرة أن رجلا قتل نفسه فلم يصلّ عليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم • (١)

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : شهدنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيبر فقال رسول الله لرجل ممن يدعى الاسلام : " هذا من أهل النار " فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح فأثبتته ، فجاء رجل من أصحاب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله أرأيت الذى تحدثت أنه من أهل النار ؟ قاتل فى سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح • فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أما إنه من أهل النار " فكاد بعض المسلمين يرتاب فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح ، فأهوى بيده الى كنانته فانتزع منها سهما فانتحر بها ، فاشتد رجال من المسلمين الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يارسول الله صدّق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يابلال قم فأذن ، لايدخل الجنة الا موءمن ، وان الله ليوءيد هذا الدين بالرجل الفاجر " • (٢)

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب الجنائز حديث رقم ١٠٦٨ ، وأخرجه مسلم فى صحيحه كتاب الجنائز حديث رقم ٩٧٨ ، والنسائى فى كتاب الجنائز ٤/ ٦٦ •

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى حديث رقم ٤٢٠٢ ، ٤٢٠٣ ، وكتاب القدر حديث رقم ٦٦٠٦ ، ٦٦٠٧ ، ورواه أحمد فى المسند ٤/ ١٣٥ ، وقد ذكر البخارى رواية سهل بن سعد الساعدى فى هذه القصة ، وذكر ابن حجر فى الفتح ج ٧ ص ٤٧٢

===

ثم بيّن — تعالى — العقوبة الشديدة لمن فعل ذلك بقوله :

﴿ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ .

عندما نهى المولى — عز وجل — عباده المؤمنين عمّا فيه هلاكهم في الدنيا وبين مافيه صلاحهم ونجاحهم في حصولهم على المعاش الحلال الذى به تصلح الأنفس وتحصل الطمأنينة في المجتمعات وعند الأفراد ولا يعتدى أحد على أحد وتسلم الأنفس من القتل والهلاك بما لا تقره الشريعة الغراء ، بين — تعالى — الجزاء على هذه المظالم التى تحصل من الأفراد على أنفسهم أو على غيرهم وذلك بالعذاب في النار وفاقا للظلم والاعتداء الذى لايحبه الله — تعالى — كما أخبر فقال : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين ﴾ (٣) .

---

== الخلاف في الغزوة التى وقعت فيها هذه الحادثة واسم الرجل الذى قتل نفسه ، وذكر أنه " قزمان الظفرى " .

(١) سورة البقرة : آية (١٩٠) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٥٥) .

(٣) سورة المائدة : آية (٨٧) .

وقال تعالى : ﴿ وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾(١) .

وهذا ذم لقوم لوط ولمن نهج نهجهم .

وقال تعالى : ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾(٢) .

والآيات كثيرة جدا فى التعديات وتحذير المولى من ذلك والجزاء المترتب على تلك المخالفات فليحذر المؤمن من الاعتداء فيما نهاه عنه المولى — عز وجل — حتى ينال رضاء الله ويفوز بالنعيم المقيم ، ويسلم العذاب الأليم .

---

(١) سورة الشعراء : آية (١٦٦) .

(٢) سورة المؤمنون : آية (٧) .

# المبحث السادس

## عاقبة الظلم في المسجد الحرام

## المبحث السادس

## " عاقبة الظلم في المسجد الحرام "

**قال تعالى :**

﴿ ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ (١) .

إن من الظلمة الذين كفروا بالله ، ومع هذا فهم يصدّون أى يمنعون من أراد الاهتداء والاستقامة على دين الله – تعالى – وعن مسجده الحرام لمن أراد قصده لتأدية عبادة ربه التى أوجبها على عباده المؤمنين ، وجعله – تعالى – للناس سواء المقيم فيه والنائى عنه فهم فيه سواء ، وقد توعّد – جل وعلا – من يهمّ فيه بأمر سوء من المعاصى عامدا العذاب الأليم ، هذا من يهم فيه بالظلم ، فكيف بمن عمل تلك المعاصى فى حرم الله – تعالى – ؟ إذا علم هذا .فكيف لايكون من العبد رادع وزاجر لنفسه عما يغضب الله – تعالى – ويوقعه فيما يوجب عليه عذاب الله – تعالى – وهو عذاب أليم شديد مخز وموجع لايستطيعه أحد ، وهو بهذا يعلم ويرى أن فى كل يوم يكون ذاهب ورائح الى القبور يشيعه الناس ثم يتوالى الناس على هذا الطريق حيث ينقطع العمل ويبدأ الحساب .

---

(١) سورة الحج : آية (٢٥) .

قال الشنقيطى :

( والالحاد فى اللغة : أصله الميل ، والمراد بالالحاد فى الآية : أن يميل ، ويحيد عن دين الله الذى شرعه ، ويعم ذلك كل ميل وحيدة عن الدين ويدخل فى ذلك دخولا أوليا الكفر بالله ، والشرك فى الحرم ، وفعل شىء مما حرمه وترك شىء مما أوجبه .

ومن أعظم ذلك انتهاك حرمات الحرم . وقال بعض أهل العلم : يدخل فى ذلك احتكار الطعام بمكة ، .... الى أن قال : الذى يظهر فى هذه المسألة أن كل مخالفة بترك واجب ، أو فعل محرم تدخل فى الظلم المذكور ، وأما الجائزات كعتاب الرجل امرأته ، أو عبده ، فليس من الالحاد ، ولا من الظلم ) (١) .

فكل من يريد فى الحرم مرادا عادلا عن القصد الذى هو طاعة الله — تعالى — يذيقه الله — عز وجل — من عذاب أليم ، فلا بد من ضبط النفس وأن يسلك العبد طريق السداد والعدل وأن لا توسوس نفسه إلا بخير ، فالله أعلم بما تكنّه الصدور وما توسوس به النفوس قال تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٢) .

---

(١) أضواء البيان : ج ٥ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) سورة ق : آية (١٦) .

# المبحث السابع

## جزاء الظالمين فى الآخرة

## المبحث السابع

### جزاء الظالمين في الآخرة

**يقول الله تعالى :**

**﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط . وكذلك نجزى المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ (١) .**

﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ أى : لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء فى الدنيا ، وكذا لا يفتح لأرواحهم إذا ماتوا .

﴿ يلج الجمل فى سمّ الخياط ﴾ أى : يدخل الجمل ولد الناقة خرق الابرة .

وقيل : الحبل الغليظ من القنب . وقيل : هو حبل السفينة وهذا يبين استحالة دخول أولئك الجنة ..

﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ أى : فرش ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ اى : لحف .

**قال الالوسى :**

( ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا ﴾ الدالة على أصول الدين وأحكام الشرع كالأدلة الدالة على وجود الصانع ووحدته ، والدالة على النبوة والمعاد ونحو ذلك . ﴿ واستكبروا عنها ﴾ أي بالغوا

---

(١) سورة الأعراف : آية ( ٤٠ - ٤١ ) .

فى احتقارها وعدم الاعتناء بها ولم يلتفتوا إليها وضموا أعينهم عنها ونبذوها وراء ظهورهم ولم يكتسوا بحلل مقتضاها ولم يعملوا بها )[١] اهـ

يخبر المولى — عز وجل — عن أولئك القوم الذين أعرضوا عن دين الله — تعالى — وكذّبوا به فلم يمتثلوا ويأتمروا بذلك ومع التكذيب أخذتهم العزة بالاثم فتعالوا عنها أضلتهم شياطينهم وأخذت بهم أهواؤهم ذات الشمال ورغّبتهم فيما تملى به أنفسهم من الأمانى الكاذبة السالكة مسلك الردى حتى أصبحت نهايتهم فى الدنيا نهاية سوء والعياذ بالله .

عن البراء بن عازب قال خرجنا مع النبى — صلى الله عليه وسلم — فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا الى القبر ولمّا يلحد فجلس رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجلسنا حوله وكأنّ على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت فى الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال : " إنّ العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه وكأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنّة وحنوط من حنوط الجنّة حتى يجلسوا منه مدّ البصر ثم يجىء ملك الموت — عليه السلام — حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة أخرجى الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة

---

(١) روح المعانى : ج ٣ الجزء السابع ص ١١٨ .

عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منهـا كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بهـا فى الدنيا حتى ينتهوا بهـا الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليهـا حتى ينتهوا بهـا إلى السماء السابعة فيقول الله — عز وجل — اكتبوا كتاب عبدى فى علّيّين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منهـا خلقتهم وفيهـا أعيدهم ومنهـا أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولون له ما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدّقت فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحهـا وطيبهـا ويفسح له قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول ربّ أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى قال وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدّ البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس

عند رأسه فيقول أيّتها النفس الخبيثة أخرجى الى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا ماهذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمّى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط ﴾ فيقول الله — عز وجل — اكتبوا كتابه فى سجّين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنّما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه. لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى ، فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجئ بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة )[1].

---

(١) رواه الامام أحمد فى المسند ٤/ ٢٨٧ — ٢٨٨ ، والنسائى فى كتاب الجنائز ٨١ ، وأبو داود فى كتاب الجنائز ٦٤ .

هكذا يكون جزاء الصالحين وعقاب الظلمة فلهم المزيد من العذاب والبعد عن الجنة ، لهم فرش من النار ولحف من النار ، هذا جزاء من كذب بآيات الله — تعالى — واستكبر عنها ، هذا في الحياة البرزخية ، فكيف بنعيمه للطائعين وعذابه للظالمين في الآخرة .

لقد بين تعالى غبطة أهل الجنة وما حصلوا عليه ونالوه من الكرامة وإعلانهم ذلك بإخبارهم لأهل النار كما قال تعالى :

﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ (١) .

ثم بين تعالى ما كان من أهل النار وهم في عذابهم تلم بهم جميع الأحزان ينادون أهل الجنة ويقولون كما أخبر المولى عنهم فقال تعالى :

﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين ﴾ (٢)

---

== وقال الامام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (٣٨٤ — ٤٥٨) عندما أورد هذا الحديث فى كتابه اثبات عذاب القبر ص٣٧ — ٣٩ هذا حديث كبير صحيح الاسناد رواه جماعة من الائمة الثقات عن الأعمش وأخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى فى كتاب السنن . وقال الدكتور شرف محمود القضاة فى تحقيقه لهذا الكتاب : هذا الحديث أخرجه أبو داود ٢ / ٥٤٠ وسكت عليه ، وأحمد فى مسنده أنظر الفتح الربانى ٧ / ٧٤ ورجاله رجال الصحيح أنظر مجمع الزوائد ٣ / ٤٩ وصححه البيهقى كما ترى.

(١) سورة الأعراف : آية (٤٤ — ٤٥) .

(٢) سورة الأعراف : آية (٥٠) .

ويقول الله تعالى :

﴿ وقل الحقّ من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنّا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ (١)

السرادق : السّور . بماء كالمهل : كالرصاص المذاب . أو كعكر الزيت من شدة حرارته .

قال الشوكانى :

( ساءت مرتفقا : ( ساءت ) النار ( مرتفقا ) متّكأ ، يقال ارتفقت : أى اتّكأت . وأصل الارتفاق نصب المرفق ، ويقال ارتفق الرجل : إذا نام على مرفقه ، وقال القيتبى : هو المجلس ، وقيل المجتمع ) (٢) .

والمراد هو ذم محل أهل النار الذى يأوون إليه لأنهم على أى حالة كانت فهم فى عذاب .

يقول المولى — عز وجل — لرسوله محمد — صلى الله عليه وسلم : أخبر الناس أن هذا الدين الذى جئت به من ربكم هو الحق لا غيره فمن أراد الخير والعقبى الصالحة فليؤمن بهذا الدين ويلتزم به ، ومن أراد الخسارة فليكفر بهذا الدين وسيرى هذا الظالم ما أعدّ

---

(١) سورة الكهف : آية (٢٩) .

(٢) فتح القدير : ج ٣ ص ٢٨٢ .

له من النار المحاطة بالأسوار التى تحتضنهم فلا يجدون مهربا من ذلك قال تعالى : ﴿ وأما من خفّت موازينه فأمّه هاوية ﴾ وهذا تهديد ووعيد شديد من ربّ العزة والجلال لمن كفر بهذا الدين وأظهر الاستغناء عنه بتعذيبه أشد العذاب ولا يجدون فى ذلك المكان من يغيثهم إذا استغاثوا من الظمأ لاحتراق أفئدتهم إلا بزيادة عذاب على ماهم فيه وهو ماء كالرصاص أو كعكر الزيت يشوى الوجوه، فبئس من شراب هذا حاله ، ونار محاطة أسوارها عليهم هى مأواهم ومستقرهم ، عذاب مستمر ، وحالة سيئة .

هذا لون من ألوان العذاب الذى أعدّه الله للظلمة الذين كذّبوا بآيات الله المنزلة على رسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — والذى قد اختاره لهذه الأمة وهو أفضل الرسل وكتابه — القرآن الكريم — أفضل الكتب .

فقد جعل الله هذا الرسول — صلى الله عليه وسلم — خاتم الرسل ورسالته خاتمة وعامّة لجميع الخلق إنسهم وجنّهم ، وهذا الدين الذى جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — ناسخ لكل الأديان السماوية ، وقد جاء واضحا جليا فيه خير البشر جميعهم، وقد بلّغه — صلى الله عليه وسلم — حتى عمّ هذه المعمورة بفضل الله ورحمته ، فبعد البلاغ قامت الحجة وانقطعت المحجة ولم يزل هذا الدين يتوارثه العلماء ويبلغونه للناس ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها فمن آمن ودخل فى دين الله فقد فاز ونجح وهذا خير له ، ومن كفر وحاد واتبع هواه ولم ينصع لأمر الله — تعالى — وأمر رسوله

فإن جزاؤه هو ما بيّنه الله — تعالى — فى الآية الكريمة : ﴿ نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ثم ننجّى الذين اتّقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ .(١)

أى : يسلّم الله المتقين من النار ومن عذابها فلا تمسّهم بسوء ولا تؤذيهم بأى أذى فهم يجوزون على الصراط إلى الجنة على حسب أعمالهم . وأما الظلمة المكذبون بالله ورسله وكتبه والمنحرفون عن دينه فيجثون فيها خزايا مهانين .

قال أبو الفرج بن رجب :

( لمّا ماتت النوار امرأة الفرزدق ودفنت وقف الفرزدق على قبرها وأنشد بحضور الحسن — رحمه الله — هذه الأبيات . قال :

أخاف وراء القبر إن لم يعافنى .. أشد من القبر التهابا وأضيقا

إذا جاءنى يوم القيامة قائد .. عنيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى .. الى النار مغلول القلادة أزرقا

يساق الى نار الجحيم مسربلا .. سرابيل قطران لباسا محرقا

اذ اشربوا فيها الصديد رأيتهم .. يذوبون من حر الصديد تمزقا

فبكى الحسن — رحمه الله — .

---

(١) سورة مريم : آية (٧٢) .

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال البوار : ص ٩٧ .

# المبحث الثامن

## القصاص من عدل الله تعالى

## المبحث الثامن

## القصاص من عدل الله تعالى

**قال الله تعالى :**

﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (١) .

﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ﴾ : أى فرضنا على اليهود فى التوراة أن من قتل نفسا ظلما قتل بها قصاصا .

﴿ والعين بالعين ﴾ : ومن فقأ عينا فقئت عينه .

﴿ والأنف بالأنف ﴾ : ومن جدع أنفا جدع أنفه .

﴿ والأذن بالأذن ﴾ : ومن قطع أذنا قطعت أذنه .

﴿ والسن بالسن ﴾ : ومن قلع سنّا قلعت سنّه .

﴿ والجروح قصاص ﴾ : ومن جرح غيره ظلما ، اقتص منه مثل الجرح .

﴿ فمن تصدق به فهو كفّارة له ﴾ : فمن عفا عن الجارح وتجاوز عن حقه فهو هدم لذنوب المجروح .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ : ومن ترك الحكم بما أنزل فهو ظالم جائر عن حكم الله .

---

(١) سورة المائدة : آية (٤٥) .

قال ابن كثير :

( هذه الآية مما وبّخت به اليهود وقرعوا عليه فان عندهم في نص التوراة أن النفس بالنفس وهم يخالفون ذلك عمدا وعنادا ويقيدون النضرى من القرظى ولا يقيدون القرظى من النضرى بل يعدلون إلى الدية كما خالفوا حكم التوراة المنصوص عندهم فى رجم الزانى المحصن وعدلوا الى ما اصطلحوا عليه من الجلد والتحميم والإشهار ولهذا قال هناك : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ لأنهم جحدوا حكم الله قصدا منهم وعنادا وعمدا ، وقال هاهنا : ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ لأنهم لم ينصفوا المظلوم من الظالم في الأمر الذى أمر بالعدل والتسوية بين الجميع فيه فخالفوا وظلموا وتعدوا على بعضهم بعضا ، الى أن قال : وقد استدل كثير ممن ذهب من الأصوليين والفقهاء الى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكي مقررا ولم ينسخ كما هو المشهور عن الجمهور ... والحكم عندنا على وفقها فى الجنايات عند جميع الأئمة .. )[1] اهـ

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه مالم يصب دما حراما ".[2]

وعنه أيضا قال : " إنّ من ورطات الأمور التى لا مخرج لمن أوقع

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٦١ ، ٦٢ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٦٢ ، ورقم ٦٨٦٣ .

نفسه فيهـــا سفك الدم الحرام بغير حلة "(١) .

وعن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — قال : قال النبـــى — صلى الله عليه وسلم — : " أول مايقضى بين الناس فى الدماء "(٢)

وعن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — عن النبى — صلـــى الله عليه وسلم — قال : " لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعـــض "(٣) .

ان من عدل الله — تعالى — ورحمته بعباده أن شرع العقوبـــة الدنيوية فيمـــا يحصل من تعديات ، وذلك فى القصاص من المعتدى ضربا على الأيدى المعتدية وحفاظا على الأنفس الآمنة ، وكل شىء بحسبه كمـــا وضحته الآية .

فالانسان له كرامته ، وكل عضو من أعضائه له مكانته ، وله حقـــه فى البقاء فى جسد العبد ، وهذا حماية من الله — تعالى — له من تعدى المعتدين وعبث العابثين ، فبحصول القصاص من قتـــل أو قطع أو غيره ، إنما هو ازالة أشياء فاسدة تضر بالمجتمع ، فاذا نفذ ذلك حصل الأمن والاستقرار .

وقد بيّن — تعالى — أنه لابد من نصرة المقتول ظلما ، كمـــا نهى عن قتل النفس التى حرم الله الا بالحق فقال تعالى :

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٦٢ ، ٦٨٦٣ .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٦٤ .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٦٨ .

﴿ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ﴾ (١) .

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله إلا باحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة " (٢) .

ان كتاب الله الكريم وسنة رسوله الأمين مملوءان بالنصوص الشرعية التى فيها حماية الأفراد والمجتمعات من الظلم والآثار المترتبة من جزاء وعقوبة فى الدنيا وبعد الممات ، فليكن لكل عبد مسلم وقفة عند حدود الله - تعالى - وعدم تجاوزها حتى يسلم من العقوبة الدنيوية والأخروية .

هذا هو الحكم الربّانى الذى حمى العباد من الأيادى المتطاولة من الأيادى القوية الباغية ، فلا يفرّق بين شريف ولا وضيع بل القصاص على الجميع على حد سواء لتبقى المجتمعات فى أمن وأمان ، وسلامة وإسلام ، لا تجد ما ينغص عليها حياتها ، ولا تعرف شيئا يسمى الظلم مادامت الشريعة الغراء تنفذ أحكامها ، فيسير الراكب فى مناكب الأرض لا يخشى على نفسه إلا الله .

---

(١) سورة الاسراء : آية (٣٣) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٧٨ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب القسامة حديث رقم ١٦٧٦ .

# الباب الثاني

## شرع الله الحكيم وأثره في حماية المجتمع الإسلامي من الظلم

وفيه فصول :-

الفصل الأول : تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم .

الفصل الثاني : تحريم الظلم ووجوب رد المظالم

الفصل الثالث : نصرة المظلوم وإجابة دعوته .

الفصل الرابع : التحذير من الركون إلى الظلمة ومخالطتهم وموالاتهم .

## الباب الثاني

## شرع الله الحكيم وأثره في حماية المجتمع الاسلامي من الظلم

لقد ارتضى الله — سبحانه وتعالى — لهذه الأمة هذا الدين القويم — دين الاسلام — الذى هو خير الأديان وآخرها ، فهذا الشرع الحكيم فيه حماية للمجتمع الاسلامى من ظلم الظالمين واعتداء المعتدين ، وترهات الضلين المفسدين الناكصين عن صراط الله المستقيم . ففى هذا الشرع الحكيم حماية للأنفس من القتل والهلاك، وذلك بتطبيق أحكامه من قتل القاتل وقطع يد السارق ورجم الزانى المحصن ...

وأيضا حماية المال الذى هو عصب حياة الناس اليوم والذى يقيمون به دنياهم ويصلحون شؤنهم وتسير عليه عجلة حياتهم وما يكون لهم فيه غنية عن الآخرين حماه الله — تعالى — من الأيدى الباغية من السرق والنهب والغصب والاحتيال وكسبه من غير حله ، وأبان الطرق التى يمكن لهذا المجتمع أن يحصل فيها على المال دون أن يظلم أحد أحدا ، ووضع حدودا لمن اعتدى ، حتى نرى أن اليد الغالية عند الانسان والتى هى بضعة منه ومحور الأخذ والعطاء تقطع فى دريهمات قليلة جزاء لتعديها على المال وأخذه بطريق السرقة ، فلا قيمة لهذا العضو الفاسد فى الشرع فقطعه أولى من بقائه لأنه معول خراب ، فإذا قضي على المعاول الهدامة بقي المجتمع سليما من الأذى ، فقطع يد واحدة تصلح بها المجتمعات ويكون من تلك اليد الفاسدة والتى قطعت عبرة فلا يقدم أحد على هذا المال الا بطريقة مشروعة لأنه يعرف الجزاء فى شرع الله الحكيم .

وهناك جانب ثالث وهو العرض : فقد حماه الشرع الحكيم من الامتهان وأن لا تكون الأعراض تجارة تقرضها الألسن فى المجالس وتشوّه سمعة أصحابها مما يسبب البغضاء بين المسلمين بل مما يوقد نار الحرب والفتنة حتى تزهق الأنفس وتتفرق الجماعة المسلمة وهذا من نزغات الشيطان وتوهيمه ، فحارب الاسلام هذه الظاهرة الفاسدة وبين جزاءها وأمر المسلمين بالابتعاد عنها ، وسواء كانت الأقوال المتداولة صحيحة فى المتكلم فيه أو غير صحيحة .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " ذكرك أخاك بما يكره " ، قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ، فقد بهته ".(١)

والله — سبحانه وتعالى — أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة وارتضى لنا الاسلام دينا وفيه الخير كل الخير .

قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾(٢) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٨٩ ، وأبو داود كتاب الأدب ٣٥ ، والترمذى كتاب البر ٢٣ ، والدارمى كتاب الرقاق ٦ ، وأحمد فى المسند ٢ / ٢٣٠ ...

(٢) سورة المائدة : آية (٣) .

**نعم** انه الدين الحق الذى جاء بالخير واليمن والذى فيه مايصلح للانسان دنيا وأخرى ، وما فيه صلاح البشرية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وما يستحدث من جديد ، وما يحصل من أشياء من مخترعات وغيرها ، ألا وهو فى علم الله — تعالى — ويهب علمه لمن يشاء ممن يبذلون الاسباب فى تحصيله .

قال تعالى : ﴿ علّم الانسان مالم يعلم ﴾ (١) .

**ونظرا** لنتائج الظلم السيئة كان من مقاصد الاسلام الهامّة حماية المجتمع الاسلامى من الظلم وحفظ حقوقه من الاعتداء .

**لقد** حمى المولى — عز وجل — حرمات المسلمين بعضهم من بعض سواء فى الدماء أو الأموال أو الأعراض .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا بحسب امرىء من الشر أن يحتقر أخاه المسلم " (٢) .

وعن أبى أمامة أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة فقال له رجل : وان كان يسيرا يارسول الله ؟ قال : وإن قضيبا من أراك " (٣) .

---

(١) سورة العلق : آية (٥) .

(٢) رواه الترمذى كتاب البر حديث رقم ١٩٢٧ ، وابن ماجه كتاب الفتن ٢ ، وأحمد فى المسند ٢ / ٢٧٧ .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ٢١٨ .

وعن عبد الله عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم ، هو فيها فاجر ، لقي الله وهو عليه غضبان " قال : فدخل الأشعث بن قيس فقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟ قالوا : كذا وكذا ، قال صدق أبو عبد الرحمن ، فيّ نزلت ، كان بيني وبين رجل أرض في اليمن ، فخاصمته الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : " هل لك بينة ؟ " فقلت : لا ، قال : " فيمينه " ؟ قلت : إذن يحلف . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عند ذلك : " من حلف على يمين صبر ، يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر ، لقي الله وهو عليه غضبان " (١) فنزلت : ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ﴾ (٢) .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : جاء رجل الى رسول — صلى الله عليه وسلم — . فقال : يارسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : " فلا تعطه ذلك " قال : أرأيت إن قاتلنى ؟ قال : " قاتله " ، قال : أرأيت إن قتلنى ؟ قال : " فأنت شهيد " قال : أرأيت إن قتلته ؟ قال : " هو فى النار " (٣) .

بهذه الأحكام الشرعية التى تراعى الحفاظ على حماية المجتمع

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم : ١٣٨ .
(٢) سورة آل عمران : آية (٧٧) .
(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم : ١٤٠ .

الاسلامى من الظلم استتب الأمن وأخذ الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وهذا فى العصور المفضلة وكل زمان بحسبه ، وكل دولة بحسب تمسكها بكتاب الله — عز وجل — ، وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — وتحكيمها فى شئون حياتها .

وفي هذا الباب سأتناول عددا من الفصول مبيّنا أثر شرع الله الحكيم في حماية المجتمع الاسلامي من الظلم .

# الفصل الأول

## تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم

وفيه مباحث :-

المبحث الأول :- السخرية والتنابز

المبحث الثاني :- المحافظة على حقوق المسلمين

# الفصل الأول

## تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم

لقد بلغت شريعتنا الاسلامية شأوا رفيعا فى حرصها على تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم أيّا كانت ، من نفس أو مال أو عرض ، فديننا الحنيف تتجلى لنا سمو مبادئه وعظم شأنه ، ورفعته لمعتنقيه ، والحفاظ على حقوقهم ، وعدم انحطاط الفرد المسلم مثلما يحصل فى الشعوب الأخرى ، التى قد حادت عن هذا الدين ومبادئه وأسسه وقواعده ، حيث ضياعها واشتعال الفتنة بين أفرادها وجماعاتها حتى حكوماتها ، فالحقوق مأكولة ، والأعراض منتهكة ، والأنفس ضائعة .

أما أهل الاسلام فبينهم ميزان القسط ، لاتفرقة بين أمير ومأمور ، ولا بين شريف ووضيع ، ولا بين غنى وفقير ، ولا بين قريب وبعيد ، يضبطهم ضابط واحد وهو رابطة الاسلام وأحكامه ، فلا فرق بين عربى ولا عجمى إلا بالتقوى .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾(١) .

---

(١) سورة النساء : آية (١٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ﴾ (١) أى : أوامر الله — تعالى — باجتناب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابهـــا عظيما فى نفسه فله على ذلك الخير الكثير والثواب الجزيل ، ومن أعظـــم حرمات الله حقوق العبد المسلم ·

**والمولى** — عز وجل — يخاطب رسوله — صلى الله عليه وسلـــم — بأن يلين جانبه للمؤمنين لأن من حقوق المؤمنين بعضهم على بعض الإلانة الجانب والتودد لبعضهم · قال تعالى : ﴿ واخفض جناحـــك للمؤمنين ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك مـــن المؤمنين ﴾ (٣) ·

**وحض** — تعالى — الأبناء على طاعة الآباء فإن ذلك من الحقوق الواجبة فقال تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمـــة وقـــل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ (٤) ·

**كما أن** صلة الرحم من الحقوق الواجبة بين المسلمين · ففـــى الحديث عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول اللـــه — صلى الله عليه وسلم — : " إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى قـــال :

---

(١) سورة الحج : آية (٣٠) ·
(٢) سورة الحجر : آية (٨٨) ·
(٣) سورة الشعراء : آية (٢١٥) ·
(٤) سورة الاسراء : آية (٢٤) ·

فذاك لك "، ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (١) .

كما حذرت الشريعة من هجر المسلم أخاه المسلم وأن هذا من التقاطع والتباغض بين المسلمين .

فعن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " لايحل لمسلم أن يهجر أخاه ثلاثة أيام ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام " (٢) .

ولفظ البخارى عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " لاتباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام " (٣) .

كما نهى الشارع عن سباب المسلم لأخيه المسلم .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " المستبان ماقالا فعلى البادىء مالم يعتد المظلوم " (٤) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم : ٢٥٥٤ .
(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم : ٢٥٦٠ .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم : ٦٠٦٥ .
(٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم : ٢٥٨٧ .

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : إن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " ألا أنبئكم ما العضه هى النميمة القالة بين الناس وإن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ان الرجل ليصدق حتى يكتب صدّيقا ويكذب حتى يكتب كذّابا ".(١) وقد ذكر الله تعالى فى محكم التنزيل فقال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم ﴾.(٢)

كما حرم الحسد وهو تمنى زوال النعمة عن الغير ، وكراهية حصول النعمة له ، قال الله تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ﴿ ومن شر غاسق إذا وقب ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾.(٤)

ومن حرمات المسلمين قذف المحصنات ، فقد قال الله تعالى :

﴿ إنّ الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾.(٥)

وقال تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٦٠٦ .

(٢) سورة القلم : آية (١٠ - ١١) .

(٣) سورة النساء : آية (٥٤) .

(٤) سورة الفلق .

(٥) سورة النور : آية (٢٣ - ٢٤) .

قال النووى :

( معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كلّه إلا أن يتجاوز الثانى قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له وفى هذا جواز الانتصار ولا خلاف فى جوازه وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة . قال الله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون ﴾ (٢) . ومع هذا فالصبر والعفو أفضل . قال الله تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (٣) .

كما حرم — تعالى — الغيبة والنميمة ، فقال تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ (٤) .

وفى الحديث عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم . قال ذكرك أخاك بما يكره قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته " (٥) .

---

(١) سورة الشورى : آية (٤١) .

(٢) سورة الشورى : آية (٣٩) .

(٣) سورة الشورى : آية (٤٢) .

(٤) سورة الحجرات : آية (١٢) .

(٥) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة ٧٠ ، ورواه الترمذى فى كتاب البر ٢٣ ، والدارمى فى كتاب الرقاق ٦ ، وأحمد فى المسند ٢/٢٣٠ .

فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ﴾ (١)

وفى الحديث عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « اجتنبوا السبع الموبقات . قيل : يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات » . (٢)

وسأتناول أهم مباحث الفصل فيما يلي :

---

(١) سورة النور : آية (٤) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الوصايا ٢٧٦٦ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان حديث رقم ٨٩ .

# المبحث الأول

## السخرية والتنابز

# المبحث الأول

## السخرية والتنابز

**قال الله تعالى :**

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (١) .

يخاطب المولى - تعالى - عباده المؤمنين الذين صدقوا بالله ورسوله أن لا يهزأ مؤمن من مؤمن ولا يحتقره فلربما يكون المهزوء به خيرا من الهازئ ، وكذا عطف - تعالى - بنهي النساء عن هذه الفعلة وهذا من أهمية هذا الأمر حتى يجتنبه الرجال والنساء على حد سواء . ونهى أيضا عن عيب المؤمنين بعضهم بعضا والطعن في أعراضهم . وأن لا يتداعوا بالألقاب التي يسوء الإنسان سماعها كأن يكون للانسان أكثر من اسم فيدعى بما يسوءه من هذه الأسماء وكان ذلك قبل الاسلام ، ثم جاء الاسلام وأخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك وأن البعض يغضب إذا دعي بما يكره من هذه الأسماء فنزلت هذه الآية . وهذا عام فيمن يتنابزون بالألقاب في كل زمان وفي وقتنا الحاضر فانه كثيرا ما يحصل ذلك بين الناس فليحذر المؤمنون من هذا وليتوبوا ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . أي : المتجاوزون الحد

---

(١) سورة الحجرات : آية (١١) .

والدائبون على هذه الصفات الخسيسة التى فيها إيذاء للمؤمنين بكسر معنوياتهم ، وقد غيّر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسماء وألقابا كانت فى الجاهلية لأصحابها لما فيها من وصف ذميم .

فعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : "لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك ".(١)

وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : ( لم يكن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاحشا ولا لعّانا ولا سبّابا ، كان يقول عند المعتبة : " ماله ترب جبينه ") .(٢)

قال ابن كثير :

( قال الامام أحمد : "حدثنا اسماعيل حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبى قال حدثنى أبو جبيرة بن الضحاك قال فينا نزلت فى بنى سلمة ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ قال قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الاسماء قالوا يارسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ) " ورواه أبو داود عن موسى بن اسماعيل عن وهيب عن داود به ) .(٣)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٦٠٤٥ .
(٢) نفس المرجع حديث رقم ٦٠٣١ .
(٣) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٢١٢ .

وعن المعرور هو ابن سويد "عن أبي ذر قال : رأيت عليه بردًا وعلى غلامه بُردًا ، فقلت : لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة ، وأعطيته ثوبا آخر ، فقال : كان بيني وبين رجل كلام ، وكانت أمه أعجمية ، فنلت منها ، فذكرني إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال لي : أساببت فلانا ؟ قلت : نعم . قال : أفنلت من أمه ؟ قلت : نعم . قال : إنك امرؤ فيك جاهلية . قلت : على حين ساعتي هذه من كبر السن ؟ قال : نعم ، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه ". (١)

قال ابن حجر :

( وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوى ، فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوى وينتفع الوضيع النسب بالتقوى كما قال تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . (٢)

قال سيد قطب :

( إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدي القرآن مجتمع له أدب رفيع ولكل فرد فيه كرامته التي لا تمس ، وهي من كرامة المجموع

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٦٠٥٠ ، وقال ابن حجر " في الفتح ج ١ كتاب الايمان حديث رقم ٣٠ ص ٨٦ غلام أبي ذر المذكور لم يسمّ ويحتمل أن يكون أبا مراوح مولى أبي ذر ، وذكر مسلم في الكنى أن اسمه سعد ، وسابب أبو ذر بلالا بقوله : يا ابن السوداء وكانت أمه أعجمية ".

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٤٦٨ ، وقد ذكر أن ===

ولمزأى فرد لمزلذات النفس ، لأن الجماعة كلها واحدة والقرآن فى هذه الآية يهتف للمؤمنين بذلك النداء الحبيب : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ . وينهاهم أن يسخر قوم بقوم أى رجال برجال فلعلهم خير منهم عند الله ، أو أن يسخر نساء من نساء فلعلهن خير منهن فى ميزان الله ، ... .... ، وفى التعبير إيحاء خفي بأن القيم الظاهرة التى يراها الرجال فى أنفسهم ويراها النساء فى أنفسهن ليست هى القيم الحقيقية التى يوزن بها الناس . فهناك قيم أخرى قد تكون خافية عليهم ، يعلمها الله ، ويزن بها العباد . وقد يسخر الرجل الغنى من الرجل الفقير ، والرجل القوى من الرجل الضعيف ، والرجل السوى من الرجل المؤوف . وقد يسخر الذكي الماهر من الساذج الخام ، وقد يسخر ذو الأولاد من العقيم ، وذو العصبية من اليتيم ... وقد تسخر الجميلة من القبيحة ، والشابة من العجوز ، والمعتدلة من المشوهة ، والغنية من الفقيرة .... .... ) ا هـ (1)

إن شرع الله الحكيم جاء بقيمه العالية ومبادئه البنّاءة ، جاء ليبنى مجتمعا تسوده الأخوة والوداد وتجمعه عواطف المحبة والاخاء ، جاء عندما طغى الغثاء على البشرية جمعاء وتلطخوا بوحل الدناءة والخسة ، فلا حق يقام ، ولا مظلوم ينصف ، ولا فقير تقال عثرته ويواسى فى محنته ، ولا احترام للأعراض ، ولا للأموال ، ولا للدماء ، لقد حمى الله الدماء والأعراض والأموال ، من طمع الطامعين ، ومن

---

== الرجل الذى فى الحديث هو بلال المؤذن واسم أمه حمامة .

(1) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٣٤٤ .

أيدى العابثين ، فما كان من شئ فيه منقصة للانسان إلا ووضعه الاسلام ، وذم فاعله ، وندد بذلك واستبعده ، ووضع جزاء وعقوبة على أولئك المعتدين وجاء ذلك قرآنا يقرأ فى كتاب الله - تعالى - وتوضيحها توضحه سنّة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * همّاز مشّاء بنميم * منّاع للخير معتد أثيم ﴾ . (١) ويقول تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة * الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن فى الحطمة ﴾ . (٢)

ويقول تعالى فى ذم المنافقين . والذى كان اللمز من صفاتهم الذميمة ، ولم يسلم أحد من شرهم حتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

﴿ ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوان وإن لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ﴾ . (٣)

ويقول تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ . (٤)

فى هذه الآيات بيان عن حال الظلمة واعتدائهم بالسخرية والمنابزة بالألقاب المشينة للمؤمنين ، وهذا يتنافى مع الشرع الحكيم الذى عظّم حرمات المسلمين والمحافظة على حقوقهم ، حتى بأقل الأشياء

---

(١) سورة القلم : آية ( ١٠ - ١٢ ) .
(٢) سورة الهمزة : آية ( ١ ـ ٤ ) .
(٣) سورة التوبة : آية ( ٥٨ ) .
(٤) سورة التوبة : آية ( ٧٩ ) .

ولو من المسلمين أنفسهم على إخوانهم الآخرين . فالمسلم له حرمته وكرامته حيًّا وميّتا .

عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه " (١) .

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ١٠ .

# المبحث الثاني

## المحافظة على حقوق المسلمين

## المبحث الثاني

## المحافظة على حقوق المسلمين

عن البراء — رضى الله عنه — قال :

" أمرنا النبى — صلى الله عليه وسلم — بسبع ونهانا عن سبع ، أمرنا باتباع الجنائز ، وعيادة المريض ، وإجابة الداعى ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم ، ورد السلام ، وتشميت العاطس . ونهانا عن آنية الفضة ، وخاتم الذهب ، والحرير ، والديباج ، والقسّى ، والاستبرق " (١) .

بيّن النبى — صلى الله عليه وسلم — فى هذا الحديث الشريف الأخلاق الطيبة التى يجب أن يتصف بها المسلم ، ونهى عما يجب اجتنابه لمخالفته للأخلاق الطيبة التى يجب أن يكون عليها المسلم .

**فأمرنا** باتباع الجنائز وبيّن مافى ذلك من الأجر والمثوبة . فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " من شهد الجنازة حتى يصلى فله قيراط ، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان . قيل : وما القيراطان ؟ قال : مثل الجبلين العظيمين " (٢) .

**عيادة المريض :** وهى زيارته . عن ثوبان مولى رسول الله — صلى الله

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز حديث رقم ١٢٣٩ ، وله أطراف ذكرت فى فتح البارى بعد ذكر هذا الحديث .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز حديث رقم ١٣٢٥ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الجنائز ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، والنسائى كتاب الجنائز ٥٤ ، ٧٩ ، وابن ماجه كتاب الجنائز ٣٤ ، وأحمد فى المسند ٢/٤٠١ ...

عليه وسلم — قال : " إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع " (١) .

**اجابة الداعى** : أى الى الوليمة من عرس وغيره .

فعن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " إذا دعى أحدكم الى الوليمة فليأتها " (٢) .

وعن أبى موسى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " فكّوا العانى وأجيبوا الداعى ، وعودوا المريض " (٣) .

" **ونصر المظلوم** " : — وهذا موضوع بحثنا — ، فنصرة المظلوم حق على كل مسلم وهو أن ترد عنه المظلمة قبل وقوعها وترفع عنه اذا وقعت به ، ويؤخذ له حقه ، ويؤخذ على يد الظالم ، ويردع عن الاعتداء ولا يكون هناك مجاملة مع الظلمة مهما كانت مكانتهم ومقامهم من رئاسة أو ثروة أو غيرها من المكانات التى لها نظر عند الناس حتى لايظلم أحد أحدا لتستقيم الأمور وتكون الحياة البشرية على نسق منتظم لاعوج فيه ولا بغي ولا طغيان ، ويكون القوى والضعيف سواء يعيشون فى أمن ورخاء وعدالة الاسلام الذى يحفظ لكل ذى حق حقه .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، والترمذى كتاب الجنائز ٢ ، وأحمد فى المسند ٥/ ٢٧٧ ..

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح حديث رقم ٥١٧٣ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح حديث رقم ٥١٧٤ .

عن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : " أنصر أخاك ظالما أومظلوما . قالوا : يارسول الله هذا ننصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذ فوق يده " (١)

قال ابن حجر :

( قوله : " قال : فتأخذ فوق يده " كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول ، وعبر بالفوقية إشارة الى الأخذ بالاستعلاء والقوة ، وفى رواية معاذ عن حميد عند الاسماعيلى " فقال : يكفه عن الظلم فذلك نصره اياه " ولمسلم فى حديث جابر نحو الحديث وفيه : " إن كان ظالما فلينهه فانه له نصرة " قال ابن بطال : النصر عند العرب الاعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشىء بما يئول اليه ، وهو من وجيز البلاغة .

قال البيهقى :

( معناه أن الظالم مظلوم فى نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسّا ومعنى ، فلو رأى إنسانا يريد أن يجب نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه الزنا مثلا منعه من ذلك وكان ذلك نصرا له ، واتحد فى هذه الصورة الظالم والمظلوم " . (٢) اهـ

وعن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — أنه قال : " أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ يا أيها الذين امنوا عليكم أنفسكم

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم حديث رقم ٢٤٤٤ .
(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب المظالم ج ٥ ص ٩٨ .

لايضركم من ضل اذا اهتديتم ) وانى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : " ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه ". (١)

وعن جابر بن عبد الله قال : اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار . فنادى المهاجر أو المهاجرون يا للمهاجرين ! ونادى الأنصارى : يا للأنصار فخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : " ماهذا دعوى أهل الجاهلية ؟ قالوا : لا . يارسول الله ! الا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر ، قال : " فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما . ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر . وان كان مظلوما فلينصره ". (٢)

فكسع : أى ضرب دبره وعجيزته بيد أو رجل أو سيف أو غيره (٣)

وعن أنس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يارسول الله أنصره اذا كان مظلوما أفرأيت اذا كان ظالما فكيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه من الظلم فان ذلك نصره ". (٤)

وسيأتى التفصيل — ان شاء الله تعالى — فى مبحث خاص " نصرة المظلوم واجابة دعوته ".

---

(١) رواه الترمذى كتاب الفتن حديث رقم ٢١٦٨ وقال حديث صحيح ، ورواه أبو داود كتاب الملاحم ١٧ ، وأحمد فى المسند ١/٧ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٨٤ .

(٣) شرح النووى على مسلم ج ١٦ ص ١٣٢ .

(٤) رواه البخارى في صحيحه كتاب الاكراه حديث رقم ٦٩٥٢ .

" ورد السلام " : وهى تحية المسلمين بين بعضهم البعض" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا ، ألا أدلكم على أمر إذا أنتم فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم "[1].

" تشميت العاطس " : أى إذا عطس الرجل يحمد الله فيشمته السامع أى يقول له : يرحمك الله .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم "[2].

فهذه حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم ، وهى من الخلق الفاضلة التى يجب أن يتحلّى بها المسلم ، فتقوى رابطة الأخاء والمحبة بين المسلمين حتى يكونون دائما على صلة وثيقة ببعضهم ، وتتجدد أواصر القرب بين المسلم وأخيه المسلم فيكونوا على لقاء مستمر من تبادل المشاعر الدينية التى تجعل منهم كتلة مترابطة شعورها واحد وهدفها واحد .

---

(١) رواه الترمذى كتاب الاستئذان حديث رقم ٢٦٨٨ ، وقال حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٦٢٢٤ .

# الفصل الثاني

## تحريم الظلم ووجوب رد المظالم

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تحريم الظلم

المبحث الثاني: رد المظالم

## الفصل الثاني

## تحريم الظلم ووجوب رد المظالم

الله سبحانه وتعالى عندما حرّم الظلم على عباده لعلمه جل وعلا بما يلحق من سبب ذلك بضار سواء بمن يقع منه الظلم أو بمن يقع عليه الظلم . فالذى يقع منه الظلم مصابه أعظم مما سيحل به عاجلا أو آجلا من عقوبة الله ـ تعالى ـ أو عاجلا وآجلا . وقد رأينا وسنرى في المباحث القادمة ـ ان شاء الله تعالى ـ ما حل بالظلمة السابقين من عذاب الله تعالى وما توعدوا به في الآخرة مما هو أشد وأعظم .

أما من يقع عليه الظلم فانّه وان كانت المظلمة موءلمة له ولها أثرها الا أنها سرعان ما تنتهي لأنّ الحياة الدنيا وقتها زمنى ثم تزول ، أمّا الآخرة فهى الحياة الدائمة كما أخبر تعالى : ﴿ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (١) .

وهنا أمران يستلزمان على العباد :

**الأمر الأول** : ردع النفس عن الظلم وعدم الاعتداء على عباد الله تعالى بما ليس حق .

**الأمر الثاني** : اذا وقع الظلم وجب الكف عن ذلك وفي الحين وجب رد الحقوق لأهلها .

ولابد أن يعرف العبد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل ضوابط فى هذه الحياة الدنيا تكفل للمخلوقات حقوقها ، فشرعه الحكيم الذى أرسل به رسله ـ عليهم السلام قد بيّن ذلك أكمل بيان ، فقد قامت الحجة وانقطعت المحجة ، بقى أن نرى ماجاء في تحريم الظلم ووجوب رد المظالم .

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٦٤) .

# المبحث الأول

## تحريم الظلم

## المبحث الأول

## تحـــريم الظلم

الظلم مرتعه وخيم وعاقبته سيئة ، ففيه خراب الديار ، وعدم الأمن والاستقرار ، فأخبثه وأعظمه الشرك بالله - تعالى - والذى هو أكبر الكبائر ومن مات على ذلك فمآله الى النار وبئس القرار ، خالدا مخلدا فيها ثم تأتى المظالم الأخرى ، وكل مظلمة على قدرها الله - سبحانه - توعد الظلمة فقال : ﴿ إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ . (١)

وقد حرم الله - تعالى - الظلم على نفسه فقال تعالى : ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾ . (٢) وقال تعالى فى الحديث القدسى : ﴿ ياعبادى انى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... ﴾ (٣)

فأكل أموال الناس بالباطل ظلم ، وبخس المكيال والميزان ظلم ، والغصب والسرقة والاختلاس ، والتغرير ، والغيبة ، والنميمة ، وكل مافيه حقوق للآخرين ظلم ، لايكفره صلاة ولا صدقة ، ولا أى عمل من الأعمال الخيرية حتى ولا التوبة والاستغفار ، إلا بالتحلل من

---

(١) سورة الكهف : آية : (٢٩) .

(٢) سورة فصلت : آية (٤٦) .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر ٥٥ حديث رقم ٢٥٧٧ .

أصحاب المظالم ، لما روى أبو هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : " إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار "(١) .

وهناك ظلم وهو تعدى العبد على محارم الله — تعالى — وما عنه نهى وزجر ، فهذه تكفره التوبة والاستغفار والأعمال الصالحة .

فعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " الدواوين عند الله — عز وجل — ثلاثة : ديوان لايعبأ الله به شيئا ، وديوان لايترك الله منه شيئا ، وديوان لايغفره الله . فأما الديوان الذى لايغفره الله فالشرك بالله ، قال الله — عز وجل — : ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ﴾ ،

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة والآداب ٥٩ حديث رقم ٢٥٨١ .

وأما الديوان الذى لايعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يتركه أو صلاة تركها فان الله — عز وجل — يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء ، وأما الديوان الذى لايترك الله منه شيئا ، فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص لا محالة ".(١)

لقد شرع الله — تعالى — فى هذا الدين الحنيف ما فيه الخير للعباد ورغبهم فيه وحضّهم عليه ، وأبان لهم مافيه الشر ونهاهم عنه، وجاء ذلك واضحا فى كتابه — تعالى — وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم ، فالمسلمون أخوة . قال تعالى : ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾(٢) وعن ابن عمر — رضى الله عنهما — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".(٣)

---

(١) رواه الامام أحمد فى المسند ٦/٢٤٠ ضعفه الألبانى فى المشكاة ٥١٣٣ ، وقد ذكر حديث انس مرفوعا فى سلسلة الاحاديث الصحيحة ١٩٢٧ بلفظ " الظلم ثلاثة " واسناده ضعيف وقد حسّنه باعتبار حديث عائشة الذى معناه شاهدا له .

(٢) سورة الحجرات : آية (١٠) .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة ٥٨ حديث رقم ٢٥٨٠ .

فالمسلمون مكلفون جميعا بما أوجب الله عليهم من الطاعة والالتزام بذلك ، والابتعاد عما نهاهم الله عنه من المعاصى والحذر منها ، والشريعة الغراء توضح وتفصل للانسان دينه قولا وفعلا وتقريرا حتى لايقع أحد فى حرام ويظنه حلالا ويقع فى بدعة ويظنها سنة ، أو فى محظور ويظنه مسنونا ، فالبيان كان شافيا وواقيا وكافيا . فمن خرج على ذلك فهو الظالم ، والمولى — عز وجل — يملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته وأذاقه عذابه الشديد جزاء ظلمه وطغيانه ﴿ إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ (١) .

وشرع الله الحكيم فيه تحريم الظلم ووجوب رد المظالم .

فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " إن الله لايظلم مؤمنا حسنة يعطى بها فى الدنيا ويجزى بها فى الآخرة . وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله فى الدنيا حتى إذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها " (٢) .

---

(١) سورة يونس : آية (٤٤) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب المنافقين ٥٦ حديث رقم ٢٨٠٨ ، وأحمد في المسند ٣/١٢٣ .

وفى رواية أنه — صلى الله عليه وسلم — قال : " ان الكافر اذا عمل حسنة أطعم بهــا طعمة من الدنيا • وأما المؤمن فإن اللــه يدخر له حسناته فى الآخرة ويعقبه رزقا فى الدنيا على طاعته " (١) •

قال النووى :

( أجمع العلماء على أن الكافر الذى مات على كفره لاثواب له فى الآخرة ولا يجازى فيهــا بشىء من عمله فى الدنيا متقربا الى اللــه — تعالى — وصرح فى هذا الحديث بأن يطعم فى الدنيا بما عمله من الحسنات أى بما فعله متقربا به الى الله — تعالى — مما لايفتقــر صحته الى النية كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيــل الخيرات ونحوها • وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله الى الآخرة ويجزى بهــا مع ذلك أيضا فى الدنيا ولا مانع من جزائه بها فى الدنيا والآخرة وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده ) (٢) •

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليــه وسلم — قال : اختصمت الجنة والنار الى ربهما فقالت الجنة : يارب مالهــا لايدخلهــا الا ضعفاء الناس وسقطهم ، وقالت النار : يعنى أوثرت بالمتكبرين • فقال الله — تعالى — للجنة : " أنت رحمتى • وقال للنار : أنت عذابى ، أصيب بك من أشاء ، ولكل واحدة منكمــا

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب المنافقين ٥٧ •

(٢) صحيح مسلم شرح النووى كتاب صفة القيامة والجنة والنار المجلد التاسع الجزء السابع عشر ص ١٥٠ •

ملوءها ، قال : فـأما الجنة فإن الله لايظلم من خلقه أحدا وأنـه ينشئ للنار (١) من يشاء فيلقون فيهـا فتقول هل من مزيد ثلاثـا حتى يضع فيهـا قدمه فتمتلئ ، ويرد بعضهـا إلى بعض وتقول قـط قط قط ". (٢)

فى هذا الحديث بيان أن الله لايظلم من خلقه أحدا فهـو ينشئ للجنة خلقا ويدخلهم إياها ويضع قدمه فى النار فتمتلئ حيث يرد بعضهـا إلى بعض . وهذا من واسع رحمته بعباده وتحريمه الظلم على نفسه — تعالى — وجعله بين عباده محرما .

والمظالم اذا لم ترد إلى أصحابهـا فى الدنيا أو يتحلل منهـم كان القصاص يوم القيامة .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ، فإنه ليس ثـم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لـم

---

(١) ذكر فى التعليق على هذا الحديث : " جزم ابن القيم بأن هـذا غلط من الراوى ، وصوابه " ينشئ للجنة " كما تقدم برقم ٤٨٥٠ من طريق عبد الرزاق عن همام عن أبى هريرة ، وكما فى رقم ٧٣٨٤ من طريق قتادة عن أنس فتبين منهما أن الراوى هنا سبق لفظه من الجنة الى النار ، ويسمونه فى مصطلح الحديث " المتقلب " فتح البارى ج ١٣ ص ٤٣٤ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التوحيد ٢٥ حديث رقم ٧٤٤٩ .

يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه " (١) .

وحديث أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقص لبعضهم من بعض مظالم ، كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم فى دخول الجنة . فوالذى نفس محمد بيده ، لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله فى الدنيا " (٢) .

والقصاص هو من الحسنات حيث فى ذلك الموقف لا دينار ولا درهم بل حفاة عراة فيؤخذ من حسنات الظالم ويعطى المظلوم ، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئات خصمائه ووضع عليه ، وأول مايقضى الله — تعالى — فى الدماء لأهميتها وعظم حرمتها عند الله تعالى لما ورد فى الحديث عن عبد الله — رضى الله عنه — قال : قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : " أول مايقضى بين الناس فى الدماء " (٣) .

من هذه الأحاديث يظهر لنا عظم حقوق المسلم وأن الله — سبحانه وتعالى — لايترك منها شيئا لاصغيرا ولا كبيرا فإذا لم يتخلص الانسان من المظالم فى الدنيا فلا بد من اقتصاصها منه يوم

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٣٤ ، ورواه أحمد فى المسند ٣/ ١٣ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٣٥ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق حديث رقم ٦٥٣٣ .

القيامة وهذا من عدل الله — تعالى — ورحمته بعباده حتى لا يطغى أحد على أحد فى الدنيا فلا ملك ينفعه ملكه ، ولا أمير تنفعه امارته ، ولا قاهر تنفعه مكانته ، ولا غنى ينفعه غناه ، لا أحد يجد ما يغنى عنه من الله شيئا إلا الأعمال الصالحة .

فالخسارة التى لا عوض لهـا هى أن يقدم العبد على ربـه بحسنات مثل الجبال ، ولكنه فى الدنيا أكل أموال الناس ، وسفك دماءهم ، واعتدى عليهم بالضرب ، وغير ذلك مما لا يحل له ، فتؤخذ حسناته وتعطى لأولئك الذين اعتدى عليهم فى الدنيا .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى اللـه عليه وسلم — قال : " أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا مـن لا درهم له ولا متاع ، فقال : " إن المفلس من أمتى يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مـال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه أخذ مـن خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار " (١) .

وعن أبى ذر — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليـه وسلم — قال : " ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يبغضهم الله ، فأما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينـه وبينهم ، فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرّا لا يعلم بعطيتـه

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر ٥٩ حديث رقم ٢٥٨١ ، والترمذى كتاب القيامة ٢ .

إلا الله ، والذى أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رءوسهم ، فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى . ورجل كان فى سرّية فلقى العدو فهزموا وأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له . والثلاثة الذين يبغضهم الله : الشيخ الزانى . والفقير المختال ، والغنى الظلوم ". (١)

قال الأمام الحافظ أبو العلى المباركفورى :

( " الشيخ الزانى " يحتمل أن يراد الشيخ الشيبة ضد الشاب وأن يراد به المحصن ضد البكر كما فى الآية المنسوخة الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم . و " الفقير المختال " أى المتكبر ، و " الغنى الظلوم " أى كثير الظلم فى المطل وغيره . وإنما خص الشيخ وأخواه بالذكر لأن هذه الخصال فيهم أشد مذمة وأكثر نكرة ). (٢) اهـ

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب صفة الجنة حديث رقم ٢٥٦٨ وقال حديث صحيح ، ورواه النسائى كتاب الزكاة ٧٥ ، ورواه الامام أحمد فى المسند ٥/١٥٣ .

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ج ٧ ص ٢٩٣ .

# المبحث الثاني

## رد المظالم

## المبحث الثاني

## رد المظالم

إن السنة المطهرة عندما تحرم الظلم فإنها توجب رد المظالم حتى تطهر النفوس وتزكو ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ أى : يزكى نفسه بطاعة الله — تعالى — ويطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " (١) .

وهذا يوم القيامة يوم الجزاء والحساب عندما يكون فصل القضاء حتى بين الحيوانات والكافر ينظر ذلك الأمر العظيم ويرى طريقه الى النار ، وبعد القصاص بين الحيوانات يقول لها الرب — سبحانه — كونى ترابا فتكون ترابا . فيود الكافر أنه يكون ترابا ليسلم من عذاب الله — تعالى — .

قال ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ﴾ (٢) :

( يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لايجور حتى انه ليقتص للشاة الجلحاء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كونى ترابا

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر ٦ حديث رقم ٢٥٨٢ ، والترمذى كتاب القيامة ٢ ، والامام أحمد فى المسند ٢ / ٢٣٥ .

فتصير ترابا فعند ذلك يقول : ﴿ ياليتني كنت ترابا ﴾ (١) أى كنت حيوانا فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا فى حديث الصور المشهور) (٢) .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين " (٣) .

وعن سالم عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خسف به يوم القيامة الى سبع أرضين " (٤) .

إذا كان هذا جزاء من ظلم قدر شبر من الارض فكيف من يظلمون المسافات الطويلة من الأرض ويأخذون حقوق الناس بالباطل بحكم السلطة أوالقوة أو المكانة أو طلاقة اللسان فى الحجة ؟

أما يعلمون أن المرجع والمصير الى الله ـ تعالى ـ ملك الملوك والذى سيحاسب كلاً بعمله وبما قدم فى حياته الدنيا ! وان فى هذين

---

(١) سورة النبأ : آية (٤٠) .
(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٤٦٦ .
(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم ١٣ حديث رقم ٢٤٥٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب المساقاة ١٤٢ ، والدارمى كتاب البيوع ٦٤ ، والامام أحمد فى المسند ١٨٧/١ .
(٤) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم حديث رقم ٢٤٥٤ .

الحديثين لزجـــر ووعيد لمن ظلم الناس وأكل حقوقهم •

عن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ــ صلى اللــــه عليه وسلم ــ قال : " إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم ألحن بحجتـــه من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع لـه قطعة من النار فلا يأخذها " [1] •

وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شـــىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لايكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ مـــن سيئات صاحبه فحمل عليه " [2] •

قال ابن حجر :

( قوله : " من عرضه شىء " أى من الأشياء ، وهو من عطــف العام على الخاص فيدخل فيه المال بأصنافه والجراحات حتى اللطمة ونحوهـــا ) [3] • اهـ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الشهادات ٢٧ حديث رقم ٢٦٨٠ ، والأحكام ٢٠ ، والحيل ١٠ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتـــاب الأقضية ٤ ، وأبو داود أقضية ٧ ، والترمذى أحكام ١١ ، والنسائى : قضاة ١٣ ، ٣٣ ، وابن ماجه : أحكام ٥ ، ومالـــك فى الموطأ أقضية ١ ، وأحمد فى المسند ٦/ ٢٠٣ •

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم حديث رقم ٢٤٤٩ •

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى : ج ٥ ص ١٠١ •

إن فى الدنيا مهلة للعبد مادام على قيد الحياة ليرجع عن غيّه وتعدياته وتماديه وترّهاته قبل أن يوافيه الأجل ، والنفس مرتهنة بحقوق الآخرين لظلمه لهم وأكل أموالهم بالباطل .

عن أبى قتادة الحارث بن ربعى — رضى الله عنه — عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قام فيهم فذكر لهم : " أن الجهاد فى سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال " ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ! أرأيت إن قتلت فى سبيل الله تكفّر عنى خطاياى ؟ فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " نعم . إن قتلت فى سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر " ، ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " كيف قتلت ؟ " قال : أرأيت إن قتلت فى سبيل الله أتكفّر عنى خطاياى ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " نعم . وأنت صابر محتسب ، مقبل غير مدبر إلا الدين . فإن جبريل — عليه السلام — قال لى ذلك " .(١)

فالدين حق من حق الآدميين ، والعبد مطالب بالحقوق ولا يعفى منها لا بتوبة ولا بموت فلابد من ارجاع الحقوق لأصحابها أو التحلل من ذلك .

عن عائذ بن عمرو المزنى أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة ١٢٧ ، حديث رقم ١٨٨٥ ، والترمذى كتاب الجهاد ٣٣ ، والنسائى كتاب الجهاد ٣٢ ، ومالك فى الموطأ جهاد ٣١ .

وبلال فى نفر . فقالوا : والله ! ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبى — صلى الله عليه وسلم — فأخبره . فقال : " يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم . لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك "[١] . فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا. يغفر الله لك يا أخيّ .

هؤلاء الرجال الذين اختارهم الله لصحبة رسوله — صلى الله عليه وسلم — يراعون حقوق الآخرين ويردون ما يرون أنه حق غيرهم عندما يعرفون ذلك أو يخبرون به . فأبو بكر — رضى الله عنه — تكلم مع سلمان وصهيب وبلال بكلام ليس فيه شئ من التعدى أو هضم الحقوق ، ولكن نبيّ هذه الأمّة محمدا — صلى الله عليه وسلم — كان دقيقا وحريصا وبالمؤمنين رءوف رحيم ، فخشي أن يكون أبو بكر فى مقالته أغضب هؤلاء النفر وهذا مما لا يرضاه ، ومن ناحية أخرى يخشى على أبى بكر أن يكون قد وقع فى أمر يغضب عليه ربه ، وهو لا يرضى هذا لأبى بكر — رضى الله عنه — .

فلننظر إذا كان الأمر يصل هذه الدقة فى المحاسبة والمحافظة على حقوق الآخرين. وإرجاعها لهم إن وجدت — أي إذا وقع فى شئ من ذلك — فكيف بالتعديات الظاهرة والغمط والغصب واستعمال القوة واغتنام فرصة السلطة ؟

الشريعة الاسلامية الخالدة لم تترك الضعيف فريسة للقوى بل

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة ١٧٠ حديث رقم ٢٥٠٤ ، والامام أحمد فى المسند ٥/٦٤ .

عظمت أمره ، وندد ت بالاعتداء عليه ، بل رغبت فى الإحسان إليه ولو أن يلقى المسلم أخاه بوجه طليق .

عن أبى ذر — رضى الله عنه — قال : قال لى النبى — صلى الله عليه وسلم — : " لاتحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق " . (١)

كما أن العبد إذا نطق بشهادة الحق حرم دمه وماله وعرضه ، وأصبح له مكانته بين إخوانه المسلمين .

عن عطاء بن يزيد أن عبيد الله بن عدى حدّثه أن المقداد بن عمرو الكندى حليف بنى زهرة حدّثه وكان شهد بدرا مع النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : يارسول الله إن لقيت كافرا فاقتتلنا فضرب يدى بالسيف فقطعها ثم لاذ بشجرة وقال : أسلمت لله آقتله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : لاتقتله فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله وأنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته التى قال " . (٢)

قال ابن حجر :

( قال الخطابى : معناه أن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم ، فاذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم ، فإن قتله المسلم بعد ذلك صار دمه مباحا بحق القصاص كالكافر بحق الدين ، وليس

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة ١٤٤ حديث رقم ٢٦٢٦ .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٦٥ .

المراد الحاقه فى الكفر كما تقوله الخوارج من تكفير المسلم بالكبيرة ، وحاصل اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ ، فالأوله مثلك فى صون الدم ، والثانى أنك مثله فى الهدر ) . [١] اهـ

وعن ابن عباس — رضى الله عنه — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " أبغض الناس الى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم ، ومبتغ فى الاسلام سنّة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه " . [٢]

لقد صان الاسلام الدماء المسلمة وحمى الأموال من الاعتداء ، ونزّه الأعراض من التشويه والتدنيس ، هكذا مسلك الشريعة وهدفها البانى الذى يجعل المسلمين كالبنيان المرصوص ، أخوة متحابين ، تعاطف وصفاء ، لا رفعة لحاكم على محكومين ، ولا ميزة لأحد على أحد الا بالتقوى ، أكرمهم عند الله أتقاهم .

قال تعالى : ﴿ انما المؤمنون أخوة ﴾ [٣] إن هذا يكون بارجاع النفس عن اعتدائها إذا هي بغت على الآخرين ، ورد الحقوق ، والتوبة الى الله — عز وجل — .

بهذا يصبح المؤمنون على هدى من الله — تعالى — من أمورهم لايطغى أحد على احد ولا يظلم أحد أحدا يهتدون بكتاب الله — تعالى — ويستنون بسنّة محمد — صلى الله عليه وسلم — .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى : ج ١٢ ص ١٨٩ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٨٢ .

(٣) سورة الحجرات : آية (١٠) .

# الفصل الثالث

## نصرة المظلوم وإجابة دعوته.

وفيه مباحث :.

المبحث الأول : إعلان المظلوم ظلامته

المبحث الثاني : الفرار بالدين من جور الظلم

المبحث الثالث : نصرة المظلوم

المبحث الرابع : إستجابة دعوة المظلوم

## الفصل الثالث

## نصرة المظلوم واجابة دعوته

إن القوة مهما بلغت من الشأو وتحكمت بل وتمكنت فى الأرض بالسلطان يكون لها مسلكان :

١ - مسلك فى أداء واجبات الله - تعالى - كما افترض - جل وعلا -، واجتناب نهيه كما بيّن وحذّر ، ومعاملة حسنة مع الآخرين بالتواضع والعطف والرحمة والمساعدة والنفع والاصلاح ، وهذه هي القوة المصلحة ، ومنهجها كله خير ، فالضعيف عندها قوى حتى تأخذ الحق منه ، فدأبها الاصلاح النفسى فيما أوجب الله عليها من الالتزام بالمأمورات والاجتناب للمنهيات .

قال تعالى : ﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾(١) .

٢ - المسلك الثانى هو النكوص عن الالتزام بهذا الدين ونبذه ظهريا فليس لها مسلك إلا أن تعبث فى الأرض فسادا بالتكبر والتجبر والعتو فى الأرض بالتخريب والإيذاء وغمط الحق ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وإهراق دمائهم والوقوع فى أعراضهم واستباحة ذلك كله متناسية المآب والمرجع ، والحساب والجزاء، متناسية الوقوف أمام رب العالمين الذى يحاسب على الصغيرة

---

(١) سورة الحج : آية (٤١) .

﴿ لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (١) .

هذه القوة التى أمنت العقاب والوقوف أمام الرب للحساب ، ولم تبال بظلم العباد لها من الله نزل فى النار ﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هى المأوى ﴾ (٢) . فلو اعتبر المعتبرون بما جاء فى كتاب الله — تعالى — وفى سنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — لما جار ملك ، ولا ظلم أمير ، ولا خان عامل ، ولا امتلأت السجون بالمجرمين ، ولا تزاحم الناس على أبواب المحاكم لما يحصل بينهم من المظالم ، ولا أخيف آمن ، ولا سرق سارق ، ولا ارتكب محظور من المحظورات ، ولا حيد عن تحكيم كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — الى وضع القوانين الشريرة العمياء على ما تريده الأهواء .

قال تعالى : ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم * وإذا أراد بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الكهف : آية (٤٩) .

(٢) سورة النازعات : آية (٣٧ — ٣٩) .

(٣) سورة الرعد : آية (١١) .

(٤) سورة الرعد : آية (٢٥) .

اذا تمعن أصحاب العقول المستنيرة بنور الإيمان هذين المسلكين عرفوا الحق من الضلالة والخير من الشر ، والعقبى من الطيبة من عاقبة السوء ، فلابد بالحق يستمسكون وعلى نهج الله يسيرون ، ولدعوته يبلغون ، لا يردهم عن ذلك دنيا زائلة ، ولا أهواء متبعة ، ولا مداهنة كبير ، ولا عظيم ، هم مع الحق دائما أينما كان ، ينصرون المظلوم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، سواء برفع الظلم عنه إن كان مظلوما من غيره أو ظالما لغيره فيردعه عن الظلم أو يخرجه منه إن وقع فيه فان فى ذلك نصرته .

وليخش المعتدون وظلمهم للغير من نقمة الله عليهم فإن المظلوم لابد الله ناصره . كيف لا ينصره ؟ وأنت أيها الظالم تنام فى أمن وسلام ، والمظلوم لا تهدأ له عين بالنوم ، فهو رافع يده الى الملك العلاّم ، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم .

# المبحث الأول

## إعلان المظلوم ظلامته

## المبحث الأول

## " اعلان المظلوم ظلامته "

**يقول الله تعالى :**

﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما ﴾ (١) .

ذكر ابن جرير اختلاف القرّاء فى قراءة ﴿ الا من ظلم ﴾ فقال : ( قرأته عامة قرّاء الأمصار بضم الظاء ، وقرأ بعضهم بفتحها ، وكذا اختلف فى المعنى . )

فبعد ذكر أقوال الجميع واختلافاتهم قال — رحمه الله تعالى — :

( وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ ﴿ إلا من ظلم ﴾ بضم الظاء لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحتها ، شذوذ قراءة من قرأ ذلك بالفتح . فإذا كان ذلك أولى القراءتين بالصواب ، فالصواب فى تأويل ذلك ، لايحب الله أيها الناس أن يجهر أحد لأحد بالسوء من القول ﴿ الا من ظلم ﴾ بمعنى : إلا من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما أسىء إليه ، وإذا كان ذلك معناه : دخل فيه إخبار من لم يقر أو أسىء قراه ، أو نيل بظلم فى نفسه أو ماله عنوة من سائر الناس وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم أن ينصره الله عليه ، لأن فى دعائه عليه إعلاما منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له ...... ) . (٢) اهـ

---

(١) سورة النساء : آية (١٤٨) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٦ ص ٤ الطبعة الثالثة للحلبى .

فالمولى — عز وجل — لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء فقد أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا ، ما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد يسجل ما يصدر منه طيبا أو خبيثا ، قولا أو فعلا . ومع هذا فقد بيّن لنا — تعالى — بأنه لا يحب الجهر بالسوء من القول : أى يبغضه ويمقته ويعاقب عليه وذلك من الأقوال السيئة كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك إلا من ظلم فله أن يبين ماوقع به من مظلمة ويجهر بذلك حتى تدفع عنه تلك المظلمة وإن صبر كان خيرا له كما قال تعالى : ﴿ فمن عفى وأصلح فأجره على الله ﴾(١)

وفى الحديث عن أبى كبشة الأنمارى أنه سمع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، قال : مانقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزّا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها ..." .(٢)

والله سميع بما يصدر من عباده من أقوال ، عليم بأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " إياكم والظلم فان الظلم ظلمات عند الله

---

(١) سورة الشورى : آية (٤٠) .

(٢) رواه الترمذى كتاب الزهد حديث رقم ٢٣٢٥ وقال حسن صحيح .

يوم القيامة ، وإياكم والفحش ، فإن الله لايحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فإنه دعا من قبلكم فاستحلوا محارمهم وسفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم " (١) .

لهذا فقد كره — سبحانه — للجماعة المسلمة أن تشيع فيها قالة السوء والجهر بذلك وأن يقتصر الجهر على من وقع به الظلم ليدفع عنه ما وقع به . وفي الحديث تشنيع على الظالم ووصف لحاله يوم القيامة ، وتحذير من الفحش والتفحش لأن ذلك مدعاة للظلم ، وكذا الشح ، وقد بيّن الشارع عاقبته وهو استحلال ما حرم الله على ابن آدم ومقاطعة الأرحام .

---

(١) الفتح الرباني للساعاتي ج ٩ ص ١٣٥ وقال سنده جيد .

# المبحث الثاني

## الفرار بالدين من جور الظلم

## المبحث الثاني

## الفرار بالدين من جور الظلمة

**يقول الله تعالى :**

﴿ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنّهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾(١) .

فى هذه الآية الكريمة نصرة للمظلوم من الله — تعالى — ووعد له بالجزاء الحسن ، وهذا مما سيتبين لنا من أقوال المفسرين التى سنوضحها — ان شاء الله تعالى — .

لقد حصل للسلف الصالح من صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الكثير من اعتداءات كفار قريش بسبب إيمانهم بالله — تعالى — بدخولهم فى دينه فأذاقوهم سوء العذاب ، وأنواعه وأشكاله المتعددة ، حتى أجبروهم على الفرار بدينهم وذلك بالهجرة فى سبيل الله — تعالى — وتركوا ديارهم وقد حالوا بينهم وبين الأهل والولد والمال ، وقد فارقوا ذلك رضى الله عنهم — وقلوبهم تحنّ ، وأشواقهم تتوق إلى بلادهم رأسهم نبى هذه الأمة — عليه أفضل الصلاة والسلام ، فلاقى أعظم مما لاقاه غيره من صحابته وأشد وأنكى .

فمن صحابته من هاجر الى الحبشة فارّاً بدينه ، ومنهم من بقى بمكة يوالى ويناصر محمدا — صلى الله عليه وسلم — ، ومنهم من يُعذّب

---

(١) سورة النحل : آية (٤١) .

ليل نهار وخاصة الذين يرزحون تحت سموم الرقّ ، وليس لهم ردّ على أعدائهم أعداء الاسلام إلا كلمة أحد أحد أى الله واحد أحد حتى مات منهم من مات شهيدا فى سبيل الله ، ومنهم من سلم ولحق بمحمد — صلى الله عليه وسلم — وصحبه الكرام ، فصارت العاقبة الطيبة لهم بالنصر والتأييد والتمكين فى الأرض ، وظهورهم على أعدائهم ، أمّا فى الآخرة فهو النعيم المقيم فى جنات رب العالمين .

قال تعالى : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( يخبر — تعالى — عن جزائه للمهاجرين الذين فارقوا الدار والإخوان والخلان والذين هاجروا إلى الحبشة عند اشتداد الأذى بهم بمكة ، ومن أشرافهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقيّة بنت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وجعفر بن أبى طالب ابن عم الرسول ، وأبو سلمة بن عبد الأسود فى جماعة قريب من ثمانين ما بين رجل وامرأة صدّيق وصدّيقة — رضى الله عنهم وأرضاهم — ، وقد فعل فوعدهم — تعالى — بالمجازاة الحسنة فى الدنيا والآخرة فقال : ﴿ لنبوئنّهم فى الدنيا حسنة ﴾ .

قال ابن عباس والشعبى وقتادة : المدينة — يعنى هجرتهم اليها — وقيل الرزق الطيب قاله قتادة ولا منافاة بين القولين ، وقد وقع

---

(١) سورة التوبة : آية (١٠٠) .

فإنهم مكّن الله لهم في البلاد وحكّمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكّاما ، وكل منهم للمتقين إماما ، وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال : ﴿ ولأجر الآخرة أكبر ﴾ أي : مما أعطيناهم في الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي : لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ، ولهذا قال هشيم عن العوام عمّن حدثه أن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول : خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل " (١) .

قال القرطبي : عند قوله تعالى : ﴿ لنبوئنهم في الدنيا حسنة ﴾ :

( في الحسنة ستة أقوال :

**الأول** : نزول المدينة . قاله ابن عباس والحسن والشعبي وقتادة .

**والثاني** : الرزق الحسن . قاله مجاهد .

**والثالث** : النصر على عدوهم . قاله الضحاك .

**والرابع** : أنه لسان صدق . حكاه ابن جريج .

**والخامس** : ما استولوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات .

**والسادس** : مابقى لهم في الدنيا من الثناء ، وما صار فيه لأولادهم من الشرف .

وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله والحمد لله ) (٢) .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ باختصار بسيط ص ٥٧٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٠٧ .

# المبحث الثالث

## نصرة المظلوم

## المبحث الثالث

## نصرة المظلوم

**قال الله تعالى :**

﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (١) ٠

قال ابن جرير :

( ﴿ انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ﴾ قيل فى هذا وجهين كلاهما صحيح ٠ معناه :

**أحدهما :** أن يكون معناه : إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا إما باعلائنا لهم على من كذبنا وإظفارنا بهم ، حتى يقهروهم غلبة ، ويذلوهم بالظفر ذلة ، كالذى فعل من ذلك بداود وسليمان ، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر ، وكالذى فعل بمحمد — صلى الله عليه وسلم — بإظهاره على من كذبه من قومه ٠

**ثانيهما :** واما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم باهلاكهم وانجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم ، كالذى فعل — تعالى ذكره — بنوح وقومه ، من تغريق قومه وانجائه منهم ، وكالذى فعل بموسى وفرعون وقومه ، اذ أهلكهم غرقا ، ونجّى موسى ومن آمن به من بني اسرائيل وغيرهم ونحو

---

(١) سورة غافر : آية (٥١ — ٥٢) ٠

ذلك ، أو بانتقامنا فى الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم ، كالذى فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته ، وكفعلنا بقتلة يحيى ، من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتلته له ، وكانتصارنا لعيسى من مريدى قتله بالروم حتى أهلكناهم به ". (١)

وقال ابن كثير :

( ولهذا أهلك الله — عز وجل — قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم وأضرابهم ممن كذّب الرسل وخالف الحق ، وأنجى الله — تعالى — من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحدا ، وعذّب الكافرين فلم يفلت منهم أحدا ). (٢) اهـ

قوله : ﴿ يوم يقوم الأشهاد ﴾ أى : فى الآخرة بالحكم ، ولأتباعهم بالثواب ، ولمن حاربهم بشدة العذاب .

﴿ يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ﴾ أى : فى ذلك اليوم لاينفع أهل الشرك اعتذارهم ، لأنه قد أعذر إليهم فى الدنيا بتبليغهم من قبل رسلهم فلا حجة لهم فى الآخرة .

﴿ ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ أى : لهم الطرد والبعد من رحمة الله — تعالى — فنزلهم النار وبئس القرار .

إن الظلم مهما كان نوعه لابد أن يردى صاحبه ويضيّع حسناته

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٢١ ص ٧٤ — ٧٥ الطبعة الحلبية .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٨٣ .

ويكسد تجارته .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " رحم الله عبدا كانت لأخيه عنده مظلمة فى عرض أو مال ، فجاءه فاستحله قبل أن يؤخذ وليس ثم دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته ، وإن لم تكن له حسنات حمّلوه عليه من سيئاتهم " (١) .

فالشريعة الغرّاء تحض أبناءها ليكوّنوا جيلا متراص البنيان لا تزعزعه الأقاويل الباطلة ولا تدخله الأيدى المخربة الضارّة بالمجتمع ، فالمسلم يؤثر أخاه على نفسه فضلا عن أن يلحق به أذى ، أو يضره بما ينغص عليه حياته . كذا إذا وقع على أحد أذى بتعدّ من الغير فسرعان ما يزال ذلك الأذى ويعود الجرح ليلتئم ويصبح سليما كما كان .

والله — سبحانه وتعالى — يقص علينا فى القرآن الكريم حال السلف الصالح — صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى أروع مثل يجب أن يتحلى به المسلم الحق الذى يرجو ما عند الله — تعالى — والدار الآخرة فيقول :

﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢)

عندما ظلم من أسلم مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى مكة اضطرهم المشركون الى الخروج من وطنهم وأموالهم فخرجوا نصرة

---

(١) رواه الترمذى كتاب القيامة حديث رقم ٢٤١٩ وقال حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الحشر : آية (٨) .

لدين الله — تعالى — واتجهوا الى المدينة دار الهجرة فاستقبلهم إخوانهم الأنصار ونصروهم بمواساتهم بالمال والزوجات ووقوفهم صفّاً إلى جنبهم فى نحور الأعداء الظلمة . قال تعالى :

﴿ والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

ثم لا تزال أواصر المحبة فى الدين تزداد ويتقارب المتحابّون ويظهر عبير ذلك بدعاء بعضهم لبعض . قال تعالى :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلّا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ (٢) .

نعم إنه الإيمان الذى تمكّن فى القلوب فلم يكن غلّ لأحد ولا حسد بل جماعة متماسكة يشد بعضهم بعضا متناصرين على الحق . حتى خرجوا من الدنيا وقد رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون .

---

(١) سورة الحشر : آية (٩) .

(٢) سورة الحشر : آية (١٠) .

**ويقول الله تعالى :**

﴿ أذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ (١) .

لازلنا فى ذكر بعض الآيات التى يظهر فيها نصر الله لعباده الذين ظلموا فى الأرض من قبل الكفرة المكذبين بدينه — تعالى —، من أجل أنهم يقولون : لا إله إلا الله ، فيشرّدون من أوطانهم ويمنعون من أموالهم وأولادهم ، ويقتلون بسبب ذلك ، ففى هذه الآية الكريمة يبين المولى —عز وجل— بأنه ناصر عباده المؤمنين على الظلمة المكذبين ، فأذن لهم بالجهاد ومقاتلة المشركين ، وقد أظهرهم الله — تعالى — على أعدائهم وكتب لهم النصر والرفعة والسؤدد فى الدنيا حتى قرّت أعينهم بذلك وأعقب لهم النعيم فى الآخرة .

قال البغوى :

( قال المفسرون : كان مشركوا أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلا يزالون من بين مضروب ومشجوج ، ويشكون ذلك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فيقول لهم : " اصبروا فإنى لم أومر بالقتال " ، حتى هاجر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأنزل الله — عز وجل — هذه الآية وهى أول آية أذن الله فيها بالقتال فنزلت هذه الآية بالمدينة ) (٢) .

---

(١) سورة الحج : آية (٣٩) .

(٢) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل : ج ٣ ص ٢٨٩ .

عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : "لما أخرج النبى — صلى الله عليه وسلم — من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيّهم ليهلكنّ فأنزل الله ﴿ أذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ الآية . فقال أبو بكر : لقد علمت أنه سيكون قتال ." (١)

لقد حقق الله النصر لعباده المؤمنين عندما أذن لهم بالقتال وخاضوا المعارك مع أعدائهم فثبت أقدامهم وأنزل السكينة عليهم وأمدهم بجنود من عنده حتى تحقق نصرهم ، وصارت الدولة على أعدائهم ، ومكّن الله لهم فى الأرض .

إن المظلوم له واجب على إخوانه القادرين فى نصرته ممن ظلمه ، فعن جابر — رضى الله عنه — قال : اقتتل غلامان ، غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار ، فنادى المهاجر أو المهاجرون يال المهاجرين ، ونادى الأنصار : يال الأنصار فخرج رسول الله — صلى الله عليه وسلم فقال : " ماهذا دعوى أهل الجاهلية ؟ " قالوا : لا يارسول الله ! إلا أنّ غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر ، قال : " فلا بأس . ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ، إن كان ظالما فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلوما فلينصره " . (٢)

وعن البراء بن عازب — رضى الله عنهما — قال : أمرنا النبى

---

(١) رواه الترمذى كتاب التفسير حديث رقم ٣١٧١ وقال حديث حسن .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٨٤ .

— صلى الله عليه وسلم — بسبع ونهانا عن سبع ". (١)

وقد ذكر صلى الله عليه وسلم — مما أمرنا به " نصرة المظلوم " .

قال ابن حجر :

( هو فرض كفاية ، وهو عام فى المظلومين ، وكذلك فى الناصرين بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع وهو الراجح ، ويتعين أحيانا على من له القدرة عليه وحده إذا لم يترتب على إنكاره مفسدة أشد من مفسدة المنكر ، فلو علم أو غلب على ظنّه أنه لا يفيد سقط الوجوب وبقى أصل الاستحباب بالشرط المذكور ، فلو تساوت المفسدتان تخيّر ، وشرط الناصر أن يكون عالما بكون الفعل ظلما . ويقع النصر مع وقوع الظلم وهو حينئذ حقيقة ، وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ إنسانا من يد إنسان طالبه بمال ظلما وهدده إن لم يبذله ، وقد وقع بعد وهو كثير ). (٢)

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، قالوا : يارسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تأخذون فوق يديه ". (٣)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز حديث رقم ١٢٣٩ وقد مرّ معناه فى مبحث "تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم ".

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب المظالم : ج ٥ ص ٩٨ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم حديث رقم ٢٤٤٤ .

قال ابن حجر :

( " لطيفة " ذكر المفضل الضّبّى فى كتابه ـ الفاخر ـ أن أول من قال : " أنصر أخاك ظالما أو مظلوما " جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، وأراد بذلك ظاهره وهو ما اعتادوه من حميّة الجاهلية لا على ما فسّره النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى ذلك يقول شاعرهم :

إذا أنا لم أنصر أخي وهو ظالم • • على القوم لم أنصر أخى حين يظلم ) ا هـ (١)

فالمظلوم هو الانسان الذى تسلط عليه من هو أقوى منه فى الجسم أو الكثرة أو السلطان فى نفسه أو ماله أو عرضه ولم يستطع الدفاع عن ذلك . وهذا يتحتم على الآخرين نصرته برفع ما وقع عليه من ظلم أو دفع ذلك قبل أن يقع إذا علم ولا يعذر أحد إلا من لم يستطع فهذا ربما يكون فى منزلة المظلوم إن عمل شيئا ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ ذو القوة التى لا تقهر ، لابد أن يصب على الظالم سوط عذابه ، اذا لم يرجع ويتب ويرد المظالم لأصحابها ، وقد ذكرنا قبل قليل الحكم فى رفع الظلم .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب المظالم ج ٥ ص ٩٨ .

# المبحث الرابع

## إستجابة دعوة المظلوم

## المبحث الرابع

## " استجابة دعوة المظلوم "

فى الحقيقة أن العباد ليس لهم مرجع حقيقى إلا إلى الله - تعالى - خالقهم وعالم سرهم وعلانيتهم فهو الذى يسدل عليهم النعم ، ويرفع عنهم النقم ، لا أحد غيره ، لكن العبد ظلوم جهول كما أخبر المولى - عز وجل - فقال :

﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾(١) .

ومع هذا فالمولى - عز وجل - قد حفظ حقوق عباده ، ولا يرضى الظلم لأحد ، لأنه - تعالى - حرم ذلك على نفسه وجعله بين عباده محرما ، فهو يسمع دعوة المظلوم وينصره ممن ظلمه . ودعوة المظلوم لا ترد .

فعن أبى معبد عن ابن عباس عن معاذ بن جبل . قال أبو بكر : ربما قال وكيع : عن ابن عباس أن معاذا قال : بعثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " إنك تأتى قوما من أهل الكتاب . فادعهم الى شهادة أن لا إله الا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٧٢) .

فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينهـا وبين الله حجاب ". (١)

وعن زيد بن أسلم عن أبيه : أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — استعمل مولى له يدعى هنيّاً على الحمى فقال : ياهنيّ اضمم جناحك عن المسلمين ، واتق دعوة المسلمين فان دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل ربّ الصريمة ، وربّ الغنيمة ، وإيّاى ونَعَم ابن عوف ، ونَعَم بن عفّان ، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإنّ ربّ الصريمة وربّ الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتنى ببنيه فيقول : يا أمير المؤمنين . أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أيسر علىّ من الذهب والورق ، وأيم الله إنهم ليرون أنّى قد ظلمتهم ، إنّها لبلادهم ، فقاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الاسلام ، والذى نفسى بيده لولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت عليهم من

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الزكاة ٦٣ ، جهاد ١٨٠ ، مظالم ٥ ، مغازى ٦ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ١٩ واللفظ له ، وأبو داود زكاة : ٥ ، والترمذى : زكاة ١ ، ٤٦ ، وابن ماجه : زكاة ١ ، والدارمى : زكاة ١ ، ومالك فى الموطأ : دعوة المظلوم ١ ، وأحمد فى المسند : ١ / ٢٣٣ .
قال النووى : ( قوله عن أبى معبد عن ابن عباس عن معاذ قال أبو بكر وربما قال وكيع عن ابن عباس أن معاذا قال ) هذا الذى فعله مسلم — رحمه الله — نهاية التحقيق والاحتياط والتدقيق فإن الرواية الأولى قال فيها معاذ . والثانية أن

===

بلادهم شبرا " .(١)

وقوله :

" أضمم جناحك عن المسلمين " : أى أكفف يدك عن ظلمهم .

" واتق دعوة المظلوم " : أى اجتنب الظلم لئلا يدعو عليك من تظلمه.

---

== معاذا وبين أَنَّ وعَنْ فرق ، فان الجماهير قالوا أنّ كَعَنْ فيحمل على الاتصال . وقال جماعة : لاتلحق أنّ بعنّ بل تحمل أنّ على الانقطاع ويكون مرسلا . ولكنه هنا يكون مرسل صحابى له حكم المتصل على المشهور من مذاهب العلماء . وفيه قول الأستاذ أبى اسحق الاسفراينى الذى قدمناه فى الفصول أنه لايحتج به فاحتاط مسلم — رحمه الله — وبين اللفظين والله أعلم " اهـ . " شرح النووى على مسلم المجلد الأول الجزء الأول ص١٩٧ .

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد ١٨٠ حديث رقم ٣٠٥٩ ، ومالك فى الموطأ دعوة المظلوم ج ٢ ص١٠٠٣ داراحياء التراث العربى

" وهنّى " :

قال ابن حجر : ( بالنون مصغّر بغير همز وقد يهمز ، وهذا المولى لم أر من ذكره في الصحابة مع ادراكه ، وقد وجدت له رواية عن أبى بكر وعمر وعمرو بن العاص ، روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، شهد صفين مع معاوية ثم تحول إلى علي لما قتل عمّار ، ثم وجدت فى كتاب مكة لعمر بن شبة أن آل هنّى ينتسبون فى همدان وهم موالى آل عمر ، انتهى . ولولا أنه كان من الفضلاء النبهاء الموثوق بهم لما استعمله عمر . ) الفتح كتاب الجهاد ص١٧٦ .

" وأدخل " أى : فى المرعى ٠

" الصريمة " أى : القطعة القليلة من الابل نحو الثلاثين ٠ وقيل من عشرين الى أربعين ٠

" والغُنيمة " : تصغير غنم ٠ قيل أنها أربعون ٠ والمراد القليل منها كما دلّ عليه التصغير ٠

" وإيّاى ونعم ابن عوف ونعم بن عفان " : قال الحافظ : خصهما بالذكر على طريق المثال ، لكثرة نعمهما ٠ لأنهما كان من مياسير الصحابة ولم يرد منعهما البتة ٠ وإنما أراد أنه إذا لم يسمح لرعي نعم أحد الفريقين ، فنعم المقلين أولى ، فنهى عن إيثارهما على غيرهما ، أو تقديمهما قبل غيرهما ٠

" لا أبا لك " : أصله لا أب لك ، وظاهره الدعاء عليه ، لكنه على مجازه ، لا على حقيقة ٠

" فالماء والكلا أيسر علىّ من الذهب والورق " أى : أهون من إنفاقهما لهم ٠

" المال الذى أحمل عليه " أى : الإبل والخيل التى كان يحمل عليها من لا يجد ما يركب ٠ "(١)

قال الشيخ سليمان بن حمدان — رحمه الله تعالى — :

( احذر دعوة المظلوم واجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم ٠ وفيه التحذير من الظلم مطلقا واتقاء دعوة المظلوم والاخبار بأنها لا تحجب "٠)(٢)

---

(١) موطأ مالك كتاب دعوة المظلوم المجلد الثانى ص١٠٠٣ ٠

(٢) الدر النضيد على أبواب التوحيد ص٥٢ ٠

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

( وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم ، والنكتة في ذكره عقب المنع من أخذ الكرائم إشارة إلى أن أخذها ظلم ، ذكره الحافظ. " قوله : فإنه — أي الشأن — ليس بينها وبين الله حجاب . أي : لاتحجب عن الله — تعالى — ، بل ترفع إليه فيقبلها وإن كان عاصياً كما في حديث أبي هريرة عند أحمد مرفوعا : " دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه " وإسناده حسن . قاله الحافظ . وقال أبو بكر بن العربي : هذا وإن كان مطلقا فهو مقيد بالحديث الآخر أن الداعي على ثلاث مراتب : إما أن يعجّل ما طلب ، وإما أن يدخر له أفضل منه ، وإما أن يدفع عنه السوء مثله . وهذا كما قيد مطلق قوله : ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ﴾ (١) بقوله تعالى : ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ (٢) . ) (٣) اهـ

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " ثلاث دعوات مستجابات : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده . " (٤)

---

(١) سورة النحل : آية (٦٣) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٤٢) .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص ١٣٠ " المكتب الاسلامي ١٤٠٠ هـ " .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الدعوات حديث رقم ٣٤٤٨ ، وكتاب البر والصلة ١٩٠٥ وقال حديث حسن ، ورواه أبو داود كتاب الوتر ٢٩ ، وابن ماجه كتاب الدعاء ١١ ، وأحمد في المسند ٢ / ٢٥٨ .

قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى :

( ثلاث دعوات ) مبتدأ خبره ( مستجابات لا شك فيهن ) أى : فى استجابتهن وهو آكد من حديث " ثلاثة لا ترد دعوتهم " وإنما آكد به لالتجاء هؤلاء الثلاثة إلى الله — تعالى — بصدق الطلب ورقة القلب وانكسار الخاطر . ( دعوة الوالد ) أى لولده أو عليه ولم يذكر الوالدة لأن حقها أكثر فدعاؤها أولى بالاجابة . ( دعوة المسافر ) يحتمل أن تكون دعوته لمن أحسن اليه وبالشر لمن آذاه وأساء اليه لأن دعاءه لا يخلو عن الرقة . ( ودعوة المظلوم ) أى : لمن يعينه وينصره أو يسلبه ويهون عليه أو على من ظلمه بأى نوع من أنواع الظلم كذا فى المرقاة ) .[1] اهـ

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " كان رجل من بنى اسرائيل يقال له جريج يصلى فجاءته أمه فدعته ، فأبى أن يجيبها ، فقال : أجيبها أو أصلّى ؟ ، ثم أتته فقالت : اللّهم لا تمته حتى تريه وجوه الموسات ، وكان جريج فى صومعته ، فقالت امرأة : لأفتننّ جريجاً فتعرضت له فكلمته ، فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت : هو من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته ، وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلّى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام ؟ قال : الراعى ، قالوا : نبنى صومعتك من ذهب ؟ قال : لا . إلا من طين ".[2]

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبى داود المجلد الرابع ص ٣٩٥ دار الفكر .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم حديث رقم ٢٤٨٢ ، وكتاب الأنبياء ٣٤٣٦ . واللفظ له ، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة ٢٥٥٠ ، وأحمد في المسند ٢/٣٠٧ ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ .

نأخذ من هذا الحديث استجابة الله ــ تعالى ــ لعبده إذا علم إخلاصه وصدق نيّته فينصره على ظالميه وقد يؤيّده بالمعجزات القاهرة لخصومه كما فى هذا الحديث ، وقصة أصحاب الأخدود وغيرها خاصة إذا هيّأ نفسه للدعاء الصادق وذلك بالقيام بعبادة ربه ومناجاته ثم يعقب ذلك بالدعاء الخالص مع الإيقان بالاجابة وعدم اليأس وإن تأخرت الاجابة .

وفى هذا الحديث نرى قدرة البارى ــ جل ثناؤه ــ عندما خلّص عبده المظلوم المتّهم بالكذب والفجور ، فأنطق صبيّاً فى المهد وأخبر من حوله أن أباه راعى الغنم ، وليس جريجا ، إنها معجزة عظيمة يقف الخصوم أمامها حيارى ويبهتون ، ثم إلى الحق يرجعون . وأن ما أصاب هذا العابد بهذه المصيبة العظيمة هو بسبب عدم إجابته لأمه ظنّاً منه أنه على حق فى إقباله على صلاته وعدم إجابتها ، فتقبل الله دعاءها وأصابه ما أصابه .

لهذا يقف العبد أمام الحقائق عارفاً لها ويسلّم بها فيعطى كل ذى حق حقه ، ويتجنب الظلم ويتقى دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ، ثم انه لايهدأ للعبد بال ، ولا تصلح له أحوال ، مادام عن الحق مجتنباً ، ولحقوق العباد منتهكا . منقطعا الى الدنيا وشهواتها يرتكب المظالم من أجلها . بخلاف من على الحق يسير ويرى الدنيا أمامه مضاءة بنور الله تعالى ﴿ الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية

يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ﴾[١] الآية .

يمشى على بصيرة من أمره ، ويهتدى بهدى ربه ، لا تضله الأهواء ، ولا يزيغ عن طريق الهدى ، القرآن الكريم منهاجه ، وسنّة سيد المرسلين ملتزمه واعتقاده .

فالسنة عندما ترشد العباد الى أفضل الأعمال ، تحذر من دعوة المظلومين وتبين أنها مستجابة .

فعن عبد الله بن سرجس قال : "كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكون ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى الأهل والمال "[٢] .

قال الترمذى : « حديث حسن صحيح ، ويروى الحور بعد الكور أيضا . ومعنى قوله الحور بعد الكون أو الكور وكلاهما له وجه ، يقال : إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الطاعة الى المعصية إنما يعنى من رجوع شىء إلى شىء من الشر . »

قال المباركفورى :

( قالوا ورواية الراء مأخوذة من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها .

---

(١) سورة النور : آية (٣٥) .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحج حديث رقم ١٣٤٣ ، والترمذى كتاب الدعوات حديث رقم ٣٤٣٩ ، والنسائى كتاب الاستعاذة ٤١ ، ٤٢ ، وابن ماجة كتاب الدعاء ٢٠ ، والدارمى كتاب الاستئذان ٤٢ ، وأحمد فى المسند ٨٢/٥ ، ٨٣ .

ورواية النون مأخوذة من الكون والمصدر كان يكون كونا اذا وجد واستقر أى أعوذ بك من النقص بعد الوجود والثبات . قال المازرى : فى رواية الراء أيضا أن معناه : أعوذ بك من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنّا فيها ، يقال : كار عمامته إذا لفّها وحارها إذا نقضها . وقيل : نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها كفساد العمامة بعد استقامتها على الرأس . وعلى رواية النون قال أبو عبيد : سئل عاصم عن معناه فقال ألم تسمع قولهم حار بعد ماكان أى كان على حالة جميلة فرجع عنها . انتهى

وقال : ( ومن دعوة المظلوم ) أى أعوذ بك من الظلم فإنه يترتب عليه دعاء المظلوم ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ففيه التحذير من الظلم ومن التعرض لأسبابه . قال الطيبى : " فإن قلت : دعوة المظلوم يحترز عنها سواء كانت فى الحضر أو السفر ، قلت : كذلك الحور بعد الكور لكن السفر مظنّة البلايا والمصائب والمشقة فيه أكثر فخصّت به . انتهى ".(1)

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " ثلاثة لاترد دعوتهم ـ الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتى لأنصرنّك ولو بعد حين ".(2)

---

(1) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى : ج ٩ ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

(2) رواه الترمذى كتاب الدعوات حديث رقم ٣٥٩٨ وقال حديث حسن . وأحمد فى المسند ٢ / ٣٠٥ .

إن الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فيها البيان الواضح على نصرة المظلوم وإجابة دعوته ، والأخذ به من مهاوى الظلم وجوره إلى شرف العدل وعزته ، والترفّع بالأمّة جمعاء عن التدنّس بهذه الرذيلة التى لا يلجأ إليها إلا من انحطّت هممه وتخلّفت مداركه ، وهوت به الشقاوة ، وانحرف عن طريق الجماعة الملتزمة بأوامر الله — تعالى — والمحتسبة للعقبى الطيّبة إلى ما فيه بعده وهلاكه ، فليكن للعبد عن ذلك سبيلا ، وليكن له منه مخرجا ليسعد بالعز فى الدنيا والخلود فى نعيم الآخرة .

إننا لم نسمع بظالم رفعه ظلمه ، أو ازداد بذلك شرفا وعزا ! بل مهابة وذلا وانحطاطا وانكسارا ، وخسة وسفالا .

لم يعرف من أصحاب العقول الزاكية ، والقلوب الفطنة ، والهمم التوّاقة إلا النظر إلى شرف المكان ، والترفّع عن الظلم والعدوان ، فهم يحبون ويوالون أولياء الرحمن ، ويبغضون ويهجرون أولياء الشيطان .

# الفصل الرابع

## التحذير من الركون إلى الظلمة ومخالطتهم وموالاتهم .

وفيه مباحث .

المبحث الأول : تحريم موالاة اليهود والنصارى .

المبحث الثاني : موالاة الأقارب الكفرة .

المبحث الثالث : الركون إلى الظلمة موجب للعذاب .

# الفصل الرابع

## التحذير من الركون الى الظلمة ومخالطتهم وموالاتهم

الركون : من : ركن إليه — ركنا ، وركونا : مال إليه وسكن واعتمد عليه .(١)

إنّ الخلّة التى ليست على تقوى وإيمان وقرب من الله — تعالى — بالتزام الطاعات واجتناب المحظورات باطلة مهما قربت وقويت أواصرها وأيّ صلة لم تكن على أساس سليم لابد لها من التفكك والانفصام وسوء الختام .

كيف لاتبطل هذه الخلّة ويتحسّر أصحابها وقد ذكر رب العباد حالهم يوم التناد . فقال تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾(٢) .

قال سيد قطب عند هذه الآية :

( إنّ عداء الأخلّاء لينبع من معين ودادهم ... ولقد كانوا فى الحياة الدنيا يجتمعون على الشر ويملى بعضهم لبعض فى الضلال . فاليوم يتلاومون . واليوم يلقى بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر . واليوم ينقلبون الى خصوم يتلاحّون ، من حيث كانوا أخلاء يتناجون ﴿ الا المتقين ﴾ ... فهوءلاء مودتهم باقية فقد

---

(١) المعجم الوسيط : ١/ ٣٧٠ .

(٢) سورة الزخرف : آية (٦٧) .

كان اجتماعهم على الهدى وتناصحهم على الخير وعاقبتهم الى النجاة ) اهـ (١)

إن المولى — عز وجل — نهى وحذّر عباده المتقين أن يركنوا إلى الظلمة الذين تنكّبوا صراطه المستقيم وطغوا وبغوا وعاثوا فى الأرض فسادا بالقتل والتخريب والتشريد وارتكاب الموبقات وعصيان رب الأرض والسموات بالكفر والشرك والفسق وانغماسهم فى الملذات .

إن أعداء الله من الكفرة والمارقين عن هذا الدين لا يزيدون من دنى منهم الا خبالا ، ولا يرجع من ركن إليهم وجالسهم وبشّ فى وجوههم ، وألان لهم القول وسكن معهم فى الدار وتناقل معهم الأخبار ، وتبادل معهم الخدمات الدنيوية بالسفر إليهم والبقاء بينهم ومخالطتهم ولبس ملبسهم إعجابا بهم وإكبارا لهم واقتدى بهم فى كل أحوالهم إلا خسارا وكان منهم وشرعته شرعتهم ومصيره مصيرهم.

أما كان له فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإخوته من المرسلين أسوة حسنة . فالله — جل وعلا — يقول على لسان ابراهيم الخليل — عليه السلام — فى مجادلته لأبيه :

﴿ اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا ﴾ يا أبت انّى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويّا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا * يا أبت إنّى أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليّاً ﴾ (٢)

ولكن ابراهيم — عليه السلام — عندما رأى أباه مصرّا على عبادة غير

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٥ ص ٣٢٠١ .

(٢) سورة مريم : آية (٤٢ — ٤٥) .

الله — تعالى — تبرأ منه وقد أخبر المولى — عز وجل — عن هذا فقال تعالى :

﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (١) .

لينظر من غرته الدنيا بأمانيها الكاذبة وركن الى أعداء الله — تعالى — إ كيف كان موقف إبراهيم مع أبيه ؟ لقد كان بالدعوة الى الله — تعالى — ، ثم عندما رأى منه الاصرار على عدم الانقياد لله — تعالى — بالطاعة والخلوص من الشرك ، نابذه بالبراءة منه والبعد عنه ، وعدم الركون إليه ، لم تجذبه عاطفة الأبوة ، مادام قد ظهرت العداوة لله — تعالى — .

قال الله — تعالى — : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين * فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح ، أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين * ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين * يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله

---

(١) سورة التوبة : آية (١١٤) .

ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون *
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون *
يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم
مؤمنين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ترى كثيرا منهم يتولّون الذين كفروا لبئس ما قدّمت لهم
أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ (٢) .

وعن سمرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله
عليه وسلم — : " لاتساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم
فليس منّا " (٣) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله — :

( وروى الامام أحمد باسناد صحيح عن أبى موسى الاشعرى
— رضى الله عنه — قال : قلت لعمر — رضى الله عنه — : إنّ لى كاتبا
نصرانيّا ، قال : مالك ؟ قاتلك الله ، أما سمعت الله يقول : ﴿ ياأيها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ .
ألا اتخذت حنيفا ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، لى كتابته ،
وله دينه ، قال : لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم

---

(١) سورة المائدة : آية (٥١ — ٥٧) .

(٢) سورة المائدة : آية (٨) .

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك : ٢ / ١٤١ وقال صحيح على شرط البخارى
ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

الله ، ولا أدنيهم اذ أقصاهم الله ". (١)

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند قوله — تعالى — : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ (٢) :

( نهى — سبحانه — المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم ، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله فى شىء أى لايكون من أولياء الله — تعالى — الموعودين بالنجاة فى الآخرة . ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ وهو أن يكون الانسان مقهورا معهم لايقدر على عدوانهم فيظهر لهم المعاشرة والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر استحباب الحياة الدنيا على الآخرة والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله ؟ فما جعل الله الخوف منهم عذرا . بل قال تعالى : ﴿ انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (٣) ) (٤)

بعد أن تبين لنا التحذير من الركون الى الظلمة فى هذه المقدمة بذكر طرف من الآيات البيّنة والأحاديث الشريفة وأقوال السلف الصالح ، سنبين بالتفصيل — ان شاء الله تعالى — هذا الموضوع .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥٠ نشر أنصار السنة المحمدية — لاهور.

(٢) سورة آل عمران : آية (٢٨) .

(٣) سورة آل عمران : آية (١٧٥) .

(٤) مجموعة التوحيد النجدية الرسالة السابعة ص ١٩٤ مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦هـ .

# المبحث الأول

## تحريم موالاة اليهود والنصارى

## المبحث الأول

## " تحريم موالاة اليهود والنصارى "

**قال الله تعالى :**

﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنّ الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ (١)

فى هذه الآية الكريمة نهى المولى ـ عز وجل ـ عن اتخاذ اليهود والنصارى أعواناً وأنصاراً وحلفاء على أهل الايمان ، ومن يتخذهم أنصاراً وأعواناً فقد صار منهم لأنه رضي بموالاة أعداء الله ـ تعالى ـ فلا يوفق للخير من وضع الولاية فى غير موضعها ، فإن موالاتهم تنافى الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، كما أنها سبب للفتنة والفساد فى الأرض ، فمن كان مع الشيطان وحزبه فانه مستوجب لسخط الله ـ تعالى ـ وأليم عقابه .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

( نهى ـ سبحانه ـ المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وأخبر من تولّاهم من المؤمنين فهو منهم وهكذا حكم من تولّى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم فإن جادل مجادل فى أن عبادة القباب ودعاء الأموات ليس بشرك وأن أهلها ليسوا بمشركين بان أمره ، واتضح عناده ، وكفره ، ولم يفرق ـ تبارك وتعالى ـ بين الخائف وغيره بل أخبر ـ تعالى ـ أن الذين فى قلوبهم مرض يفعلون ذلك

---

(١) سورة المائدة : آية (٥١) .

خوفا من الدوائر وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدوائر لما في قلوبهم من عدم الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد فبادروا أو سارعوا الى أهل الشرك خوفا أن تصيبهم دائرة قال الله تعالى : ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ﴾ (١) (٢)

قال ابن جرير :

( والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : " إن الله ـ تعالى ـ نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارًا وحلفاء على أهل الايمان بالله ورسوله ، وأخبر أن من اتخذهم نصيرًا وحليفاً ووليّاً من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنّه منهم في التحزّب على الله وعلى رسوله والمؤمنين ، وأن الله ورسوله منه بريئان ، وقد يجوز أن تكون الآية نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبيّ بن سلول وحلفائهما اليهود ، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابه بسبب فعله في بني قريظة ، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين الذين ذكر السدى أن أحدهما همّ باللحاق بدهلك اليهودي والآخر بنصراني بالشام ، ولم يصح بواحد من هذه الأقوال الثلاثة خبر يثبت حجة فيسلم لصحته القول بأنه كما قيل ، فإذا كان كذلك فالصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم على ما عم،

---

(١) سورة المائدة : آية (٥٢) .

(٢) مجموعة التوحيد النجدية ص١٩٧ مطبعة المنار بمصر الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦هـ .

ويجوز ماقاله أهل التأويل فيه من القول الذى لاعلم عندنا بخلافه، غير أنه لاشك أن الآية نزلت فى منافق كان يوالى يهود أونصارى ، خوفا على نفسه من دوائر الدهر ، لأن الآية التى بعد هذه تدل على ذلك وذلك قوله : ﴿ فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ . الآية ) (١) اهـ

قال الخازن :

( ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ يعنى أن بعض اليهود أنصار لبعض على المؤمنين وأن النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم فى دينهم وملتهم ، ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ يعنى ومن يتولّ اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملّتهم لأنه لايتولّى مولى أحد الا وهو راض به وبدينه وإذا رضيه ورضي دينه صار منهم ، وهذا تعليم من الله ـ تعالى ـ وتشديد عظيم فى مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام . ﴿ إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾ يعنى أن الله لا يوفق من وضع الولاية فى غير موضعها فتول اليهود والنصارى مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين ) (٢) .

إن شرع الله الحكيم لم يأمرنا بشىء إلا وفيه الخير كله من سعادة وسؤدد ورفعة وعزة ، ولم ينهنا عن شىء إلا وفيه الشر كله

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج ٦ ص ٢٧٦ الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨م .

(٢) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ج ٦ ص ٦٢ .

من ركون وتخلف وجمود ومذلّة وبعد عن الله — تعالى — وقرب الى الشيطان ٠

فالله — عز وجل — خلق الإنسان وجعل له عينين ولسانا وشفتين وهداه النجدين — طريق الخير وطريق الشر — فكيف يجدر بالإنسان العاقل أن يجعل بينه وبين أعداء الله ، أعداء هذه الشريعة مودة وصلة وموالاة وقربا وهم يحادّون الله ورسوله ، أيريد منهم عزّا وقد أذلّهم الله ، أو إكراما وقد أهانهم الله ، أما يعلم أن السلف الصالح باعدوا القريب الذى لم يكن على شاكلتهم ولم ينهج نهجهم ، ولم يلتزم ويسلك مسلكهم ، لم تأخذهم فى الله — تعالى — لومة لائم ، لم يوالوا أبا ولا ابنا ، ولا أخا ، ولا عشيرة ، لم يكن على دين الله — تعالى — ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، عاهدوه على السمع والطاعة والانقياد والامتثال لأمره تعالى ، وأمر رسوله — صلى الله عليه وسلم — فى المكره والمنشط ، اشتروا الجنة بأموالهم وأنفسهم ، أمضوا حياتهم بالعض على دين الله — تعالى — وعدم الخروج عنه قيد شبر ، أحبّوا فى الله وأبغضوا فيه ، لم يجعلوا لعدو عليهم سلطانا ولا ولاية ، ولم يستعملوه فى أعمالهم ٠

إنه مهما أعدت القوة من الأسلحة الفتّاكة والرجال المدربين من أجل النصر على أعداء الله — تعالى — فانه لايجدى ولا يكون نصرا وأعداء الله يقربون ، ومن الأعمال يمكنون ، وفى المجالس يقدّمون ، ولهم يلان الجانب ، ويظهر لهم السرور ، وتقدم كلمتهم ، وتسمع مقالتهم ، ويداولون الحديث ، ويواكلون على الموائد ٠

# المبحث الثاني

## موالاة الأقارب الكفرة

## المبحث الثاني

## " موالاة الأقارب الكفـــرة "

**قال الله تعالى :**

﴿ يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخـذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾ (١)

قال ابن جرير :

( يقول الله - تعالى - للمؤمنين به وبرسوله : لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون إليهم أسراركم وتطلعونهم على عـورة الاسلام وأهله ، وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة إلـى دار الاسلام ﴿ ان استحبّوا الكفر على الايمان ﴾ يقول : ان اختاروا الكفر بالله على التصديق به ، والاقرار بتوحيده ﴿ ومن يتولهم منكـم ﴾ يقول : ومن يتخـذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ، ويؤثـر المقـام معهم على الهجـرة الى رسول الله ودار الاسلام ﴿ فأولئك هم الظالمون ﴾ يقول : فالذين يفعلون ذلك منكم هم الـذين خالفـوا أمر الله ، فوضعـوا الولاية فى غير موضعهـا ، وعصوا اللـه فى أمره ، وقيل : إن ذلك نزل نهيا من الله للمؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام ) (٢) اهـ

ان ولاية الله - تعـالى - وولاية رسوله - صلى الله عليـه وسلم - لاتحصل الا بوصول الإيمـان فى القلوب ، فاذا تغلغـل

---

(١) سورة التوبة : آية (٢٣) .

(٢) تفسير جامع البيان عن تأويل آى القرآن ج١٠ ص٩٨ الطبعـة الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

الايمان فى قلب العبد رأيته يوالى فى الله ويغضب فى الله — تعالى — فلا صلة القرابة تجعله يركن الى أب أو ابن أو أخ أو عشيرة أو أيّا من كانت صلته إلا اذا كان ذلك فى الله ومن أجله — تعالى — .

نعم إنّ هذا هو الحق المبين ، فلا خير فى قريب أو بعيد يشذّ عن دين الله فيعصى ربه — تعالى — وهو الذى خلقه من العدم وربّاه بجميع أنواع النعم ، ولا خير فيمن يدّعى محبّة الله — تعالى — ومحبّة رسوله ، ثم يوالى من عاداهم بارتكاب ما قد حرّم عليه قال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنّات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (١) .

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد ذكره لآية المجادلة ﴿ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ وآية التوبة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ﴾ :

( فى هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد فى الموافقة على الكفر خوفا على الأموال والآباء والأبناء والأزواج

---

(١) سورة المجادلة : آية (٢٢) .

والعشائر ونحو ذلك مما يتعذر به كثير من الناس إذا كان لم يرخص لأحد في موادتهم واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفا منهم وإيثارا لمرضاتهم فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحابا وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفا على بعض هذه الأمور ومحبته لها ، ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له فجمعوا مع الردة استحلال الحرام )[1] .

وقال تعالى :

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾[2] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

( وقد بعث الله عبده ورسوله محمدا -صلى الله عليه وسلم- بالحكمة التى هى سنته وهى الشرعة والمنهاج الذى شرعه له . فكان من هذه الحكمة أن شرع من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين ، وأمر بمخالفتهم فى الهدى الظاهر وإن لم يظهر للكثير من الخلق فى ذلك مفسدة لأمور :

---

(١) مجموعة التوحيد النجدية الرسالة السابعة الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦هـ مطبعة المنار بمصر ص٢٠٧ .

(٢) سورة التوبة : آية (٢٤) .

منهـا أن المشاركة فى الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود الموافقة فى الاخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس فان اللابس لثياب أهل العلم - مثلا - يجد من نفسه نوع انضمام إليهم ، واللابس لثياب الجند المقاتلة - مثلا - يجد فى نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ، ويصير طبعه مقتضيا لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع .

ومنهـا أن المخالفة فى الهدى الظاهر توجب مباينة ، ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب واسباب الضلال والانعطاف الى أهل الهدى والرضوان وتحقق ماقطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين ...

ومنهـا أن مشاركتهم فى الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر ، حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين ) .(١) اهـ

إن من ركن إلى الظلمة أعداء الله - تعالى - لقرابة تصل بينهم من الآباء والأبناء والاخوان والأرحام وغيرهم وهم يحادون الله ورسوله فإنه يخشى عليهم أن ينطبق عليهم قول الله تعالى :

﴿ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ﴾ (٢) .

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٣ - ١٤ نشر أنصار السنة المحمدية لاهور .

(٢) سورة المائدة : آية (٨٠) .

فذكر الله — تعالى — أن مجرد موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلود فى العذاب لأنه لا يوالى المشركين ويوادهم ويرضى بفعلهم الا المنافقون والذين نزلت فيهم هذه الآية والآية التى تليها وهى قوله تعالى : ﴿ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ .(١) ذكر هذا ابن كثير عن مجاهد قال : يعنى بذلك المنافقين .

قد يحتج معترض بعاطفة الأبوّة أو البنوّة أو القرابة ، أو الارتباط فى السكن أو العمل أو ما شابه هذا .

نقول : كيف يجدر بالمسلم الذى ذاق حلاوة الإيمان أن يرقّ قلبه لأب أو ولد أو صديق أو قريب وهم محادون لله ورسوله ؟

أليس لنا فى سلفنا الصالح أسوة حسنة ؟ فهذا خليل الرحمن ابراهيم — عليه السلام — يخبر الله — تعالى — عنه بقوله : ﴿ واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون * إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ .(٢)

وهذه البراءة حصلت من إبراهيم — عليه السلام — بعد أن بلّغ البلاغ ونصح وحذر . وقدقدّمنا مجادلته مع أبيه ودعوته الى الله — تعالى — فلما أصر على الشرك بالله تبرأ منه كما يظهر لنا

---

(١) سورة المائدة : آية (٨١) .

(٢) سورة الزخرف : آية (٢٦ — ٢٨) .

فى هذه الآيات . فهل أخذته — عليه السلام — عاطفة البنوّة على أبيه عندما أصر على شركه بالله — تعالى — ؟ أو أخذته عاطفة القرابة لقومه كذلك عندما تمادوا فى شركهم ؟ إن مواقفه — عليه السلام — معروفة ، قد بيّنهما الله — تعالى — فى القرآن العظيم . وهكذا جميع أنبياء الله ورسله — عليهم السلام — . قال تعالى : ﴿ فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ﴾ (١) .

ولقد كان من صحابة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المثل الأعلى فى الصدق مع الله — تعالى — ومع رسوله — صلى الله عليه وسلم — فلنأخذ مثلا من ذلك وهو قصة كعب بن مالك وصاحبيه (٢) . عند تخلفهم عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى غزوة تبوك وهو ما حصل من ملك غسان حيث أرسل إلى كعب بن مالك كتابا يقول فيه : ( أما بعد ) فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدور هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك .
فقال كعب بن مالك حين قرأ الكتاب وهذا أيضا من البلاء فتيمم بالكتاب التنور فسجره فيه .

من هنا يظهر لنا عدم موالاة كل من حاد عن أمر الله — تعالى — وأمر رسوله — صلى الله عليه وسلم — قيد شبر لأن فى ذلك الهلاك .

---

( ١ ) سورة المؤمنين : آية ( ١٠١ ) .

( ٢ ) أ — مرارة بن الربيع العمرى . ب — هلال بن أمية الواقفى .

وكعب بن مالك عندما أتته رسالة ملك غسان الذى يدعوه فيها باللحوق به رأى أن هذه هى المهلكة أى الردة عن الاسلام فسار بالكتاب ورماه فى التنور لتأكله النار ، ولم يطع شيطانه باللحوق بأعداء الله من الكفرة وصبر حتى قيّض الله له بالفرج وتاب عليه هو وصاحبيه ورجع اليه إخوانه المسلمون يكلمهم ويكلمونه ويواليهم ويوالونه . هكذا تكون الموالاة والمعاداة فى الله ومن أجل الله .

---

(١) حديث كعب بن مالك رواه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى حديث رقم ٤٤١٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب التوبة حديث رقم ٢٧٦٩ ، والنسائى كتاب المساجد ٣٨ ، وأحمد فى المسند ١/٢٥٦ .

# المبحث الثالث

## الركون إلى الظلمة موجب للعذاب

## المبحث الثالث

## "الركون الى الظلمة موجب للعذاب"

قال الله تعالى :

﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾ (١) .

قال السعدى :

( ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا ﴾ فإنكم إذا ملتم اليهم ، ووافقتموهم على ظلمهم أو رضيتم ماهم عليه من الظلم ﴿ فتمسكم النار ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿ ومالكم من دون الله من أولياء ﴾ يمنعونكم من عذاب الله ولا يحصلون لكم شيئا ، من ثواب الله ، ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ أى لايدفع عنكم العذاب اذا مسكم .

ففى هذه الآية : التحذير من الركون الى كل ظالم . والمراد بالركون ، الميل والانضمام إليه بظلمه ، وموافقته على ذلك ، والرضا بما هو عليه من الظلم ) (٢) .

فالظلم هنا شامل سواء كان شركا أوغيره فلا يستعان بالظلمة فيكون بذلك كأنه رضي بأعمالهم . وهل يرجى من وراء الظلمة عز بنصر أو رفعة أو طلب خير ؟ !

ان الذى يحصل اليوم من بعض ضعاف العقول — ممن يدعى الاسلام —

---

(١) سورة هود : آية (١١٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ج ٣ ص ٤٦٤ — ٤٦٥ .

هو إظهار المودة لهم ومحبتهم وأنهم الأصدقاء المحبوبون ، وأولئك الظلمة بعكس ذلك فهم يبدون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ويدسون السّمّ بالدّسم ، ومع هذا يُعطون العهد والأمان ، وتُعلن لهم المحبة والسلام . سبحان الله العظيم !

**كيف** ينبذ أمر الله — تعالى — ويترك ظهريّاً وهو ينهى عن هذا ثم يجترئ مجترئ فيعمد ويخالف أمر الله — تعالى — ويتبع هواه وما تسوّل به نفسه فيركنَ الى أعداء الله الظلمة يقول تعالى :

﴿ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين * كيف وإن يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلاًّ ولا ذمّة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله إنّهم ساء ماكانوا يعملون * لايرقبون فى مؤمن إلاًّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون * فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصّل الآيات لقوم يعلمون * وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ (١) .

**هذا** ماكان فى عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبيان حكمته — تعالى — فى البراءة من المشركين وأنهم لاعهد لهم ولا أمان ولا يتركون على ماهم عليه وهم مشركون بالله كافرون به وبرسوله ،

---

(١) سورة التوبة : آية ( ٧ — ١٢ ) .

فليس لهم إلاّ السيف المرهف ، وهذه الآيات الكريمة تبين ما كان بين الرسول — صلى الله عليه وسلم — وبين المشركين من عهود بترك الحرب لمدة معهودة وذلك كان لغرض أسنى ومستقبل أبهى وهو الفتح الإسلامي ودخول الناس في دين الله أفواجا وقد حقّق الله ذلك .

وقد حرّض — تعالى — المؤمنين على معاداة المشركين والتبرىء منهم وأن لا يكون لهم عهد لشركهم بالله — تعالى — وكفرهم برسوله — صلى الله عليه وسلم — .

عن جرير بن عبد الله قال : بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سريّة الى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل قال فبلغ ذلك النبي — صلى الله عليه وسلم — فأمر لهم بنصف العقل وقال : " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين " . قالوا : يارسول الله لم ؟ قال : " لاترائى ناراهما " . (١)

قال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى :

(" إلى خثعم " قبيلة " فأمر لهم بنصف العقل " أى بنصف الدية . قال : فى فتح الودود : لأنهم أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين الكفرة ، فكانوا كمن هلك بفعل نفسه وفعل غيره فسقط حصة جنايته " بين

---

(١) رواه أبو داود كتاب الجهاد ج ٣ حديث رقم ٢٦٤٥ ، والترمذى كتاب السيرة ج ٤ حديث رقم ١٦٠٤ ، والنسائى قسامة ٢٧ ، قال الألبانى حديث حسن أنظر صحيح الجامع الصغير ٢ / ١٦ ، ١٧ حديث رقم ١٤٧٤ .

أظهر المشركين ) أى بينهم ولفظ أظهر مقحم[1] . ( لاترايا ناراهما ) كذا كتب فى بعض النسخ وفى بعضهـا لاتراءى . قال فى النهاية : أى يلزم المسلم ويجب عليه أن يتباعد منزله عن منزل المشـرك ، ولا ينزل بالموضع الذى إن أوقـدت فيه ناره تلوح وتظهـر للمشرك إذا أوقدها فى منزله ، ولكنه ينزل مع المسلمين ، وهو حث علـى الهجرة والترائى تفاعل من الرؤية ، يقال : تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا ، وتراءى الشئ أى ظهر حتى رأيته ، وإسناد التـرائى الى النار مجاز من قولهم دارى تنظر من دار فلان أى تقابلهـا ، يقول : ناراهما تختلفان هذه تدعو الى الله وهذه تدعو الى الشيطان فكيف يتفقان . والأصل فى تراءى تتراءى فحذف احدى التائين تخفيفـا ، وقال الخطابى : فى معناه ثلاثة وجوه ، قيل : معنـاه : لايستوى حكمهما ، وقيل معناه : أن الله فرّق بين داري الاسـلام والكفر فلا يجوز لمسلم أن يساكن الكفار فى بلادهم حتى إذا أوقدوا نارا كان منهم بحيث يراها . وقيل معناه : لايتسم المسلم بسمـة

---

(١) قول أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى عند قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " بين أظهر المشركين " أى بينهم ولفـظ أظهر مقحم . قال فى المعجم الوسيط : " مقحمة " لفظة زائدة لاتناسب السياق " ( المعجم الوسيط ٢/٧١٧ ) .
وهذا يشعرمن أبى الطيب أبادى بالتقليل من البلاغة النبويـة ، ولعلّ كلمة أظهر تعبيرعن شدة التقارب بين المقيم ومن أقـام معهم لأن قول القائل أنا مقيم بين أظهر بنى فلان أشـد فـى التعبير عن القرب من قوله أنا مقيم معهم إذ يحتمل أنه فـى بلادهم وإن لم يكن قريبا منهم .

المشرك ولا يتشبه به فى هديه وشكله . كذا فى مرقاة الصعود ) .[1] اهـ .

ومما يدل على شرعية البراءة من أعداء الله ومفاصلتهم ماجاء فى نهى الرسول — صلى الله عليه وسلم — عن بدئهم بالسلام وإظهار البغض لهم حتى فى الطرقات .

عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " لاتبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فاذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه " .[2]

ونهى — صلى الله عليه وسلم — عن مجامعتهم والسكن معهم وأن من فعل ذلك وركن إليهم فهو مثلهم .

فعن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله " .[3]

وعن سمرة — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " لاتساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فليس منا " .[4]

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبى داود ج ٣ حديث رقم ٢٦٢٨ ، ص ٣٠٣ — ٣٠٥ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب السلام ج ٤ حديث رقم ٢١٦٧ ، والترمذى كتاب السير ج ٤ حديث رقم ١٦٠٢ .

(٣) رواه أبو داود كتاب الجهاد ج ٣ حديث رقم ٢٧٨٧ ، والترمذى كتاب السير ج ٤ حديث رقم ١٦٠٥ ، قال الالبانى : حديث حسن أنظر : صحيح الجامع الصغير ج ٦ حديث رقم ٦٠٦٢ .

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك ٢ / ١٤١ وقال صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى .

ان مصير الانسان في الآخرة مرتبط مع من أحب في الدنيا والركون الى الظالمين دليل على محبتهم ،

عن عبد الله عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : " المرء مع من أحب ". (١)

قال عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — : جاء رجل الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يارسول الله ، كيف تقول فى رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " المرء مع من أحب ". (٢)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

( ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ قال ابن عباس: ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا . وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودّوهم ، أو تصطنعوهم ، ومعنى تصطنعوهم : أى تولوهم الأعمال كمن يولى الفسّاق والفجّار ، وقال الثورى : ومن لاق لهم دواة ، أو برى لهم قلما ، أو ناولهم قرطاسا دخل فى هذا . قال بعض المفسرين فى الآية النهى : متناول للانحطاط فى هواهم ، والانقطاع إليهم ، ومصاحبتهم ، ومجالستهم ، وزيارتهم ، ومداهنتهم ،

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب ج ١٠ حديث رقم ٦١٦٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب البر حديث رقم ٢٦٤٠ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب ج ١٠ حديث رقم ٦١٦٩ .

والرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيّ بزيّهم ، ومدّ العين إلى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم ) .[١] اهـ

قال تعالى :

﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ .[٢]

فى هذه الآية الكريمة نهي من المولى -عز وجل- للمؤمنين عن موالاة الكافرين الذين خرجوا على دينه وكفروا به وقاتلوا أولياءه الذين انقادوا لدينه -تعالى- واستجابوا لذلك وآمنوا به وأخرجوهم من ديارهم ، بعد أن قتلوا وعذبوا وعملوا من الظلم ما الله به عليم ، وساعدوا أيضا غيرهم فى الاعتداء على المؤمنين . فلا يجوز لمؤمن ولا مؤمنة أن يوالى هؤلاء الظلمة الذين كان هذا صنيعهم ولم يكن إلا محاربة لله -تعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- ومن أجل القضاء على دينه . فالذى يناصرهم أو يوادّهم فقد أصبح من الظالمين ، لأنه لا يوالى أعداء الله

---

(١) مجموعة التوحيد وتحتوى على ست عشرة رسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونخبة من علماء المسلمين . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . " أوثق عرى الايمان " ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة الممتحنة آية (٩) .

- تعالى - وأعداء رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأعداء عباده المؤمنين ويضع ولا يهتم في غير موضعها إلا من كان في قلبه محبة لأولئك . وفي الحديث الذي مر معنا قريبا : " المرء مع من أحب ".

قال الشوكاني :

( ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ أي الكاملون في الظلم لأنهم تولوا من يستحق العداوة لكونه عدوا لله ولرسوله ولكتابه وجعلوهم أولياء لهم ) .(١)

وقد بين - سبحانه - نهيه الشديد عن اتخاذ أعداء الله أولياء فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾(٢)

إن بلاغة القرآن العظيم أبعد من الحوادث الخاصة ليعم الحكم ويشمل ، فالآية عامة ، وإن كان سبب نزولها هو الكتاب الذي بعث به حاطب بن بلتعه لكفار قريش بمكة يخبرهم خبر

---

(١) فتح القدير : ج ٥ ص ٢١٣ .
(٢) سورة الممتحنة : آية (١) .

رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتجهيزه لغزوهم عندما خافوا ونقضوا عهد الحديبية . والقصة مبسوطة في كتب التفاسير ، والذى نحن بصدده هو عدم موالاة أعداء الله — تعالى — من الكفرة ومواداتهم والاسرار لهم ، والله — جل وعلا — لا تخفى عليه خافية فهو يعلم مايخفى وما يعلن العباد من الخير والشر .

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن :

( ولا ينجو المؤمن الا بالاعتصام بحبل الله وتجريد التوحيد والتحيز الى أولياء الله وعباده المؤمنين والبراءة كل البراءة ممن أشرك بالله وعدل به غيره ولم ينزهه عما انتحله المشركون وافتراء المكذبون ، وأفضل القرب إلى الله مقت أعدائه المشركين وبغضهم وعداوتهم وجهادهم ، وبهذا ينجو العبد من توليهم من دون المؤمنين . وإن لم يفعل ذلك فله من ولايتهم بحسب ما اخل به وتركه من ذلك فالحذر الحذر ممن يهدم الاسلام ويقلع أساسه . يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾ (١) . وانتفاء الشرط يدل على انتفاء الإيمان بحصول الموالاة ) . (٢) اهـ

والآيات في هذا كثيرة جدا . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس

---

(١) سورة المائدة : آية (٥٧) .

(٢) الدرر السنية ج ٧ كتاب الجهاد ص ٢٤٨ الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ .

الكفار من أصحاب القبور ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ . الآية (٢) .

وقال تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا

---

(١) سورة الممتحنة : آية (١٣) .
(٢) سورة الأعراف : آية (٣) .
(٣) سورة آل عمران : آية (٢٨) .
(٤) سورة المائدة : آية (٨) .
(٥) سورة آل عمران : آية (١١٨) .

منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولّوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليّاً ولا نصيرًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله وليّ المتقين ﴾ (٣) .

هذا طرف من الآيات التى تندد بأعداء الله — تعالى — وتنهى عن موالاتهم ، وتبين حال من وادّهم واتخذ منهم أولياء ونصراء . قال تعالى : ﴿ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ (٤) .

---

(١) سورة النساء : آية (٨٩) .
(٢) سورة النساء : آية (١١٥) .
(٣) سورة الجاثية : آية (١٩) .
(٤) سورة ق : آية (٣٧) .

# الباب الثالث

## أنواع الظلم

وفيه فصول

الفصل الأول: ظلم العبد لنفسه.

الفصل الثاني: ظلم العبد لغيره.

# الباب الثالث

## أنواع الظلم

**الظلم نوعان :**

(١) **ظلم العبد لنفسه :**

وهذا النوع قد يكون بالشرك بالله المخرج من الملّة وهو الذنب الذى لايغفره الله ـ تعالى ـ إلاّ بالتوبة ، قال تعالى : ﴿ إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾(١) .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى ، تركته وشركه ﴾ "(٢) .

وقد يكون بارتكاب المعاصى الأخرى التى دون الشرك المخرج من الملّة . قال تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾(٣) .

قال ابن كثير :

( يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق

---

(١) سورة النساء : آية (٤٨) .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد حديث رقم ٢٩٨٥ ، وابن ماجه كتاب الزهد ٢١ ، وأحمد فى المسند ٤٦٦/٣ .

(٣) سورة فاطر : آية (٣٢) .

لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسّمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى : ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ﴾ وهو المفرّط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ، ﴿ ومنهم مقتصد ﴾ وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ، ﴿ ومنهم سابق للخيرات بإذن الله ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات ) . (١)

عن أبى موسى -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "مثلى ومثل ما بعثنى الله كمثل رجل أتى قوما فقال : رأيت الجيش بعينى ، وإنى أنا النذير العريان ، فالنجاء النجاء ، فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلهم ، وكذبته طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم". (٢)

وحديث أبى هريرة -رضى الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : "إنما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ماحوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها" . (٣) فهؤلاء الذين يهلكون

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ٥٥٤ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق حديث رقم ٦٤٨٢ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الرقاق حديث رقم ٦٤٨٤ .

أنفسهم ويقتحمون فى النار قد ظلموا أنفسهم حيث حرموها من الثواب وأوردوها موارد العقاب .

(٢) **ظلم العبد لغيره** :

وهو ظلم العباد بعضهم بعضا .

- ويدخل فيه ظلم الحيوان - ويكون بالعدوان على المال أو الدم أو العرض وهذا النوع من الظلم يدخل فى دائرة الأمور المحرمة .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾(٢) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى هاهنا . ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه"(٣) .

---

(١) سورة المائدة آية (٨) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٩٠) .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٦٤ .

عن أنس - رضى الله عنه - قال : "نهى النبى - صلى الله عليه وسلم - أن تصبر البهائم ".[1] ومعناه : تحبس للقتل .

وهذا تقسيم ثنائى لأنواع الظلم ، وإن كان هناك من العلماء من جعله ثلاثيا باعتبار أنّ الشرك بالله قسم متحد ، وجعل بقية المعاصى قسما ثانيا ، تحت ظلم العبد لنفسه ، والقسم الثالث ظلم العبد لغيره ، فرأيت أنّ الشرك بالله - تعالى - يدخل تحت ظلم العبد لنفسه فجعلت ذلك قسما واحدا ، وظلم العبر لغيره قسما آخر . وقد مثّلت لكلّ بمثال من الكتاب والسنة . والتفصيل سيأتى - إن شاء الله - فى موضعه .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الذبائح حديث رقم ٥٥١٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الصيد ٥٨ ، وأبو داود كتاب الأضاحى ١١ ، والنسائى كتاب الضحايا ٧٩ ، وأحمد فى المسند ٢/٩٤ .

# الفصـــل الأول

## ظلم العبد لنفسه .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : الشرك بالله تعالى ويدخل

فيه الشرك في الإتباع

بتحكيم غير ما أنزل الله .

المبحث الثاني : الوقوع في المعاصي .

## الفصل الأول

## ظلم العبد لنفسه

عندما خلق الله ـ جل وعلا ـ العبد جعل له عقلا يعى به الأشياء غثها من سمينها وطيبها من خبيثها ، وأودع فيه عينين ولسانا وشفتين وهداه النجدين طريق الخير وطريق الشر والهداية هنا هداية دلالة أى دلّه على الطريق وهو الذى يختار الحق فيكون شاكرا أو يختار الباطل فيكون كافرا . وحذره ـ تعالى ـ من الشيطان وطاعته ، ومن هواه واتباعه ، ومن نفسه ومناها ، لأنه إذا حدا به الإتجاه إلى مسلك من هذه الأشياء وقع وهلك ، فظلم نفسه وأوقعها بما فيه هلاكها .

والقرآن الكريم وردت فيه آيات كثيرة جدا كلها فى ظلم العبد لنفسه بارتكابه لأنواع المعاصى .

يقول تعالى : ﴿ وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾.(١) الآية

وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾.(٢)

وفى معرض قصة بلقيس . قال تعالى : ﴿ قيل لها ادخلى

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٣١) .

(٢) سورة الطلاق : آية (١) .

الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ (١) .

وقال تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - : ﴿ إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴾ (٣) .

وقال تعالى حكاية عن آدم وحوى : ﴿ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (٤) .

ومن أنباء القرى التى أهلكها الله . قال تعالى : ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء ﴾ . (٥) الآية

وقال تعالى : ﴿ وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح

---

(١) سورة النمل : آية (٤٤) .

(٢) سورة القصص : آية (١٦) .

(٣) سورة البقرة : آية (٥٤) .

(٤) سورة الأعراف : آية (٢٣) .

(٥) سورة هود : آية (١٠١) .

(٦) سورة النحل : آية (١١٨) .

فيها صرّ أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ (٣) .

وقال تعالى حكاية عن سبأ : ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن فى ذلك لآيات لكل صبّار شكور ﴾ (٤) .

وقال تعالى فى تعداد نعمه على بنى اسرائيل : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه

---

(١) سورة آل عمران : آية (١١٧) .
(٢) سورة النحل : آية (٣٣) .
(٣) سورة آل عمران : آية (١٣٥) .
(٤) سورة سبأ . آية (١٩) .
(٥) سورة البقرة : آية (٥٧) .

اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أنّ الله مع المتقين ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٦٠) .

(٢) سورة التوبة : آية (٣٦) .

(٣) سورة النساء : آية (١١٠) .

(٤) سورة يونس : آية (٤٤) .

(٥) سورة التوبة : آية (٧٠) .

وفى معرض ذكر قارون وفرعون وهامان . قال تعالى : ﴿ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٤) .

وقال تعالى فى ذكر صاحب الجنتين : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴾ (٥) .

وقال تعالى فى ذكر هذه الأمة وهم القائمون بالكتاب العظيم

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٤٠) .
(٢) سورة الأعراف : آية (٩) .
(٣) سورة الأعراف : آية (١٧٧) .
(٤) سورة الروم : آية (٩) .
(٥) سورة الكهف : آية (٣٥) .

وتقسيمهم الى ثلاثة أقسام : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ سلام على إبراهيم * كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحق نبيّاً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا * إلاّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون ﴾ (٤) .

إن هذه الآيات البينات تبيّن أنواع الظلم الذى يوقع العبد فيه نفسه مع وجود نعم الله عليه وكان الأجدر مقابلتها بالشكر ، وتبين ما أعد الله من جزاء لأولئك الظلمة ، الذين لم يترفعوا عما وقعوا فيه من مخالفات وعدم أخذ الدواء الذى يقضى على ذلك الداء .

وسنبين — ان شاء الله تعالى — في المباحث التالية ظلم العبد لنفسه سواء بالشرك بالله تعالى ، أو الوقوع في المعاصى الأخرى من واقع بحثنا :

---

(١) سورة فاطر : آية (٣٢) .

(٢) سورة الصافات : آية (١٠٩ - ١١٣) .

(٣) سورة النساء : آية (٩٧ - ٩٩) .

(٤) سورة النحل : آية (٢٨) .

# المبحث الأول

## الشرك بالله تعالى ويدخل فيه الشرك في الإتباع بتحكيم غير ما أنزل الله

## المبحث الأول

## الشرك بالله تعالى
## ويدخل فيه : الشرك والاتباع بتحكيم غير ما أنزل الله

ليس من شك أن المؤمن الذى يؤمن بالله ربّا وبالاسلام دينا وبمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا يخاف المعاصى ماصغر منها أو أكبر لأن فى ارتكابها غضبا للربّ ـ سبحانه وتعالى ـ والشرك أعظم ذنب عصي الله به ، وكان يخافه كل مؤمن حتى أنبياء الله ورسله ـ عليهم صلوات الله وسلامه ـ ، فالله ـ جل وعلا ـ يقول على لسان الخليل ـ عليه السلام ـ * وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا * واجنبنى وبنيّ أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ﴾* .(١) الآية .

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن :

( فإنه الواقع فى كل زمان : فإذا عرف الانسان أن كثيرا وقعوا فى الشرك الأكبر وضلّوا بعبادة الأصنام : أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذى لا يغفره الله .

قال ابراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ رواه ابن جرير وابن أبى حاتم .

فلا يأمن الوقوع فى الشرك الا من هو جاهل به وبما يخلصه منه : من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده ، والنهى عن الشرك به ) .(٢)

---

(١) سورة ابراهيم : آية (٣٥ - ٣٦) .

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط ص ٨١ .

وقال تعالى عن الخليل ـ عليه السلام ـ : ﴿ قال ياقوم إنى برىء مما تشركون ﴾ .(١) وقال : ﴿ إنّى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ .(٢) وقال : ﴿ وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا * فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ .(٣)

وقد فسّر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظلم لأصحابه بأنه الشرك.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

( فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء كانت البقعة شجرة أو غيرها ، أو قناة جارية ، أو جبلا ، أو مغارة ، وسواء قصدها ليصلى عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها ، أو ليذكر الله ـ سبحانه ـ عندها ، أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع تخصيص تلك البقعة به عينا ولا نوعا .)(٣)

---

(١) سورة الأنعام : آية (٧٨) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٧٩) .

(٣) سورة الأنعام : آية (٨٠ - ٨٢) .

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣١٤ نشر أنصار السنة المحمدية .

وخوف الصحابة - رضى الله عنهم - كان واضحا عند نزول قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ . فكانوا يخافون مما دون الشرك فكيف بالشرك الذى هو أكبر الكبائر وشق عليهم ذلك حتى سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك وأخبرهم أنه الشرك .

قال الشيخ سليمان بن حمدان - رحمه الله تعالى - :

( قال شيخ الاسلام ابن تيمية : "والذين شق عليهم ظنّوا أنّ الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه ، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه فبين لهم النبى - صلى الله عليه وسلم - مادلهم على أن الشرك ظلم فى كتاب الله فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة يعنى : الظلم الذى هو الشرك ، وظلم العباد ، وظلمه لنفسه بما دون الشرك ، كان له الأمن التام والاهتداء التام ، ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقا ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه ، قال : وليس مراد النبى - صلى الله عليه وسلم - "إنما هو الشرك" أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبيّن أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام فالأمن أمنان : أمن مطلق ، وأمن مقيد . فالاول هو الأمن من العذاب وهو لمن مات على التوحيد ولم يصر على الكبائر . الثانى : لمن مات على التوحيد مع الاصرار على الكبائر فله الأمن من الخلود فى النار ففرق بين الأمن المطلق ومطلق الأمن . ) [1] اهـ

---

(١) الدر النضيد على أبواب التوحيد : ص ٢٢ - ٢٣ .

وهنا لفتة نظر للمسلمين وهو عظم أمر التوحيد الذى هو افراد الله — تعالى — بالعبادة التى لاينبغي أن تصرف الا لله — تعالى — الذى هو أهل لها ، فالخلق خلقه ، والأمر أمره ، فكيف يليق بعبد يخلقه الله — تعالى — ويرزقه ثم يعبد غيره ، وما أسفهها من عقول تحيد عن الخالق ثم تلجأ الى مخلوقين مثلها محتاجين الى رحمة الله وعطفه ، فيعبدونهم أو يتقربون اليهم بشيء من الوسائل ليقربوهم الى الله — تعالى — فان كان من يعبد حيّا فهو محتاج الى الله ، وان كان ميتا فقد انقطع عن الدنيا وأصبح رميما محتاج الى الله أكثر وأشد ،وان كان غير ذلك من الجمادات فما أسفه العقل الذى يلجأ الى مثل هذا ويترك ربّ هذه المخلوقات ربّ كل شيء ومليكه .

قال الله — تعالى — على لسان نبيه ورسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — : ﴿ قل انّى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ﴾ (١) .

﴿ قل انّما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب ﴾ (٢)

﴿ قل أفغير الله تأمرونّى أعبد أيّها الجاهلون ﴾ (٣) .

﴿ قل انّى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لمّا جاءنى البينات من ربّي وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾ (٤) .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٥٦) .

(٢) سورة الرعد : آية (٣٦) .

(٣) سورة الزمر : آية (٦٤) .

(٤) سورة غافر : آية (٦٦) .

وقال تعالى على لسان نبيه ورسوله ابراهيم - عليه السلام - :

﴿ وقال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴾ (١) .

﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيّا ﴾ (٢) .

والآيات في كتاب الله - تعالى - كثيرة جدا وما من نبي ولا رسول الا دعا قومه الى توحيد الله - تعالى - وحذرهم من الشرك به تعالى وسأبين - ان شاء الله تعالى - أقسام الشرك وبعض متعلقاته وعاقبته دون التطويل للحذر من ذلك .

---

(١) سورة مريم : آية (٤٢) .

(٢) سورة مريم : آية (٤٤) .

(١)

**أقسام الشرك :**

أ - شرك فى الألوهية .

ب - شرك فى الربوبية .

ج - شرك فى الأسماء والصفات .

## أ - الشرك فى الألوهية

هو أن يجعل لله ندًّا فى أنواع العبادة أو بعضها ، وقد يكون الشرك هنا أكبر أو أصغر .

**الشرك الأكبر :** هو أن يجعل العبد ندًّا لله - تعالى - يدعوه كما يدعو الله ويحبه كما يحب الله ويستغيث به كما يستغيث بالله ويستعين به كما يستعين بالله ، ويتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يذبح له من دون الله ، أو يخافه كما يخاف الله ، وهكذا فى جميع أنواع العبادة يعبده كما يعبد الله . سواء من دعاء أو استغاثة أو استعانة ، أو توكل ، أو انابة ، أو رجاء ، أو رغبة أو رهبة ، أو خشية ، أو خوف ، أو محبة ، أو سجود ، أو طواف ، أو نذر ، أو استعاذة ، أو ذبح ، أو خشوع ، أو غير ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء : آية (٣٦) .

وقال تعالى :

﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ .(١) وقال تعالى حكاية عن المشركين فى توحيد الألوهية : ﴿ ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا ﴾ .(٢)

وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .(٣) وقال تعالى : ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾.(٤)

قال ابن القيم :

( فأى ظلم أقبح من هذا ؟ وأى حكم أشد جورا منه ؟ حيث عدل من لا عدل له بخلقه ، فعدل المشرك من خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ، بمن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، فيأله من عدل تضمّن أكبر الظلم وأقبحه !!! )(٥) . ا هـ

---

(١) سورة يونس : آية (١٩) .

(٢) سورة الزمر : آية (٣) .

(٣) سورة الانعام: آية (٣٧) .

(٤) سورة الانعام: آية (١) .

(٥) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ص ١٤٣ ، دار الندوة الجديدة بيروت لبنان .

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي :

( وإذا عرفت أن توحيد الألهية هو افراد الله - تعالى - بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى الله - تبارك وتعالى - فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله - عزوجل - وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها . )[١] اهـ

**الشرك الأصغر :**

كل وسيلة يمكن أن تؤدى إلى الشرك الأكبر ولم تبلغ رتبة العبادة ولا يخرج فاعله من الاسلام ولكنه من الكبائر. وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخوف ما يخاف على أمته الشرك الأصغر لأنه خفي على العبد فقد يقع فيه وهو لا يعلم، أو قد يتهاون به لفظا أو فعلا فيقع فى ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربّه أحدا ﴾[٢].

وعن محمود بن لبيد - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر فسئل عنه فقال : الرياء "[٣].

---

( ١ ) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول الجزء الأول ص ٤١٨ .

( ٢ ) سورة الكهف : آية ( ١١٠ ) .

( ٣ ) رواه أحمد فى المسند : ٤٢٨/٥ ، ٤٢٩ ، والبغوى فى شرح السنة ، والطبرانى فى الكبير وهو حديث صحيح صححه الأرناؤوط فى فتح المجيد ص ٨١ .

والرياء: هو مايحصل من العبد من تزيين وتحسين شيء من أنواع العبادة المراد بها الله من أجل الناس ليمدحوه ويذكروه بها .

فاذا كان الشرك الأصغر مخوفا على أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع قوة علمهم وإيمانهم فكيف لا يخافه ومافوقه من هو دونهم فى العلم والايمان بمراتب . وقد قال الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( قال ابن عباس : الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلان وحياتى ويقول : لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ولولا البط فى الدار لأتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ماشاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لاتجعل فيها فلان هذا كله به شرك ) (٢) .

فالصحابة ـ رضى الله عنهم ـ يفسّرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر ، وهذا لعظم الشرك والخوف منه أكبر كان أم أصغر . ويكفى فيه أن اسمه شرك .

وعن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ماشاء الله وشئت فقال له النبى

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٢) .
(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٥٧ - ٥٨ .

- صلى الله عليه وسلم - : "أجعلتني لله ندّا ؟ بل ماشاء الله وحده ".(١)

ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال : " رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله . قالوا : وانكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : انكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا : وانكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : ماشاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته ، قال : هل أخبرت بها أحد ؟ قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :" أما بعد ، فإن طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا(٢) أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ماشاء الله وحده ".(٣)

---

(١) رواه أحمد في المسند : ١/٢١٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧ ، والبخاري في الأدب المفرد رقم ٧٨٣ ، وابن ماجه رقم ٢١١٧ ، وهو عند النسائي في الكبرى . قاله عبد القادر الارناؤوط في فتح المجيد ص ٨٤ حديث صحيح .

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

(٢) ( كان بمعنى كذا وكذا أن أنهاكم ) : قال الشيخ محمد حامد فقي : لعل الذى كان يمنعه - صلى الله عليه وسلم - أنه لم يكن الله أوحى اليه شيئا ، فلما أوحى اليه بلغه . أما الحياء في تبليغ الأوامر والنواهي فهذا لايليق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله أعلم .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : قوله : اما الحياء فى تبليغ الأوامر والنواهى ) الخ . أقول : هذا كلام جيد ، والجواب عن الجواب التى ذكرها الشارح وهى قوله : ( ورد فى بعض الطرق أنه كان يمنعه الحياء منهم ) أن يقال : ان صحت هذه الرواية فمعنى ذلك أنه كان - عليه الصلاة والسلام - يستحي منهم أن ينهاهم عن شيء لم يوحى اليه أن ينهى عنه ، وان كان يستحسن تركه ، فلما جاءه الوحي بالنهى عنه بسبب الرؤيا المذكورة نهاهم عن ذلك ... ) انظر فتح المجيد التعليق على الحاشية ص ٤٣٣ دار الفكر ( مراجعة وتصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ) .

(٣) رواه ابن ماجه رقم ٢١١٨ في الكفارات ، باب النهى أن يقال ماشاء الله وشئت ، من حديث الطفيل بين سخبرة أخي عائشة لأمها ، ومن حديث ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان - رضى الله عنه - أن رجلا من المسلمين رأى في النوم أنه

====

وعن سعد بن عبيدة أن ابن عمر سمع رجلا يقول : لا والكعبة. فقال ابن عمر : لا يحلف بغير الله ، فإني سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(١)

وهناك ألفاظ من الشرك الأصغر مثل : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، أو يقول والله وحياة فلان ، وحياتك ، وحياة النبي ، والنبي ، أو يقول نذرا لله ولفلان ، أو أنا تائب لله ولفلان ، وأرجو الله وفلان ، والكعبة ، والأمانة ، وما شابه هذه الألفاظ التي فيها مساواة بين الخالق والمخلوق هذه كلها شرك بالله — تعالى — في الألفاظ .

---

== يلقى رجلا من أهل الكتاب فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، تقولون ماشاء الله وشاء محمد ، وذكر ذلك للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : "أما والله إن كنت لأعرفها لكم ، قولوا : ماشاء الله ثم شاء محمد " ورواه أيضا أحمد في المسند : ٧٢/٥ من حديث الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها . . . وأحمد : ٣٩٣/٥ من حديث حذيفة — رضي الله عنه — والدارمي : ٢٩٥/٢ من حديث الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لامها ، وهو حديث حسن ، قاله الأرناؤوط في تحقيقه وتخريجه لأحاديث فتح المجيد ص ٥٠٦ .

(١) رواه الترمذي كتاب النذور والايمان حديث رقم ١٥٣٥ وقال حديث حسن ، ورواه أيضا أحمد في المسند : ٦٩/٢ ، ٨٧ ، ١٢٥ ، ورواه الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمر

===

## ب - الشرك فى الربوبيــــة

الله - سبحانه وتعالى - هو الخالق الرازق المحى المميت ، المالك المدبر ، المعطى المانع الضار النافع ، الخافض الرافع ، المعز المذل ، المتصرف فى جميع مخلوقاته ، لا شريك له فى ملكـــه فمن اعتقد وجود متصرف مع الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - تبارك وتعالى - فقد أشرك فى ربوبية الله - تعالى - .

وقد ضرب العلماء - رحمهم الله تعالى - أمثلة على من أشرك فى هذا النوع من توحيد الرب - تبارك وتعالى - .

قال الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب : الشرك فى الربوبيـــة نوعـــان :

١ - شرك التعطيل : وهو أقبح أنواع الشرك ، كشرك فرعـــون ، إذ قال : وما رب العالمين ؟ ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأبديته ، وأنه لم يكن معدوما أصلا ، بل لم يزل ولا يزال ، والحوادث بأسرها مستندة عندهم إلى أسباب ووسائط اقتضـــت إيجادها : يسمونها العقول ، والنفوس ، ومن هذا شرك طائفـة أهل وحدة الوجود كابن عربى ، وابن سبعين ، والعفيـــــف التلمسانى ، وابن الفارض ، ونحوهم من الملاحدة الذين كســـوا

---

=== - رضى الله عنهما - . وقال الارناؤوط فى تحقيقه وتخريجـــه أحاديث فتح المجيد : حديث صحيح أنظر ص ٤٩٦ .

الالحاد حلية الاسلام ، ومزجوه بشيء من الحق ، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر ومن هذا شرك من عطل أسماء الرب وأوصافه من غلاة الجهمية ، والقرامطة ، .

٢ - **شرك من جعل معه إلهاً آخر** ولم يعطل أسماءه وصفاته وربوبيته :

كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، وشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة. ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها مدبرة لأمر هذا العالم ، كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم . )(١)

فكل من اعتقد أن هناك شيئاً من المخلوقات أيّاً كانت لها تدبير أو تصرف في هذا الكون فقد أشرك في ربوبية الله - تعالى -

قال الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك ، وماله منهم من ظهير ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾(٣) .

وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال : "صلى لنا رسول الله

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : ص ٤٣ ، ٤٤ ، المكتب الاسلامي - الطبعة السادسة .

(٢) سورة سبأ : آية (٢٢) .

(٣) سورة المائدة : آية (٧٣) .

- صلى الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية - على إثر سماء كانت من الليل - فلما انصرف أقبل على الناس فقال : " هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر : فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب ، وأما من قال : بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب ". (١)

قال ابن القيم - رحمه الله - :

( ومن هذا شرك القدرية : القائلين بأن الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته ولهذا كانوا أشباه المجوس . ومن هذا شرك الذى حاج ابراهيم فى ربه : ﴿ إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت ﴾. (٢) ومن هذا شرك عباد الشمس وعباد النار ، ومن هؤلاء من يزعم أن معبوده هو الإله على الحقيقة ، ومنهم من يزعم أنه أكبر الآلهة ، ومنهم من يزعم أن إلهه من جملة الآلهة وأنه إذا خصّه بعبادته والتبتّل إليه والانقطاع إليه أقبل عليه واعتنى به ، ومنهم من يزعم أن معبوده الأدنى يقربه إلى المعبود الذى فوقه والفوقانى يقربه إلى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة إلى الله - سبحانه وتعالى - فتارة تكثر ( الآلهة ) والوسائط وتارة تقل ) . (٣)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأذان حديث رقم ٨٤٦ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٥٨) .

(٣) الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ص ١٤٠ .

ومنه شرك الدهريين . قال تعالى مخبرا عنهم : ﴿ وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ﴾ .[1] الآية

## جـ - الشرك فى الأسماء والصفات :

إن لله - جل وعلا - أسماء وصفاتا بيّنها فى كتابه العزيز ، وذكرها رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - فى سنته المطهرة ، فهي أسماء وصفات لائقة بجلاله وعظمته وعزته وكبريائه . فلا يشبّه الخالق بالمخلوق ، ولا يشتق أسماء الآلهة أخرى باطلة من أسماء الإله الحق . فقد قال وهو أصدق القائلين : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون ﴾ .[2]

قال ابن كثير :

( قال ابن عباس : " قال إلحاد الملحدين أن دعوا اللّات فى أسماء الله . وقال ابن جريج عن مجاهد قال : اشتقوا اللّات من الله ، والعزّى من العزيز " )[3] اهـ

فتشبيه الخالق بالمخلوق شرك وهو كمن يقول يد كيدى ، وسمع كسمعى ، وبصر كبصرى ، واستواء كاستوائى وهكذا فى بقية الصفات .

---

(١) سورة الجاثية : آية (٢٤) .

(٢) سورة الأعراف : آية (١٨٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٢٦٩ .

ووقوع الشرك في الأسماء مثلما أسلفنا كا شتقاق أسماء الآلهة من أسماء الله ـ تعالى ـ ، مثل : اللات من الله ، والعزى من العزيز، وما شابه هذا .

اذا علم هذا ، فلابد أن يكون العبد على بصيرة من دينه ، وأن يكون عارفا بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وخاصة أمور العقيدة ، فلا يلحد في أسماء الله وصفاته ، ولا يؤول بل يكون على منهج السلف الصالح الذين استقوا من المنبع الصافي واستناروا بنوره ـ كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ـ فلم يحرّفوا ولم يبدّلوا ولم يضلهم الشيطان أولئك هم الفرقة الناجية .

يقول الامام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ عندما جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ! ثم قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك الا مبتدعا ، ثم أمر به أن يخرج .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

( القول الكامل في الصفات : "أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوزون القرآن والحديث ، قال الامام أحمد ـ رضي الله عنه ـ : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يتجاوز القرآن والحديث . ومذهب السلف أنهم يصفون الله

بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل ، فهو ـ سبحانه ـ ليس كمثله شئ لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أن الله ـ سبحانه ـ له ذات حقيقية ، وله أفعال حقيقية ، فكذلك له صفات حقيقية . وهو ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله فيعطلون أسمائه وصفاته العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويلحدون في أسماء الله وآياته ) .(١) اهـ

قال الشيخ ناصر بن معمر ـ رحمه الله تعالى ـ :

( وكثير من الناس يتوهم في كثير من الصفات أو أكثرها أو كلها بأنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في محاذير منها :

١ ـ أنه مثل مافهم من النصوص بصفات المخلوقين وظنّ أن مدلول النصوص هو التمثيل .

٢ ـ أن ينفي الصفات عن الله بلا علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب من صفات الكمال ونعوت الجلال فيكون قد عطّل ما أثبته الله ورسوله من صفات الإلهية اللائق بجلال الله وعظمته .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ج ٥ ص ٢٦ ، ٢٧ .

٣ - أن يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الجمادات وصفات المعدومات فيكون قد عطّل صفات الكمال التي يستحقها الرّب ومثّله بالمنقوصات ، والمعدومات ، وعطّل النصوص على ما دلت عليه من الصفات وجعل له مدلولها هو التمثيل بالمخلوق فجمع في الله وفي كلام الله من التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا في أسمائه وآياته ... الخ ) (١) .

وعن أبي شريح أنه كان يسمى أبا الحكم فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله هو الحكم وإليه الحكم فقال : إنّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال : " ما أحسن هذا فمالك من الولد ؟ فقلت : شريح ، ومسلم ، وعبد الله . قال : فمن أكبرهم ؟ قلت : شريح ، قال : أنت أبو شريح ". (٢) قال الله تعالى : ﴿ والله يحكم لا معقب لحكمه ﴾ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " ان أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك . لا مالك إلا الله ". (٣)

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية المجلد الثاني الجزء الثالث ص ٢١٦ .

(٢) رواه أبو داود كتاب الأدب ج ١٠ حديث رقم ٤٩٥٥ ، والنسائي آداب القضاء ٨/٢٢٦ ، وإسناده جيد قاله عبد القادر الارناؤوط فتح المجيد ص ٥١٧ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٦٢٠٥ ، ٦٢٠٦ .

===

قال الشيخ حافظ بن أحمد حكمي :

( وإذا عرفت أن توحيد الأسماء هو أن يدعى الله - تعالى - بما سمى به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وينفي التشبيه والتمثيل ، فضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الالحاد : **أحدهما** : نفي ذلك عن الله - عز وجل - وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة .

**وثانيهما** : تشبيه صفات الله - تعالى - بصفات خلقه وقد قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ (٢) ) (٣)

**العقيدة** هي الأساس الذي يجب أن يعرفه العبد ويعمل

---

=== ومسلم في صحيحه كتاب الآداب ٢١٤٣ ، وأبو داود في كتاب الأدب رقم ٤٩٦١ ، والترمذي كتاب الأدب رقم ٢٨٣٩ .

(١) سورة الشورى : آية (١١) .

(٢) سورة طه : آية (١١٠) .

(٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد ج ١ ص٤١٨ .

- التحريف : تغيير النص لفظا أو معنى
- التعطيل : عدم اثبات الصفات ، أو إثبات بعضها ونفي الباقي .
- التكييف : السؤال بصيغة - كيف - ؟
- التمثيل : اثبات المثل للشيء مساويا من كل الوجوه .
- التشبيه : إثبات المثل للشيء مشابها له من بعض الوجوه .
- الالحاد : الميل عن الحق والانحراف عنه . ويدخل فيه : التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل والتشبيه " ( العقيدة الواسطية ص ١٥ ) لشيخ الاسلام ابن تيمية يقدمها للعالم مصطفى العالم ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

به ويدعو إليه ويصبر على الأذى فى سبيل ذلك ، فإن من حقق توحيد الله - تعالى - وعمل به نجا وأفلح فى الدنيا والآخرة ، وما من نبى ولا رسول إلا وأوّل ما يقرع به آذان قومه الدعوة إلى توحيد الله - تعالى - .

قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .

فنوح - عليه السلام - قال لقومه : ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنّى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾ (٣) .

وهود - عليه الصلاة والسلام - قال لقومه : ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ﴾ (٤) .

وصالح - عليه الصلاة والسلام - قال لقومه : ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بيّنة من ربكم ﴾ (٥) .

---

(١) سورة النحل : آية (٣٦) .
(٢) سورة الأنبياء : آية (٢٥) .
(٣) سورة الأعراف : آية (٥٩) .
(٤) سورة الأعراف : آية (٦٥) .
(٥) سورة الأعراف : آية (٧٣) .

**وشعيب** — عليه الصلاة والسلام — : ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنّى أراكم بخير وإنّى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ (١) .

**وابراهيم** — عليه الصلاة والسلام — : ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم ﴿ أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ (٢) .

**وذا النون** — عليه الصلاة والسلام — إذ نادى ربه فى الظلمات قائلا : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ (٣) .

**ويوسف** — عليه الصلاة والسلام — قال : ﴿ ياصاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴿ ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إيّاه ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (٤) .

**وعيسى** — عليه الصلاة والسلام — قال : ﴿ إن الله ربّى وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ (٥) .

**وموسى** — عليه الصلاة والسلام — قال له قومه : ﴿ ياموسى اجعل

---

(١) سورة هود : آية (٨٤) .
(٢) سورة الأنبياء : آية (٦٧) .
(٣) سورة الأنبياء : آية (٨٧) .
(٤) سورة يوسف : آية (٣٩ - ٤٠) .
(٥) سورة آل عمران : آية (٥١) .

لنا إلهـا كما لهم آلهـة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبّر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلهـا وهـو فضلكم على العالمين ﴾ (١) .

ويعقوب — عليه الصلاة والسلام — أخبرنا الله عنه فى قولـه — عز وجل — : ﴿ أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت اذ قـال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلٰهـا واحـدًا ونحن له مسلمون ﴾ (٢) .

وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد — صلى الله عليه وسلم — يخاطب اليهود والنصارى بما أمره به ربه : ﴿ قل يا أهل الكتـاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّـوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تجعلوا مع الله إلـها آخر إنّى لكم منه نذيـر مبين ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تجعل مع الله إلـها آخر فتقعد مذموما مدحورا ﴾ (٥)

هـذا ما يريده رب العـزة والجلال من عباده لاعبادة غيـره — جل وعلا — وإشراك معه غيره مما لا ينبغى إلا له — عز وجـل — ولا يستقيم أمر لعبد أشرك مع الله غيره وهو المستحق لذلك دون سواه .

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٤٠) .

(٢) سورة البقرة : آية (١٣٢) .

(٣) سورة آل عمران : آية (٦٤) .

(٤) سورة الذاريات: آية (٥١) .

(٥) سورة الاسراء : آية (٢٢) .

(٢)

## " طاعة الغير فيما حرم الله - تعالى - شرك "

بعد أن تبيّنا على بطلان كل حكم غير حكم الله - تعالى - وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم - فإنه يتضح لنا أن طاعة من أمر بأمر فيه مخالفة لأمر الله - تعالى - وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - شرك بالله - تعالى - وهذا ما أخبر الله - تعالى - به فقال :

﴿ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ .(١)

قال ابن كثير :

( ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ أى : حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدّمتم عليه غيره فهذا هو الشرك كقوله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ .(٢) وقد روى الترمذى فى تفسيرها عن عدى بن حاتم أنه قال : يارسول الله ما عبدوهم ؟ فقال : "بلى إنهم أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إيّاهم ) .(٣) اهـ

فالعدول عن أمر الله - تعالى - والطاعة فى المعصية شرك

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٢١) .

(٢) سورة التوبة : آية (٣١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ١٧١ .

بالله - تعالى - . لأنه ترك لما به تصلح البشرية وتستقيم عليه الأمور ، وطاعة فيما يحصل به الخراب والدمار .

قال الفخر الرازي :

( قال الزجاج : "وفيه دليل على أن كل من أحلّ شيئا مما حرم الله - تعالى - ، أو حرّم شيئا مما أحلّ الله - تعالى - فهو مشرك ، وإنما سُمّي مشركا لأنه أثبت حاكما سوى الله - تعالى - وهذا هو الشرك " ) (١) اهـ

قال الله تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ (٢) .

وفي الحديث الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي ، فقال : يارسول الله ، لسنا نعبدهم ، قال : "أليس يحلّون لكم ما حرّم الله عليكم فتحلّونه ويحرّمون ما أحل الله فتحرمونه ؟ قال : بلى . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : "فتلك عبادتهم " (٣) .

---

(١) تفسير الفخر الرازي : ج ٣ جزء ١٣ ص ١٧٩ دار الفكر .

(٢) سورة التوبة : آية (٣١) .

(٣) قال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط : رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير ، باب ومن سورة براءة ، وأخرجه ابن جرير رقم (١٦٦٣١) و (١٦٦٣٢) و (١٦٦٣٣) وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٢٣٠ وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن ===

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ :

( قال السدى : استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . ولهذا قال تعالى : ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا إله الا هو سبحانه عمّا يشركون ﴾ فان الحلال ما أحله الله ، والحرام ما حرمه الله والدين ما شرعه الله .)

فظهر بهذا أن الآية دلّت على أن من أطاع غير الله ورسوله ، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة فى تحليل ما حرّم الله ، أو تحريم ما أحلّ الله ، وأطاعه فى معصية الله ، واتبعه فيما لم يأذن به الله ، فقد اتخذه ربّا ومعبودا وجعله لله شريكا ، وذلك ينافى التوحيد الذى هو دين الله الذى دلّت عليه كلمة الإخلاص ﴿ لا إله الا الله ﴾ فإن الإله هو المعبود ، وقد سمّى الله ـ تعالى ـ طاعتهم عبادة لهم ، وسمّاهم أربابا . كما قال تعالى : ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾

---

=== حميد ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم ، والطبرانى ، وأبى الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقى فى "سننه" .

وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب وغطيف بن أعين ليس بمعروف فى الحديث .

أقول : لكن فى الباب عن حذيفة موقوفا أخرجه الطبرى رقم ( ١٦٦٣٤ ) وبه يقوى .

وقال ابن كثير : رواه أحمد والترمذى وابن جرير عن عدى بن حاتم ـ رضى الله عنه ـ . "أنظر فتح المجيد ص ١٠٧ تحقيق وتخريج عبد القادر الارناؤوط" .

أى : شركاء لله ـ تعالى ـ فى العبادة ﴿ أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ﴾ .[1] وهذا هو الشرك فكل معبود رب ، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع المتبع ربّا ومعبودا ، كما قال ـ تعالى ـ فى آية الأنعام : ﴿ وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة ، ويشبه هذه الآية فى المعنى قوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ .[2] والله أعلم .

قال شيخ الاسلام فى معنى قوله : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ :

( وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين :

<u>أحدهما</u> : أن يعلموا أنهم بدّلوا دين الله فيتبعوهم على هذا التبديل ، فيعتقدون تحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحلّ الله ، اتباعا لرؤسائهم ، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل . فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا ، وإن لم يكونوا يصلّون لهم ويسجدون لهم . فكان من اتبع غيره فى خلاف الدين مع علمه

---

( ١ ) سورة آل عمران : آية ( ٨٠ ) .

( ٢ ) سورة الشورى : آية ( ٢١ ) .

أنه خلاف للدين ، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله ، مشركا مثل هؤلاء .

**الثاني :** أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتا ، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص ، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب ، كما قد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "إنما الطاعة في المعروف" .[1] اهـ

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أنظر ص ١١٠ - ١١١ دار الفكر .

(٣)

## تحكيم غير ما أنزل الله تعالى

المولى - عز وجل - هو الحكم فى الدنيا والآخرة فحكمه فى الدنيا بإنزال أحكامه على رسله بوحيه المنزل بواسطة جبريل - عليه السلام - ففى تلك الأحكام ( التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى والقرآن العظيم ) وغيرها من الكتب السماوية التى تضبط كل أمة من الأمم بأحكام الله الفاضلة والصالحة لما تستقيم عليه حياة البشر ، فهو الخالق لعباده من العدم الى هذا الوجود ، والعالم بما يُصلح شأنهم ، وما فيه خراب أحوالهم . فكل ما أنزل من أحكام فاضلة هى مهيمنة على ما سواها بل ما سواها باطل ، فأحكام القوانين السارية فى بعض بلدان العالم العربى والاسلامى كلها ما أنزل بها من سلطان بل خارجة على أحكام الله - تعالى - التى ارتضاها لعباده جميعا على وجه هذه المعمورة .

قال تعالى : ﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾ (١) فالحكم فى الدنيا لابد أن يكون بأمر الله ونهيه وكذا يوم القيامة الحكم حكمه بالمجازاة على الأعمال .

وقال تعالى : ﴿ ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٥٧) .

(٢) سورة الأنعام : آية (٦٢) .

وقال تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٢) .

فالحكم إلى الله : أي الى كتابه . والحكم الى رسوله : أي إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته . فلا حكم اليوم إلا بكتاب الله ـ تعالى ـ القرآن ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكل نظام أو ما يدعى بالدستور أو القوانين الخارجة عن كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باطلة . وإن حُكّمت فلا تستقيم عليها الأمم ولا يصلح عليها الأفراد .

وكيف لا يكون ذلك وهو من صنع البشر فلابد من الفوضى والإباحية لأفراده ، ولمجتمعه التفكك والانحطاط ، ونهايته للزوال والدمار .

---

(١) سورة الشورى : آية (١٠) .
(٢) سورة النساء : آية (٥٩) .

**يقول الله تعالى :**

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .[١]

يقول ابن جرير :

( يقول تعالى ذكره : ومن لم يحكم بما أنزل فى التوراة من قود النفس القاتلة قصاصا بالنفس المقتولة ظلما ولم يفقأ عين الفاقئ بعين المفقوء ظلما قصاصا ممن أمره الله به بذلك فى كتابه ، ولكن أقاد من بعض ولم يقد من بعض ، أو قتل فى بعض اثنين بواحد ، وإن من يفعل ذلك من الظالمين ، يعنى ممن جار على حكم الله ، ووضع فعله ما فعل من ذلك فى غير موضعه الذى جعله الله له موضعا . )[٢] ا هـ

وقد سبق ذكر الآية كاملة فى المبحث الثانى وهو "عقوبة الظلمة" ، فى موضوع القصاص ، وهنا نذكرها لمناسبة موضوعنا وهو تحكيم القوانين .

**قال تعالى :** ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .[٣]

قال السيوطى عند هذه الآية :

( قلت : "أخرج قصتها ابن أبى حاتم وابن مردويه عن

---

( ١ ) سورة المائدة : آية ( ٤٥ ) .

( ٢ ) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ج ٦ ص ٢٦٤ .

( ٣ ) سورة النساء : آية ( ٦٥ ) .

أبى الأسود قال : ( اختصم رجلان الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقضى بينهما فقال الذى قضى عليه ردنا إلى عمر بن الخطاب فأتيا إليه فقال الرجل : قضى لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هذا فقال : ردنا إلى عمر فقال : أكذاك ، قال : نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج اليكما . فخرج إليهما مشتملا على سيفه فضرب الذى قال : "ردنا إلى عمر" فقتله ، وأدبر الآخر فقال : يارسول الله ، قتل عمر ـ والله ـ صاحبى ، فقال : ما كنت أظنّ أن يجترئ عمر على قتل مؤمن فأنزل الله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾ الآية ، فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله وله شاهد موصول أوردته فى التفسير المسند[1] ) .

قال الشيخ محمد بن ابراهيم ـ رحمه الله ـ :

( وقد نفى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإيمان عمّن لم يحكّموا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما شجر بينهم نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفى وبالقسم ، ولم يكتف ـ تعالى وتقدس ـ منهم بمجرد التحكيم للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شئ من الحرج فى نفوسهم بقوله ـ جل شأنه ـ ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت . والحرج : الضيق ، بل لابد من اتساع صدورهم وسلامتها من القلق والاضطراب ولم يكتف ـ تعالى ـ أيضا هنا بهذين الأمرين حتى يضمّوا إليهما التسليم وهو كمال الانقياد لحكمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث

---

(١) تاريخ الخلفاء ص ١١٦ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

يتخلون ها هنا من أى تعلق للنفس بهذا الشىء ويسلّموا ذلك إلى الحكم الحق أى أتم التسليم ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد وهو قوله -جل شأنه- : ﴿ تسليما ﴾ المبيّن أنه لا يكتفى هاهنا بالتسليم ... بل لابد من التسليم المطلق .)[1] اهـ

اذا علم هذا مع ما سيرد -إن شاء الله- من الأدلة . فكيف بمن يعمدون إلى القوانين الوضعية وخاصة ماهو متخذ وجار عند من ينطقون بالشهادتين ويدينون بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا ؟ هل يرضى العبد أن يبدل بالاسلام كفرا ؟ أو بالرخاء شدة ؟ أو بالأمن والعزة خوفا وخسرانا ؟

إن هذا ما نراه فيمن حاد عن أحكام الله - تعالى - واستبدل بها القوانين الوضعية المستمدة من أعداء الاسلام الكفرة ، أما من لا يزالون يحكمون كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فهم فى أمن واستقرار ورغد من العيش وطمأنينة على الأنفس والأموال والأعراض بعكس من حاد عن ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾[2]
وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .[3]
وقال : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .[4]

---

(١) تحكيم القوانين ص ١ ، مطابع دار الثقافة بمكة غرة رجب ١٣٨٠هـ.
(٢) سورة المائدة : آية (٤٤) .
(٣) سورة المائدة : آية (٤٥) .
(٤) سورة المائدة : آية (٤٧) .

فياله من حكم عظيم أصدره المولى القدير مرة بالكفر وأخرى بالظلم وثالثة بالفسق على من لم يحكم بما أنزل الله - تعالى - .

إن مما تتمعر له الوجوه هو ما يتخذه من يدعى الاسلام من اللجوء الى القوانين الوضعية دون حكم الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وهذا ميول إلى ما قد اتخذ أعداء الاسلام الكفرة سواء فى البلاد الأوربية أوغيرها من البلدان الكافرة الأخرى فى بقاع الأرض المختلفة ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) خاب وخسر من حاد عن حكم الله - تعالى - وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

إن ما يتخذ من أنظمة جنائية ومدنية وتجارية وغير ذلك لا يتلائم وحياة الأفراد واستقرارهم والحفاظ على حقوقهم ، إن فى ذلك تمزيقا للجماعات وضياعا للحقوق وتفككا فى المجتمعات ومما ينذر بسقوط الحكومات وحصول النزاع والفوضى فى الشعوب .

فلا والله ماتركت حكومة من الحكومات أحكام الله - تعالى - الا أصيبت بالبلايا وخاصة الخوف والرعب الذى يزلزلها زلزالا شديدا ورأت العقوبات فى الدنيا خلاف ما هو موءجل لهم فى الآخرة ، وما ضيّعت بعض الأحكام وتركت إلا عوقب من ضيّعها بمثل ما ترك وأهمل .

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا

---

(١) سورة آل عمران : آية (٨٥) .

شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا حجر ضبّ تبعتموهم . قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ". (١)

فلا غرابة فى هذا فقد بدأت غربة الاسلام حيث قست القلوب لطول الأمد ، وهذا ما أخبر عنه المولى - عز وجل - :
﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ . (٢)

إن حكم الله قائم مهما نشأت الحوادث عن تطور الأزمان ، وتغيرت الأحوال ، فلا يصدر عنه ويرضى بغيره إلا من استحوذ عليه الشيطان وعميت بصيرته وضل عن هدى الله الى أحكام ساقطة ، وأفكار ساقطة ، لم تغن عن أصحابها شيئا من التعاسة والسقوط فى الدنيا وحصول غضب الرحمن وعذابه فى الآخرة .

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا ﴾ . (٣)

قال ابن كثير :

( هذا الانكار من الله - عز وجل - على من يدعى الايمان

---

(١) رواه البخارى كتاب الاعتصام ١٤ ، ومسلم كتاب العلم ٦ ، وابن ماجه كتاب الفتن ١٧ ، وأحمد فى المسند : ٣٢٧/٢ .

(٢) سورة الحديد : آية (١٦) .

(٣) سورة النساء : آية (٦٠) .

بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله كما ذكر في سبب نزول هذه الآية أنها في رجل من الأنصار، ورجل من اليهود تخاصما فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد، وذاك يقول بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الاسلام أرادوا أن يتحاكموا إلى أحكام الجاهلية. وقيل غير ذلك، والآية أعمّ من ذلك كله فإنها ذامّة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا الى ما سواها من الباطل وهو المراد بالطاغوت هنا ).[1]

قال الشيخ محمد بن ابراهيم - رحمه الله تعالى -:

( فان قوله - عز وجل -: ﴿يزعمون﴾ تكذيب لهم فيما ادعوه من الايمان فانه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الإيمان في قلب عبد أصلا بل أحدهما ينافي الآخر والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو حاكم إلى غير ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه. وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكما بما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقط لا بخلافه. كما أن من حق كل أحد أن يحاكم إلى ما جاء به النبي - صلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ٥١٩.

الله عليه وسلم - فمن حاكم بخلافه أو حاكم الى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكما أو تحكيما فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حده[1]) اهـ

ان هؤلاء الجهلة الذين تركوا الكتاب والسنة . ولجأوا الى أحكام خلاف ذلك قد أهلكوا أنفسهم وضيّعوا غيرهم حيث أوقعوهم بما أوقعوا فيه أنفسهم .

قال تعالى : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .[2] وقال تعالى : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ .[3] وقال تعالى : ﴿ فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أُعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ .[4]

هذه الآيات وأمثالها كثير يحذر فيها المولى - عز وجل - من اللجوء الى حكم غير الله - تعالى - ، ويندد بكل من يخالف ذلك ويأمر أن يكون الحكم هو حكمه وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم - المنزّل عليه منه - جل وعلا - ويحذر - تعالى - من أولئك المخالفين وفتنتهم ، وأن يكون العبد طائعا ومستسلما لأمر الله تعالى .

---

(١) تحكيم القوانين : ص ٣ .

(٢) سورة المائدة : آية (٥٠) .

(٣) سورة " : آية (٤٩) .

(٤) " " " : (٤٢) .

قال تعالى : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ ... الى قوله : أولئك هم الظالمون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ (٢)

وما أحسن ماقاله الشيخ محمد بن ابراهيم - رحمه الله تعالى -:

( ..... فيا معاشر العقلاء ويا جماعات الأذكياء وأولى النهى كيف ترضون أن تجرى عليكم أحكام أمثالكم وأفكار أشباهكم أو من هم دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ بل خطؤهم أكثر من صوابهم بكثير بل لا صواب فى حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصّا أو استنباطا تدعونهم يحكمون فى أنفسكم ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم وفى أهليكم من أزواجكم وذراريكم وفى أموالكم وسائر حقوقكم ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله الذى لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم - تعالى - ليعبدوه . فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إيّاه ، ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم

---

(١) سورة النور : آية (٤٧ - ٥٠) .

(٢) سورة النور : آية (٥١) .

العليم الحميد الرؤوف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذى أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العقلاء أن يربأوا بنفوسهم عنه لما فيه من الاستعباد لهم والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض والأغلاط والأخطاء فضلا عن كونه كفرا بنص قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ (١).

يقول تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴿ قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا ﴿ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ﴿ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجّل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ﴾ (٣).

قال ابن أبي العز :

( ان الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية : كبيرة أو صغيرة ، ويكون كفرا : امّا مجازيا ،

---

(١) تحكيم القوانين : ص ٧ ـ ٨ .

(٢) سورة طه : آية ( ١٢٤ ـ ١٢٦ ) .

(٣) سورة الكهف : آية (٥٧ ـ ٥٨ ) .

وامّا كفرا أصغر على القولين المذكورين ، وذلك بحسب حال الحاكم . فانّه ان اعتقد أنّ الحكم بما أنزل الله غير واجب ، وأنّه مخيّر فيه أو استهان به مع تيقنه أنّه حكم الله فهذا كفر أكبر .(١) وان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ، وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنّه مستحق للعقوبة فهذا عاص . ويسمى كافرا كفرا مجازيا ، أو كفرا أصغر . وان جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطىء له أجر على اجتهاده وخطأه مغفور ).(٢)

---

(١) قال الشيخ أحمد شاكر : ( وهذا مثل ما ابتلى به الذين درسوا القوانين الأوربية من رجال الأمم الاسلامية ونسائها ، أيضا الذين أشربوا في قلوبهم حبها والشغف بها ، والذب عنها ، وحكموا بها ، وأذاعوها ، بما ربّوا من تربية أساسها صنع المبشرين الهدامين أعداء الاسلام ، ومنهم من يصرح ، ومنهم من يتوارى ، ويكادون يكونون سواء . فان لله وانا اليه راجعون .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية حققها جماعة من العلماء وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .

( ٤ )

## " عاقبـــة الشرك "

الشرك بالله - تعالى - هو الذنب الأعظم الذى يقطع الصلة بين الله - تعالى - وبين العباد . وقد حذر منه المولى - عز وجل - فى مواضع كثيرة فى كتابه العزيز ، وندد بمرتكبه ، وطرده وأبعده من رحمته ، أوعده بعذابه وخلوده الأبدى ، فى نار لاتغنى وعذاب لايبيد ، فليس لمرتكبه أمل فى مغفرة من الله بعد أن يفارق الدنيا وهوعلى ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (١) . وقال : ﴿ انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (٢) . وقال : ﴿ من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (٣) . وقال : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ (٤) .

وفى هذه الآية خطاب لسيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - فكيف بغيره ؟ وقال تعالى : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ (٥) .

---

( ١ ) سورة النساء : آية ( ١١٦ ) .

( ٢ ) سورة المائدة : آية ( ٧٢ ) .

( ٣ ) سورة الكهف : آية ( ١١٠ ) .

( ٤ ) سورة الزمر : آية ( ٦٥ ) .

( ٥ ) سورة الفرقان : آية ( ٢٣ ) .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قال الله - تبارك وتعالى - : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه ".(١)

وعن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه - رضى الله عنه - قال : قال النبى - صلى الله عليه وسلم : " أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وشهادة الزور ( ثلاثا ) وقول الزور ، فما زالها يكررها حتى قلنا ليته سكت ".(٢)

وعن عبد الله - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من مات يشرك بالله شيئا دخل النار ، وقلت أنا : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ".(٣)

وعن عبد الله قال : لما نزلت : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا : أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "ليس هو كما تظنون . إنما هو كما قال لقمان لابنه :

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد ٤٦ ، وابن ماجه الزهد ٢١ ، وأحمد فى المسند : ٢/٣٠١ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الاستتابة ١ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز حديث رقم ١٢٣٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان ١٥٠ ، والنسائى كتاب الايمان ٢ - ٤ ، ٦ ، وأحمد فى المسند : ٤/١١ .

﴿ يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .(١)

قال محمد خليل الهراس

ـ تحت عنوان آثار الشرك ومفاسده ـ : ( أعجبتنى كلمة لبعض الباحثين فى هذا الصدد أثبتها هنا بنصها يقول : "ان أكبر الكبائر الاشراك بالله ـ تعالى ـ : ذلك لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض ، وحجب متلاطمة لايقر لها قرار ، فهو يجعل الانسان عبدا للمخلوق وهو لا يعبد المخلوق إلا جلبا لفائدة أو دفعا لضرر ، فهو فى الواقع عبد لمصلحته ، وبالتالى هو عبد لنفسه ، وعبادة النفس معناها أن الشخص غير صالح ليكون عضوا كريما عاملا على الرقي بالجماعة الإنسانية محققا لسعادتها .

بل على الضد من ذلك يكون عدوا للانسانية هادما لأركانها ساعيا فى شقائها دون أن يدرى إذ أن الشرك يقلب الأوضاع ، فيجعل الحق باطلا والباطل حقا ، والخالق مخلوقا والمخلوق خالقا ، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تبنى قواعد الجماعات على أسس سليمة ذلك أن العلاقات الانسانية تكون مبنية على مستلزمات الشرك وهى الجشع والتربص والحقد والكذب وسفك الدماء والعدوان والاستعباد والاذلال .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ١٢٤ ، والترمذى تفسير سورة ٦ ، ٤ .

كل ذلك يؤدى الى انفراط نظام العقد الانسانى الذى يتحول إلى فوضى ولا ضابط لها ولا رابط ، يسودها الخوف ويخيم عليها القلق ، وتتخللها الحروب التى لا تنتهى والتى تسببها الأطماع التى لا تنتهى ، وحينئذ تصبح الحياة شقاء لا سعادة فيه وجحيما لا يطاق يعذب فيه البشر بعضهم بعضا ) .(١)

(١) دعوة التوحيد للدكتور / محمد خليل الهراس - دار الكتب العلمية - بيروت ص ٧٥ - ٧٦ .

# المبحث الثاني

## الوقوع في المعاصي

## المبحث الثاني

## الوقوع في المعاصي

المعاصي شرها مستطير وخطرها عظيم وبسبب معصية واحدة وبمخالفة أمر رب العزة والجلال أخرج آدم - عليه السلام - وحوّى من الجنة ، ولا يزال الشيطان بآدم وذريته ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ﴾ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ قال أخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين ﴾ (١) .

فأخذ في اجتيال العباد وصدهم عن دين الله - تعالى - ، والمولى قد حذر منه ومن اتباعه وتوعد العصاة بعذابه .

قال تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ (٢) . وقال : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ (٣) . وقال : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدا فيها أبدا ﴾ (٤) . ومحمد - صلى الله عليه وسلم - يخاف يوم القيامة لو عصاه . قال تعالى : ﴿ قل إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم ﴾ (٥) . وفي موضع

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٦ - ١٨) .
(٢) سورة النساء : آية (١٤) .
(٣) سورة الأحزاب : آية (٣٦) .
(٤) سورة الجن : آية (٢٣) .
(٥) سورة الأنعام : آية (١٥) .

آخر يقول تعالى حكاية عن محمد - صلى الله عليه وسلم : ﴿ إنّى أخاف إن عصيت ربّى عذاب يوم عظيم ﴾ (١) . ويقول فى موضع آخر : ﴿ قل انّى أخاف إن عصيت ربّى عذاب يوم عظيم ﴾ (٢) .

فمادام محمد - صلى الله عليه وسلم - يخاف عذاب الله لو عصاه فكيف بمن يعصون الله تعالى ؟ والمعاصى منها ما يكون كفرا ، ومنها ما هو دون ذلك ، وكلها خطر على العبد لأن فى ذلك غضب الرب - تبارك وتعالى - .

قال ابن القيم :

( الذنوب نوعان : ترك مأمور ، وفعل محظور . وهما الذنبان اللذان ابتلى الله - سبحانه - بهما أبوي الجن والإنس ، وكلاهما ينقسم باعتبا ر محله الى : ظاهر على الجوارح ، وباطن فى القلوب ، الى أن قال : ثم هذه الذنوب تنقسم الى أربعة أقسام : ملكية ، وشيطانية ، وسبعية ، وبهيمية . ولا تخرج عن ذلك .

١ - **الذنوب الملكية :**

أن يتعاطى مالا يصلح له من صفات الربوبية - كالعظمة والكبرياء والجبروت والقهر والعلو واستعباد الخلق ونحو ذلك . ويدخل فى هذا الشرك بالله - تعالى - .... إلى أن قال : وهذا القسم أعظم أنواع الذنوب . ويدخل فيه القول على الله بلا علم فى خلقه وأمره ، فمن كان من أهل هذه الذنوب فقد نازع الله - سبحانه - فى ربوبيته وملكه وجعل له ندّاً

(١) سورة يونس : اية (١٥) .

(٢) سورة الزمر : آية (١٣) .

وهذا أعظم الذنوب عند الله ولا ينفع معه عمل .

### ٢ - الذنوب الشيطانية :

وهى التشبه بالشيطان فى الحسد ، والبغي ، والغش ، والغل ، والخداع ، والمكر ، والأمر بمعاصى الله وتحسينها ، والنهى عن طاعته وتهجينها ، والابتداع فى دينه ، والدعوة الى البدع والضلال .

### ٣ - الذنوب السبعية :

وهى ذنوب العدوان ، والغضب ، وسفك الدماء ، والتوثّب على الضعفاء والعاجزين ، ويتولد منها أنواع أذى النوع الانسانى والجرأة على الظلم والعدوان .

### ٤ - الذنوب البهيميّة :

وهى مثل الشره ، والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ، ومنها يتولد الزنا ، والسرقة ، وأكل أموال اليتامى ، والبخل ، والشح ، والجبن ، والهلع ، والجزع ، وغير ذلك . وهذا القسم أكثر ذنوب الخلق لعجزهم عن الذنوب السبعية والملكية ومنه يدخلون الى سائر الأقسام فهو يجرهم إليها بالزمام فيدخلون منه إلى الذنوب السبعية ثم الشيطانية ثم الى منازعة الربوبية والشرك فى الوحدانية ) . (١) اهـ

ان علم هذا فليكن للعبد مندوحة عن هذه الطرق المهلكة ، ويحذر من الوقوع فى شئ منها لئلا يهلك نفسه ويضيّع دينه فيحصل له غضب الرحمن ، فيبوء بالندامة والخسران .

وسأتناول في هذا المبحث شيئا من المعاصى سواء ماكان كفرا أو مادون الكفر .

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ١٣٣ ــ ١٣٤ دار الندوة الجديدة • بيروت •

## "الكذب على الله من أظلم الظلم"

فرية الكذب على الله -تعالى- من أظلم الظلم فإذا جعل العبد لله شركاء أو ولدًا أو ادعى أن الله أرسله ولم يرسله أو ادعى أنّ الله أوحى إليه ولم يوح إليه ، أو ادعى أنه سينزل مثلما أنزل الله . ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ﴾ .(١)

قال ابن كثير :

( الكافر إذا احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم ، فتتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم :(أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ) أي اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون على اتباع آياته والانقياد لرسله . )(٢) اهـ

---

(١) سورة الأنعام : آية (٩٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ١٥٧ .

ومن أظلم الظلم التكذيب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ﴾ . (١)

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ . (٢)

فى هذه الآية الكريمة يبيّن لنا المولى - عز وجل - أن الذين يفترون على الله الكذب يفضحهم فى الدار الآخرة حيث يبيّن ماقد اقترفوه من الافتراء على الله - تعالى - وذلك على رؤوس الخلائق من الملائكة والرسل والأنبياء وجميع البشر والجانّ ، وهذا البيان ليأخذ العبد حذره مادام فى سعة فى حياته الدنيا .

ويقول تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴾ (٣)

وهنا يبيّن - تعالى - حال الذين يكذبون بآياته ويعرضون عنها وحججها ودلالاتها .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٢١).

(٢) سورة هود : آية (١٨) .

(٣) سورة الانعام : آية (١٥٧) .

قال القرطبي[١]:

( قال ابن الرقّاع :

اذا ذكرن حديثا قلن أحسنه . . وهنّ عن كل سوء يتقي صُدُفُ

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾[٢].)

ثم يأتي في موضع آخر بيان ظلم المفترين على الله الكذب أو التكذيب بآياته ودعوة غيره ـ تعالى ـ وبيان حالهم عند الموت:

قال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلّوا عنّا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾[٣].

قال ابن جرير :

( فمن أخطأ فعلا ، وأجهل قولا ، وأبعد ذهاباً عن الحق والصواب ﴿ ممن افترى على الله كذبا ﴾ يقول : ممن اختلق عليّ زورا من القول فقال إذا فعل فاحشة : إن الله أمرنا بها ، ﴿ أو كذب بآياته ﴾ يقول : أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه فجحد حقيقتها ودافع صحتها ﴿ أولئك ﴾ يقول : من فعل ذلك فافترى على الله الكذب ، وكذب بآياته ﴿ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴾ يقول : يصل إليهم حظهم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : ج ٦ ص ٤٢٨ .

(٢) سورة النحل : آية (٨٨) .

(٣) سورة الأعراف: آية (٣٧) .

مما كتب الله لهم في اللوح المحفوظ ) .[١] اهـ

فالمفترون على الله الكذب والمكذبون بآياته يصل إليهم حظّهم الذي كتبه الله لهم في الحياة الدنيا من رزق وعمل وأجل وخير وشر حتى تأتيهم رسل الله ـ ملك الموت وأعوانه ـ لقبض أرواحهم ثم يعرّفونهم ماهم عليه من الضلال من دعاء غير الله ـ تعالى ـ ، وأن من كانوا يدعون لايدفعون عنهم ما قد نزل بهم ، ولا يمنعونهم مما هم إليه صائرون من عذاب الله ـ تعالى ـ فتكون إجابة المجرمين هي شهادتهم على أنفسهم بالكفر وأن من كانوا يدعونهم ضلّوا عنهم فلا عادوا ينفعونهم بشيء وعرفوا الحق حينئذ وهيهات ينفعهم ذلك حيث رفعت الأقلام وجفت الصحف .

وفي آية أخرى يقول تعالى :

﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾ .[٢]

قال ابن كثير :

( إن من الظلمة من بني اسرائيل من كذب على الله وادعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائما وأنه لم يبعث

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج ٨ ص ١٦٨ الطبعة الحلبية الثالثة .

(٢) سورة آل عمران : آية (٩٤) .

نبياً آخر يدعو إلى الله ـ تعالى ـ بالبراهين والحجج بعد هذا الذى بيّناه من وقوع النسخ وظهور ما ذكرنا ) . (١) ا هـ

ثم كان العرب قبل الاسلام يحرّمون من الأنعام ويجعلونها أجزاء وأنواعاً والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أحلّ لهم ذلك فمن أشد ظلما لنفسه ممن تقوّل على الله الكذب ليصدّ الناس عن دين الله بجهله وسفهه .

قال تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (٢) .

قال البخارى :

( حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا ابراهيم بن سعد عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب قال : **البحيرة** : التى يمنع درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، **والسائبة**: كانوا يسيّبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شئ . قال : وقال أبو هريرة : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجرّ قصبه فى النار ، كان أوّل من سيّب السوائب ، **والوصيلة** : الناقة البكر تبكر أوّل ا نتاج الابل بأنثى ، ثم تثنّى بعد بأنثى ، وكانوا يسيّبونهم للطواغيت إن وصلت احداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر . **والحام** : فحل الابل يضرب

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٣٨٢ .

(٢) سورة المائدة : آية (١٠٣) .

الضراب المعدود ، فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء ، وسمّوه الحامي . وقال لي أبو اليمان : أخبرنا شعيب عن الزهري سمعت سعيدا يخبره بهذا قال : وقال أبو هريرة سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نحوه ، ورواه ابن الهاد عن ابن شهاب عن سعيد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ) (١)

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : " قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا ، ورأيت عمرا يجر قصبه ، وهو أوّل من سيّب السوائب " . (٢)

ولهذا قال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضلّ الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ . (٣)

ثم يندّد ـ تعالى ـ بحال المفترين عليه الكذب والمكذبين بآياته فيقول تعالى :

﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون ﴾ . (٤)

يقول ابن كثير :

( يقول تعالى ـ لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجراما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير حديث رقم ٤٦٢٣ .
(٢) " " " " " " " ٤٦٢٤ .
(٣) سورة الأنعام : آية (١٤٤) .
(٤) سورة يونس : آية (١٧) .

﴿ ممن افترى على الله كذبا ﴾ وتقّول على الله وزعم أن الله أرسله ولم يكن كذلك فليس أحد أكبر جرما ولا أعظم ظلما من هذا ، ومثل هذا لا يخفى أمره على الأغبياء فكيف يشتبه حال هذا بالأنبياء ؟ فان من قال هذه المقالة صادقا أو كاذبا فلابد أن الله ينصب عليه من الأدلة على بره أو فجوره ماهو أظهر من الشمس، فإن الفرق بين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبين مسيلمة الكذاب لمن شاهدهما أظهر من الفرق بين وقت الضحى وبين نصف الليل فى حندس الظلماء ، فإن من شيم كل منهما وأفعاله وكلامه يستدل من له بصيرة على صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذب مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسى . . . . . الخ ، ثم قال : وأما مسيلمة فمن شاهده من ذوى البصائر علم أمره لا محالة بأقواله الركيكة التى ليست بفصيحة ، وأفعاله غير الحسنة بل القبيحة ، وقرآنه الذى يخلد به فى النار يوم الحسرة والفضيحة ، وكم من فرق بين قوله تعالى : ﴿ الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ الآية ، وبين قول مسيلمة قبّحه الله ولعنه : يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقّى كم تنقّين ، لا الماء تدركين ، ولا الشارب تمنعين . وقوله قبّحه الله : لقد أنعم الله على الحبلى ، إذ أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفقات وحشا . وقوله خلده الله فى نار جهنم : وقد فعل الفيل ، وما أدراك ما الفيل ، له خرطوم طويل . وقوله أبعده الله عن رحمته : والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، واللاقمات لقما ، إهالة وسمنا ، إن قريش قوم يعتدون . . . . . . . الخ ) .(١) اهـ

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٤١٠ ، ٤١١ .

يالها من وقاحة وسفالة وخروج من عبد ضعيف ذليل اجترأ على ربه فادعى مالم يكن له أهلا وتقّول أقاويل على رب العزة والجلال كلها باطلة وساقطة فأراه الله حتفه حيث مزّقه على أيدى جنده الموحدين الذين تصدوا له ولغيره من الكفرة المارقين وأذاقوهم مرارة الموت ، وإخماد شبههم وادعاءاتهم وإذلال أعوانهم ومناصريهم بالموت والتوبة والرجوع إلى دين الله القويم وصراطه المستقيم .

قال تعالى :

﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين ﴾ (١) .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى :

( يقول تعالى ، محذرا ومخبرا : إنه لا أظلم وأشد ظلما ﴿ ممن كذب على الله ﴾ إما بنسبته إلى مالا يليق بجلاله ،أو بادعاء النبوة ، والاخبار بأن الله ـ تعالى ـ قال كذا أو أخبر بكذا وهو كاذب . فهذا دخل فى قوله تعالى : ﴿ وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾ إن كان جاهلا ، وإلا فهو أشنع وأشنع ، ﴿ وكذّب بالصدق لما جاءه ﴾ أى : ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات ، فكذبه ، فتكذيبه ظلم عظيم منه ، لأنه رد الحق بعد ما تبين له ، فإن كان جامعا بين الكذب على الله ، والتكذيب

---

(١) سورة الزمر : آية (٣٢) .

بالصدق كان ظالما على ظلم ، ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ يحصل بها الاستشفاء منهم ، وأخذ حق الله من كل ظالم وكافر ، ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ ) (١) .

وقال تعالى :

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (٢) .

ومن أظلم الظلم أن يدعى غير الله - تعالى - ممن لا يستحق العبادة ويترك توحيد رب العالمين والاخلاص له ، وأنبياء الله ورسله يوضحون ويبينون الحق من الضلال .

جميع الآيات التى مرّت بنا يحذر فيها المولى من كل عمل يخالف أمره ، ويخبر أن لا أحد أظلم من الذين يفترون عليه الكذب ويكذبون بآياته ويجعلون له أندادا وشركاء . والحق يظهر أمامهم مثل الشمس فى رابعة النهار حيث يدعون الى التوحيد والاخلاص فيرفضون ذلك ويلجؤون الى الأباطيل الى مالا ينفعهم فى الدنيا ولا فى الآخرة ، فهذا من عمى البصيرة بأن استحوذ الشيطان على قلوبهم وأضلهم ضلالا بعيدا ، والمولى - عز وجل - يبيّن لنا حالهم عند الموت وكيف تقفل أبواب السماء دون أرواحهم لا تصعد الى الله مثلما يفتح لأرواح المؤمنين ، ثم ترمى أرواحهم من السماء كما

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ج ٦ ص ٤٧٠ .

(٢) سورة الصف : آية (٧) .

أخبر تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا فتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحج : آية (٣١) .
(٢) سورة الأعراف : آية (٤٠ - ٤١) .

## ظلم النفس بالكفر بأنعم الله تعالى

**قال الله تعالى :**

﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل ممزق إنّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور ﴾ (١)

إنّ نعم الله - تعالى - على العباد لا تعد ولا تحصى ، فمن ذلك نعمة البصر ونعمة السمع والشم والذوق واللمس والسير على الأقدام ولذة المنام والتصرف بجميع التصرفات بين هؤلاء الأنام وهناك أجهزة كثيرة بالإنسان نفسه يصرفها رب العزة والجلال ، وقد جعل الله الإنسان خليفة في هذه الأرض يأكل من خيراتها ويتلذذ بملذاتها ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ فالواجب على الانسان هو تسخير وتصريف هذه النعم في طاعة الله - تعالى - الذي هو مسدلها ومنعمها ، ثم شكره - تعالى - عليها وعدم التبذير فيها والكفر بها ، فكل نعمة من نعم الله - تعالى - سواء ماكان في الإنسان نفسه أو ما أعطى من الخيرات الأخرى ، يجب أن ينتفع بها الإنسان في حدودها لا يتجاوز ذلك ، لأن العبد مسئول عن كل ما يصدر منه ، قال تعالى : ﴿ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾ . (٢)

---

(١) سورة سبأ : آية (١٩) .
(٢) سورة الاسراء : آية (٣٦) .

( وفي هذه الآية الكريمة يبيّن لنا المولى -عز وجل- ما أنعم به على سبأ ملوكا وأهلاً من النعم العظيمة وكانت بلقيس صاحبة سليمان -عليه السلام- والتبابعة من جملتهم لهم من الغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وثمارهم الشيء الكثير ، فأرسل الله اليهم الرسل يأمرونهم بتوحيد الله وشكر نعمه وإقامة أوامره واجتناب نواهيه فكانوا كذلك ماشاء الله ثم أعرضوا فعوقبوا بارسال السيل عليهم الذى فيه عقابهم وتغيير حالهم . قال تعالى : ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ﴾ فتفرقوا في البلاد بعدما كانوا في غبطة وعيش هني رغيد ، وبلاد مرضية ، وأماكن آمنة ، وقرى متواصلة متقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزرعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا ويقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم ، والأمن كذلك ، فلما كانوا على هذه الحالة والنعيم المقيم بطروا هذه النعمة ففرق الله شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهني ، تفرقوا في البلاد ، هاهنا وهاهنا .

ولهذا تقول العرب في القوم اذا تفرقوا : أيدى وأيادى سبأ وتفرقوا شذر مذر ) .(1)

اذا تدبرنا قصة سبأ وجدنا في ذلك عبرة لمن كان له قلب وألقى

---

(1) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

السمع وهو شهيد ، وكذا ما يحصل فى حاضرنا من الزلازل والفياضانات وما يؤوله المغالطون بالأسباب الطبيعية من غير أن يربطوا ذلك بقدرة الخالق - جل وعلا - الذى خلق الأسباب والمسببات ومن غير نظر إلى سبب نقمة الله - جل وعلا - على عباده الذى هو وقوعهم فى المعاصى والكفر بأنعمه . قال تعالى : ﴿ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب ﴾.(١) وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾.(٢)

وقال تعالى : ﴿ ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا ﴾.(٣)

وقال تعالى : ﴿ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ﴾.(٤)

وقال تعالى : ﴿ أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ﴾.(٥)

وقال تعالى : ﴿ واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾.(٦)

وقال تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾.(٧)

وقال تعالى : ﴿ قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على ﴾.(٨)

وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها

---

(١) سورة البقرة : آية (٢١١) .

(٢) سورة الأنفال : آية (٥٣) .

(٣) سورة ابراهيم : آية (٢٨) .

(٤) سورة النحل : آية (٧٢) .

(٥) سورة العنكبوت: آية (٦٧) .

(٦) سورة النحل : آية (١١٤) .

(٧) سورة الضحى : آية (١١) .

(٨) سورة الأحقاف : آية (١٥) .

رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾ (١) .

وما أخبر به - تعالى - عن بنى اسرائيل : ﴿ وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٢) .

وقال تعالى مخبرا عبده ورسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم : ﴿ أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٣) .

قال ابن كثير :

( ﴿ أولم يسيروا فى الأرض ﴾ أى : بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماعهم أخبار الماضين ولهذا قال : ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة ﴾ أى : كانت الأمم الماضية

---

(١) سورة النحل : آية (١١٢) .
(٢) سورة البقرة : آية (٥٥ - ٥٧) .
(٣) سورة الروم : آية (٩) .

والقرون السابقة أشد منكم قوة أيها المبعوث اليهم محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكثر أموالا وأولادا . وما أوتيتم معشار ما أوتوا ومكثوا فى الدنيا تمكينا لم يبلغوا إليه وعمّروا فيها أعمارا طوالا فعمروها أكثر منكم ، واستغلوها أكثر من استغلالكم ، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا أخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق ، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة ، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أى إنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزءوا بها وماذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم ) .[1] اهـ

وما كان من صاحب الجنة الذى قصّ الله ـ تعالى ـ خبره فقال تعالى : ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴾ .[2] أى : بكفره وإنكاره المعاد وغروره بما قد أعطاه الله من الزرع والثمار الذى ظن أنها لا تفنى ولا تبيد وذلك لتمكن الشيطان منه واستحواذه على قلبه حتى أنساه المعاد والحساب فكفر بذلك ، وسوء قوله أقبح من فعله ، قال الله ـ تعالى ـ مخبرا عنه :

﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ .[3]

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ٤٢٧ .

(٢) سورة الكهف : آية (٣٥) .

(٣) سورة الكهف : آية (٣٦) .

## " القتـــــــل "

**قال الله تعالى :**

﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنما يتقبّل الله من المتقين * لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( يقول ـ تعالى ـ مبيّنا وخيمة عاقبة البغي والحسد والظلم فى خبر ابني آدم لصلبه فى قول الجمهور وهما قابيل وهابيل : كيف عدا أحدهما على الآخر فقتله بغياً وحسداً فيما وهبه الله من النعمة وتقبل القربان الذى أخلص فيه لله ـ عز وجل ـ ففاز المقتول بوضع الآثام والدخول فى الجنة وخاب القاتل ورجع بالصفقة الخاسرة فى الدارين فقال تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق ﴾ أى : اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة من اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر إبني

---

(١) سورة المائدة : آية (٢٧ ـ ٣٠) .

آدم وهما هابيل وقابيل فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف .
وقوله : ﴿ بالحق ﴾ أي : على الجلية والأمر الذى لا لبس فيه ولا كذب ولا وهم ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان كقوله تعالى : ﴿ إنّ هذا لهو القصص الحق ﴾ وقوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ وقال تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق ﴾ وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف ، أن الله تعالى شرع لآدم — عليه السلام — أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال ، ولكن قالوا كان يولد له فى كل بطن ذكر وأنثى فكان يزوج انثى هذا البطن لذكر البطن الآخر وكانت أخت هابيل دميمة وأخت قابيل وضيئة فأراد أن يستأثر بها على أخيه فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانا فمن يتقبل منه فهي له فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل فكان من أمرهما ما قصّه الله فى كتابه (1) .

ان التعدى على الأنفس بإهراق دمائها بغير حق جريمة شنعاء تأباها النفوس أياً كانت ديانتها لما فيها من البشاعة والنكارة هذا بشكل عام ، أما النفوس المسلمة فلها مكانتها السامية فى سيرها فى هذه الحياة ، فإن سارت على نهج الشريعة الغراء فلها حرمتها ومكانتها ولا تساوى بحرمة ، أما إذا ارتكب ما يخالف منهج الله فى أرضه فإن لذلك جزاء بحسب الجرم ، ليستأصل العضو الفاسد حتى لا يسرى مرضه فى بقية جسده أو مجتمعه ،

---

(1) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٤١ .

وهذا حماية للمجتمع الاسلامى من الظلم وتعظيم لحقوقهم ، وتقوية لروابط الأخوة الإيمانية الحقة بين المسلمين .

عن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم كفل من دمها ، وذلك لأنه أول من سنّ القتل " (١) .

فالله — جل وعلا — عندما يحكى لنا قصّة قابيل وهابيل إنّما ذلك ليقف المسلمون ، عند حدود الله ولا يعتدوها . وليكون فى ذلك عبرة لأولى الألباب للحذر من مثل هذا الاعتداء على الأعراض والأموال والابتعاد عما فيه غضب الجبار ، وليكن فيما وقع بمن سلف عبرة .

يقول سيد قطب :

( هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان ونموذجا كذلك من العدوان الصارخ الذى لامبرر له . كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ، ونموذجا كذلك من الطيبة والوداعة . وتقفهما وجهاً لوجه ، كل منهما يتصرف وفق طبيعته ... وترسم الجريمة المنكرة التى يرتكبها الشر ، والعدوان الصارخ الذى يثير الضمير ، ويثير الشعور بالحاجة الى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء ، وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الاقدام على الجريمة ، فاذا ارتكبها — على الرغم من

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب العلم حديث رقم ٢٦٧٣ وقال حسن صحيح .

ذلك — وجد الجزاء العادل المكافىء للفعلة المنكرة . كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه ، فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش ، وأن تصان ، وأن تأمن ، فى ظل شريعة عادلة رادعة ) (١) .

مما سبق يظهر للمسلم الذى يريد الله — تعالى — والدار الآخرة شدة حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم وما بينته السنة المطهرة فى ذلك حرصا على سلامة المسلم من أى أذى يصيبه أو ينغص عليه صفوه . فما أعظمها من شريعة غرّاء جاءت بالخير واليسر لكل مسلم ، بل حمت البشرية جمعاء من الظلم واعتداء المعتدين .

وأنه مامن معتد أوخارج على شريعة الله — تعالى — من جبار أو متكبر من صاحب سلطان أوغيره الا وقصمه الله — تعالى — وأحل به وبداره الخراب والدمار ، فليعلم هذا وليتق العبد ربه وليحفظ على سلامته فى الدنيا والآخرة .

---

(١) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ٨٧٤ .

## " الغـــــلول "

يقول الله تعالى :

﴿ ماكان لنبى أن يغـل ومن يغـلل يأت بما غل يوم القيامة ثـم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ (١) •

﴿ ماكان لنبى أن يغـل ﴾ : ماينبغى له أن يخون فى الغنيمة •

﴿ ومن يغـلل يأت بما غل يوم القيامة ﴾ : ومن يخن من غنائم المسلمين شيئا يأت به يوم القيامة يحمله على عنقـه •

﴿ ثم توفى كل نفس ما كسبت ﴾ : تعطى كل نفس جزاء عملها وافيـــا •

﴿ وهم لا يظلمون ﴾ : لا ينقصون شيئا •

لقد نزّه الله رسله – صلوات الله وسلامه عليهم – من الغلو ل لأنه من الصفـات التى لا يرتكبهـــا إلا أهل الدنيا الغارقـــون فـــى شهواتهــــا •

ولقد توعّد – سبحانه – الذين يخونون ويأخذون الغنائـــم مـــن غير وجههـــا الشرعى بأنهـــم يأتون يوم القيامة يحملون ما قد غلـــوا فى الدنيا ، وكل يجازى على عمله ولا يظلم شيئا •

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قام فينا النبى – صلى الله عليه وسلم – فذكر الغلول فعظّمه وعظّم أمره ، قال : " لا ألفيـن أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، يقول : يارسول اللـــه

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٦١) •

أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، وعلى رقبته بعير له رغاء يقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لاأملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، وعلى رقبته صامت فيقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك ، أوعلى رقبته رقاع تخفق ، فيقول : يارسول الله أغثنى ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد أبلغتك " .

وقال أبو أيوب عن أبى حيان : " فرس له حمحمة " (١) .

وعن عبد الله بن عمر قال : " كان على ثقل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل يقال له كركرة ، فمات ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " هو فى النار فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عباءة قد غلها " (٢) .

لقد عظم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر الغلول وبين أن هدايا العمال غلول وهو ما يُقدّم لأصحاب السلطة ممن ولاّهم الله أمرهم مما يسمّونه هديّة وذلك لأغراض أخرى يرجونها من وراء ذلك ، ولو كان غير هذا المسئول الذى تقدم له الهدايا فى هذا المنصب لم يُقدّم له شىء وقد بيّن هذا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد حديث رقم ٣٠٧٣ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة ، ورواه أحمد فى المسند ٢ /٤٢٦ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجهاد حديث رقم ٣٠٧٤ .

فعن أبى حميد الساعدى قال : استعمل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلا من الأسْدِ يقال له ابن اللتبية ( قال عمرو وابن أبى عمر على الصدقة ) فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدى لى ، قال فقام رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : " مابال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدى لى أفلا قعد فى بيت أبيه أو فى بيت أمّه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ، والذى نفس محمد بيده لاينال أحد منكم شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي ابطيه ثم قال : اللهم بلغت " مرتين (1) .

إن شرعنا الحكيم بيّن حرمة الغلول والطرق الموءدية إليه وحذّر منها وبيّن جزاء من يقع فى شىء من ذلك وهذا لحماية المجتمع الاسلامى من الظلم سواء للغير بحصول المال من طرق ملتوية وتسمى بغير اسمها المحرّم أو للنفس لسلامتها من العقوبة العظيمة الذى رتّبها الله على ذلك وهذا كله من أجل أن يبقى المال محفوظا ولا يصدر لأحد إلا بحقه حتى لايبغى المسلمون بعضهم على بعض، والآية الكريمة تحذّر من الغلول بعد أن نزّه تعالى أنبياءه من الخيانة وبيّن أنه لاينبغى لهم ذلك .

---

(1) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة حديث رقم ١٨٣٢ .

والأمم لابد أن يقتدوا برسلهم وأنبيائهم ، ومن خالف وارتكب ما نهى الله عنه ، فإن المولى — عز وجل — يفضحه أمام الخلائق يوم القيامة حيث يأتى يحمل ما قد غل فى حياته الدنيا ، وفى الآية والأحاديث التخويف العظيم ، والزجر الشديد عن هذه الفعلة القبيحة التى فيها أكل أموال الناس بطرق غير مشروعة ، وقد يحصل بسبب الهدايا غير المشروعة والتى نص عليها الحديث مايجعل هناك ميزة بين العاملين ، فإذا كنت مسئولا فلا يستوى عندى من يهدى لى مما لذ وطاب من حطام الدنيا ، وبين من لا يهدى لى شيئا ، ولم تصدر هذه الهدية من معطيها إلا لسبب أيضا وهدف ، ولو لم يكن فى هذا العمل ما أهدى فليكن فى هذا عبرة وزاجرا ورادعا لمن يريد الله واليوم الآخر والفوز يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

## ظلم النفس بالطلاق

**قال الله تعالى :**

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ (١) .

إن من بعد عن فهم دين الله - تعالى - وتعاليمه السامية لابد من إيقاع نفسه في ما يهلكها وهو لا يعلم لأنه لا يسير ولا يتصرف في أمر من أموره الا بهوى نفسه ومراده ، والله - سبحانه وتعالى - يعلم ما فيه صلاح عباده فجعل لهم نظما يسيرون عليها وتضبطهم في جميع أمورهم ، فهذا كتاب الله - تعالى - لا يضل ولا يزيغ ولا يهلك من تمسك به ونهج نهجه والتزم بأوامره وابتعد عن نواهيه .

ففي هذه الآية الكريمة يأمر المولى - عز وجل - عباده بما فيه سلامة أنفسهم من الظلم ، لأن العبد ربما يكيد لآخرين ولا يعلم أن ضرر ذلك على نفسه .

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل : يارسول الله . كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال :

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٣١) .

يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ". (١)

**ان المعتدين** على الآخرين بغير وجه شرعي لا يعلمون أن الأمر ينعكس عليهم . ففي هذا الحديث يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه ، نعم هذا كله حصل بغير حق بل اعتداء وظلم ، فضرّ بأبيه وأمه وهو لا يعلم ، وسيسأل هو ويعاقب على ذلك .

ومشكلة الطلاق يجهلها الكثير من الناس ، وقد تكون معلومة عند بعضهم ولكن يراد من وراء ذلك الاضرار بالزوجة ، فالجاهل بالطلاق قد يلحق بالزوجة ضررا في طلاقها وهو لا يعلم ، وقد يريد ذلك العالم بكيفية الطلاق ولكن لمقاصد وأهداف .

والمولى - عز وجل - ينهى عن إمساك المرأة ضررا وأن ذلك اعتداء وهو ظلم من الزوج لنفسه ولا يرضى - سبحانه - لجميع عباده الا الخير . وقد بيّن - سبحانه - ما يجب أن يكونوا عليه أولياء الأمور كذلك حيال الزوجين فقال تعالى :

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ . (٢)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٧٣ ، ومسلم في صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ٩٠ ، وأحمد في المسند ٢/١٦٤ .

(٢) سورة البقرة : آية (٢٣٢) .

فاذا طلق الزوج زوجته طلاقا رجعيا وانتهت العدة ولم يراجعها وأراد بعد ذلك نكاحها فليس لولي الزوجة منعها من نكاحه إذا كانت راغبة في ذلك وهو أولى بنكاحها من غيره إذا تراضوا بينهم بالمعروف .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلاّ أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ (١) .

وهذا خطاب من الله - تعالى - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - أولا ثم لأمته عن كيفية الطلاق . ونهي منه - عز وجل - عن أن تخرج الزوجات من بيوت الأزواج حتى تنتهى العدة إلا أن يحصل منها ارتكاب فاحشة واضحة ، لأن بقاءها في بيت الزوج وعدم اخراجها قد يكون فيه خير فقد يتراجعان وترجع الأمور على صلاحها وهو قوله تعالى : ﴿ لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ . وكم من مطلق طلّق زوجته وأخرجها ثم ندم بعد ذلك وحاول في ارجاعها ولكن حيل بينه وبين ما يشتهى وهذا جزاء تعدى حدود الله وعدم معرفتها والالتزام بها ، وهل أحد ظلمه في هذا ؟ كلا . بل كانوا هم أنفسهم يظلمون .

---

(١) سورة الطلاق : آية (١) .

وقال تعالى : ﴿ الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلاجناح عليهما أن يتراجعا إن ظنّا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( هذه الآية الكريمة رافعة لما كان عليه الأمر فى ابتداء الاسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة مادامت فى العدّة فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث طلقات وأباح الرجعة فى المرة والثنتين وأبانها بالكلية فى الثالثة . فقال : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان ﴾ ) (٢) اهـ

ثم بيّن – تعالى – أنه لا يحل للزوج أن يضار بزوجته أن تفتدى نفسها منه بشىء من المال سواء ما أعطاها من صداق أو بعضه إلا أن تكون هى الجانية والخارجة على الزوج فلا بأس فيما افتدت به نفسها ، وإن كان مضارّة من الزوج فإنه ظلم لا يرضاه الله – تعالى –

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٢٩ – ٢٣٠) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٢٧١ .

وخروج على حدوده - تعالى - قال تعالى : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ﴾ (١) .

هكذا شرع الله الحكيم فى أن الزوجة إذا طلقت ثلاثا فلا تحل للزوج الأول حتى تنكح زوجا غيره نكاحا صحيحا لا حيلة وتحليلا . فلو طلقها الزوج الثانى وبانت منه بينونة كبرى ، فلا مانع من أن ينكحها زوجها الأول إذا رأوا أن فى ذلك خيرا للجميع وصلاحا لهما .

قال تعالى : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير ﴾ (٢) .

قال السعدى :

( أى ليس عليكم - يا معشر الأزواج - جناح وإثم ، بتطليق النساء قبل المسيس ، وفرض المهر ، وإن كان فى ذلك كسر لها ، فانه ينجبر بالمتعة . فعليكم أن ﴿ تمتعوهن ﴾ بأن تعطوهن

---

(١) سورة النساء : آية (٢٠) .
(٢) سورة البقرة : آية (٢٣٦ - ٢٣٧) .

شيئا من المال ، جبرا لخواطرهن ، ﴿ على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ﴾ أى : المعسر ﴿ قدره ﴾ . وهذا يرجع الى العرف وأنه يختلف باختلاف الأحوال . ولهذا قال : ﴿ متاعا بالمعروف ﴾ فهذا واجب ﴿ على المحسنين ﴾ ليس لهم أن يبخسوهن .

فكما تسببوا لتشوفهن ، واشتياقهن ، وتعلق قلوبهن ، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه ، فعليهم - فى مقابلة ذلك - المتعة .

فلله ما أحسن هذا الحكم الالهى ، وأدلّه على حكمة شارعه ورحمته !! ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ !! .

ثم ذكر حكم المفروض لهن فقال : ﴿ وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة .... ﴾ الآية .

أى : اذا طلقتم النساء قبل المسيس ، وبعد فرض المهر ، فللمطلقات من المهر المفروض ، نصفه ، ولكم نصفه . وهذا هو الواجب مالم يدخله عفو ومسامحة ، بأن تعفو عن نصفها لزوجها ، إذا كان يصح عفوها ، ﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ وهو الزوج على الصحيح ، لأنه الذى بيده حل عقدته ، ولأن الولى لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة ، لكونه غير مالك ولا وكيل ، ثم رغّب فى العفو ، وأنّ من عفا ، كان أقرب لتقواه ، لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدور ، ولكن الانسان لا ينبغى أن يهمل نفسه من الاحسان والمعروف ، وينسى الفضل الذى هو أعلى درجات المعاملة ، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين :

**إما عدل وإنصاف واجب** ، وهو : أخذ الواجب ، وإعطاء الواجب .

**وإما فضل وإحسان** ، وهو إعطاء ماليس بواجب والتسامح فى الحقوق ، والغض مما فى النفس ، فلا ينبغى للانسان أن ينسى هذه الدرجة ، ولو فى بعض الأوقات ، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة ، أو مخالطة ، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم . ولهذا قال : ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾ )[1] اهـ

**وقال تعالى** : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ﴾.[2] وهنا بيان من المولى - عز وجل - بأنه لاعدة لمن لم يدخل بها . وهذا من عدله ورحمته - جل وعلا - أن لا تتربص المرأة فى عدة لا حاجة من ورائها .

**لقد** عالج القرآن الكريم الطلاق من جميع جوانبه ولم يترك للزوج حقا إلا وبينه ولا مظلمة إلا بينها ونهاه عنها ، كذا حمى المرأة من الظلم وبيّن مالها وما عليها ، وكذا أولياء أمورهن . لذا يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتقوا الله فى أنفسهم ويجنبوها الظلم الذى حرمه الله على نفسه وجعله بين عباده محرما .

---

( ١ ) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

( ٢ ) سورة الأحزاب : آية ( ٤٩ ) .

# الفصل الثاني

## ظلم العبد لغيره

المبحث الأول : ظلم العبد من يعول

المبحث الثاني : ظلم العباد فيما بينهم

المبحث الثالث : ظلم العبد لسائر الحيوان

## الفصل الثاني

## ظلم العبد لغيره

الله - سبحانه وتعالى - حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرّما ، وهذا من أجل أن يحصل الأمن بين العباد ، وأن تستقر الأمور ، فلا ظلم في الدماء ولا في الأعراض ولا الأموال .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ (١) .

في هاتين الآيتين نداء من رب العزة للمؤمنين وتحذير لهم من أن يسخر أحد من أحد ولا يلمزه ولا يعيّره ومن ارتكب ذلك فهو من الظالمين ، وينهى - عز وجل - عن التهمة وخيانة الأهل والأقارب والناس وكذا التجسس على الآخرين والغيبة وهي ذكر المسلم أخاه بما يكره . وهذا من أجل سلامة العباد وعدم ظلم أحد لغيره .

قال تعالى : ﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى

---

(١) سورة الحجرات : آية (١١ - ١٢) .

(٢) سورة الاسراء : آية (٣٣) .

الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ (٢) .

وعن عبد الله قال : قال رسول الله : " لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمفارق لدينه التارك للجماعة " (٣) .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد فى الحرم ، ومبتغ فى الاسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرىء مسلم بغير حق ليهريق دمه " (٤) .

وفى حجة النبى - صلى الله عليه وسلم - التى رواها جابر بن عبد الله قال : بعد أن ذكر حجته - صلى الله عليه وسلم - " فلما أتى عرفة فوجد القبّة قد ضربت له بنمرة فنزل بها . حتى زاغت

---

(١) سورة البقرة : آية (١٨٨) .

(٢) سورة التوبة : آية (٣٣) .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٧٨ ، ومسلم فى صحيحه قسامة ٢٥ ، ٢٦ ، وأبو داود كتاب الحدود ١ ، والترمذى كتاب الحدود ١٥ ، والنسائى كتاب التحريم ٥ ، ١١ ، ١٤ ، والدارمى كتاب السير ١١ ، وأحمد فى المسند : ١/٦١ ، ٦٢ .

(٤) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الديات حديث رقم ٦٨٨٢ .

الشمس أمر بالقصواء فرجلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال : "إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع . ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعاً فى بنى سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع . وأول ربا أضع ربانا . ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله . فاتقوا الله فى النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتهم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فى فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرّح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وقد تركت فيكم ما لن تضلّوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله . وأنتم تسألون عنى . فما أنتم قائلون ؟" قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأدّيت ونصحت . فقال بإصبعه السبابة ، يرفعها الى الى السماء وينكتها إلى الناس : "اللهم اشهد ، اللهم اشهد" (١) ثلاث مرات . . الحديث .

فى هذا الحديث جملة من الحقوق نبّه عليها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحذّر من الاعتداء عليها لأن ذلك اعتداء على حقوق الغير . فالشريعة الغراء تنهى عن الظلم وخاصة الحقوق الخاصة بالآخرين فهذا ديوان لا يترك الله منه

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الحج حديث رقم ١٢١٨ ، والبخارى فى صحيحه كتاب الحج حديث رقم ١٧٤٢ ، وله أطراف وفيه "فان الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم" .

شىء حتى يظل الأفراد يسيرون على طريق مقيدة بقيود وضوابط جعلها الله - تعالى - لئلا يطغى أحد على أحد حتى فى الكلام الذى ينقص به الآخرين سواء كان فيهم أو لم يكن فيهم كل ذلك دفاع عن حرمة المسلم .

والظلم أيًّا كان لا يجوز على مسلم أو غيره ، فالله حرمه على نفسه وجعله بينهم محرما لأنه تجاوز فى الحد وهضم لحقوق الآخرين .

# المبحث الأول

## ظلم العبد من يعول

## المبحث الأول

## ظلم العبد من يعول

الله - عز وجل - جعل لكلٍّ مسئولية على قدر حاله ، فما من عبد إلا وهو مسئول ، فالحاكم مسئول عن أفراد شعبه ، والرجل مسئول عن زوجته وأولاده وخدمه ، والمرأة مسئولة عن بيت زوجها - ماله وعياله وخدمه - ، والخدم مسئولون عن تأدية واجباتهم ، وكل مسئول عن تأدية حقوق الله - تعالى - ، وإخلاص النيّات وحفظ الجوارح .

عن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الأعظم الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " .(١)

قال ابن حجر :

( رعاية الامام الأعظم حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل فى الحكم ، ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصاله حقوقهم ، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأحكام حديث رقم ٧١٣٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الامارة ٢٠ ، وأبو داود كتاب الامارة ١ ، والترمذى كتاب الجهاد ٢٧ ، وأحمد فى المسند : ٢/٥ ، ٥٤ .

للزوج في كل ذلك ، ورعاية الخادم حفظ ماتحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته ". (١)

**أما الرجل :** فكونه هو رب الأسرة من زوجة وأولاد وخدم فإن مسئوليته عظيمة جدا تجاه هؤلاء ، وأن الله سائله فيما يحصل منه من تقصير أو ضياع لحقوق هؤلاء أو اعتداء على أحد منهم بالضرب أو الشتم إلا في حدود ماقرره الشرع وبينه من التعليم والتأديب فالشريعة أوضحت الحقوق وضبطت الأفراد بذلك ، فمن حاد أو تعدى على تلك الحقوق فقد ظلم ومن ظلم فقد أهلك نفسه .

**فالمرأة :** هي ربة البيت ولها حقها الشرعي فلا تظلم في مهر ولا كسوة ولا نفقة ولا عدم تعليم لدين الله - تعالى - إذا لم تكن متعلمة ، ولا ترك لها بالاهمال في الواجبات الشرعية فالرجال هم القوامون على النساء لقوله تعالى : ﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليّا كبيرا ﴾ . (٢)

وقد بيّن الله - تعالى - طريقة تأديب المرأة التي تترفع

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ج ١٣ ص ١١٣ .

(٢) سورة النساء : آية ٣٤

على زوجها وتترك أمره وتعرض عنه فإذا رجعت إلى الطاعة والامتثال فلا ضرب ولا هجران وأن ذلك ظلم لها واعتداء عليها والله منتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن .

عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : جاءت هند بنت عتبة (١) فقالت : يارسول الله إنّ أبا سفيان رجل مسيّك فهل علىّ حرج أن أطعم من الذى له عيالنا ؟ قال : لا . الا بالمعروف ". (٢)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال النبى - صلى الله عليه وسلم - : "أفضل الصدقة ما ترك غنى ، واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول : تقول المرأة : إما أن تطعمنى وإما أن تطلقنى . ويقول العبد : أطعمنى واستعملنى ، ويقول الابن : أطعمنى الى من تدعنى ؟ فقالوا : ياأبا هريرة سمعت هذا من رسول

---

(١) وهند هذه هى بنت عتبة بن ربيعة أى ابن عبد شمس بن عبد مناف وهى أم معاوية وكانت لما قتل أبوها عتبة وعمها شيبة وأخوها الوليد يوم بدر شقّ عليها فلما كان يوم أحد وقتل حمزة فرحت بذلك وعمدت الى بطنه فشقتها وأخذت كبده فلاكتها ثم لفظتها ، فلما كان يوم الفتح ودخل أبو سفيان مكة مسلما أغضبت هند لأجل اسلامه وأخذت بلحيته . ثم أنها بعد استقرار النبى - صلى الله عليه وسلم - بمكة جاءت فأسلمت وبايعت . فتح البارى ج ٩ ص ٥٠٨ "دار المعرفة" .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٥٩ .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : لا . هذا من كيس أبى هريرة ".(١)

قال ابن حجر :

( " هذا من كيس أبى هريرة " وقوله : من كيس هو بكسر الكاف للأكثر أى : من حاصله إشارة إلى أنه من استنباطه مما فهمه من الحديث المرفوع مع الواقع ، ووقع فى رواية الأصيلى بفتح الكاف أى : من فطنته .)(٢)

وعن الأسود بن يزيد : " سألت عائشة ـ رضى الله عنها ـ : "ماكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصنع فى البيت ؟ قالت : كان فى مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج ".(٣)

فى هذا الحديث تبين لنا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق ـ رضى الله عنها ـ الصنيع النبوى النبيل وهو مشاركته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهله فى عملهم حتى لا يتكلفوا مالا يطيقون وتحصل المودة والألفة بين الزوجين .

فالشرع الحكيم حمى المرأة من الظلم وأذن لها أن تتمول وأولادها من مال الرجل فى حالة تقصيره فى النفقة ، وكذا على الرجل مشاركة أهله فى البيت ومساعدتهم لربما تكون هناك أعمال شاقة أو كثيرة ومتعبة للزوجة فيكون فى قيامها بذلك بمفردها مشقة عليها

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٥٥ .

(٢) فتح البارى : ج ٩ ص ٥٠١ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٦٣ .

ويلحق بها أضرارا من جرّاء ذلك .

وأمّا ما كان من شأن الكسوة ، فقد بوّب البخارى - رحمه الله تعالى - بابا فى ذلك فقال : ( باب كسوة المرأة بالمعروف وذكر حديث على - رضى الله عنه - حيث قال : " أتى النبى - صلى الله عليه وسلم - حلّة سيراء فلبستها فرأيت الغضب فى وجهه فشققتها بين نسائى ".(١)

وفى الرواية الثانية : "كسانى النبى - صلى الله عليه وسلم - حلّة سيراء فخرجت فيها فرأيت الغضب فى وجهه فشققتها بين نسائى ".(٢)

والحلّة : إزار ورداء . وسيراء : بكسر المهملة وفتح التحتانية والراء مع المد من أنواع الحرير .

والنبى - صلى الله عليه وسلم - غضب عندما لبس على - رضى الله عنه - هذه الحلة لأنها من الحرير والحرير محرّم لبسه على الرجال . فشققها على - رضى الله عنه - ووزعها بين نسائه ، وهذا من العدالة وعدم إيثار واحدة دون الأخريات فيكون فى ذلك شىء من الظلم .

وفى خطبته - صلى الله عليه وسلم - فى حجته قال : " ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف " .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب النفقات حديث رقم ٥٣٦٦ .

(٢) " " " " " اللباس " " ٥٨٤٠ .

قال النووى :

( فيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع ) (١) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : "اللهم هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك" (٢) .

وعن أبى هريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : "اذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط" (٣) .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : ج ٤ الجزء الثامن ص ١٨٤ .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث عائشة هكذا رواه غير واحد عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبى قلابة عبد الله بن يزيد عن عائشة "أن النبى - صلى الله عليه وسلم كان يقسم" ورواه حماد بن زيد وغير واحد عن أيوب عن أبى قلابة مرسلا أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقسم . وهذا أصح من حديث حماد بن سلمة . ورواه النسائى كتاب عشرة النساء ٨/٦٤ ، ورواه أبو داود كتاب النكاح حديث رقم ١١٤٠ .

(٣) رواه الترمذى كتاب النكاح ٤٢ وقال : إنما أسند هذا الحديث همّام بن يحيى عن قتادة . ورواه هشام الدستوائي عن قتادة قال : كان يقال . ولا نعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همّام . وهمّام ثقة حافظ . ورواه النسائى كتاب عشرة النساء ٩/٦٣ ، ورواه ابن ماجه كتاب النكاح باب القسمة بين النساء حديث رقم ١٩٦٩ .

وهنا يبيّن لنا - صلى الله عليه وسلم - سوء عاقبة من يظلم ويميل مع احدى زوجاته ولا يساوى بينهن فى النفقة وفى الكسوة وفى المبيت ، والعدالة بين الزوجات واجبة ومحاسب الانسان عليها مالم يكن شيئا فى القلب فهذا بيد الله - تعالى - وهو الذى يملكه .

**ومن ظلم الغير وأد البنات** الذى ذكره الله - تعالى - فى محكم التنزيل فقال تعالى : ﴿ وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ . وهذا من الظلم الذى كان يفعله الجاهليون من دفن البنات وهن أحياء وذلك لسببين كما ذكر ذلك الشنقيطى فى تفسيره :

**الأول** : **اقتصادى** ، خشية إملاق حاضر .

**الثانى** : **حميّة وغيرة** .

وقد رد القرآن عليهم فى السبب الأول فى قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم واياهم ﴾ .) [1] اهـ

---

(١) أضواء البيان : ج ٩ ص ٦٦ .

فالله - تعالى - سيسأل يوم القيامة أولئك الظلمة الذين أقدموا على هذه الجريمة الشنعاء وهى قتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

وعن عمرو بن شرحبيل عن عبد الله قال : قلت : يارسول الله ، أى الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندّا وهو خلقك ، قلت : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك ، ثم قال : أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك . وأنزل الله تصديق قول النبى - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ﴾ (١) .

وعن عامر بن شراحيل الشعبى قال : سمعت النعمان بن بشير - رضى الله عنه - وهو على المنبر يقول : أعطانى أبى عطيّة فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : إنى أعطيت إبنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله . قال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا ، قال : فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم . قال : فرجع فرد عطيته " (٢) .

---

(١) رواه البخارى في صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٦٠٠١ ، ومسلم في صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ٨٦ .

(٢) رواه البخارى في صحيحه كتاب الهبة حديث رقم ٢٥٨٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب الهبات حديث رقم ١٦٢٣ ، وأبو داود كتاب البيوع حديث رقم ٣٥٤٢ ، والنسائي ٢٥٨/٦ ، وأحمد فى المسند ٢٦٨/٤ .

في هذا الحديث أمر - صلى الله عليه وسلم - بالعدل بين الأولاد "اعدلوا بين أولادكم" والأمر للوجوب . ففي التفضيل ايقاع الشحناء بين الأخوة وحصول تقطيع الأرحام وقد تحصل منازعات وخصومات ويحصل إثر ذلك مالا تحمد عقباه ، وفي تفضيل أحد الأبناء على الآخرين ظلم من الأب وإلا فكيف يكون ذلك وهم كلهم من صلبه ! .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : "قبّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال : من لا يرحم لا يرحم ".

قال ابن حجر :

( ولا فرق في العطية بين الأولاد الذكور والإناث لما روى ابن عباس مرفوعا "سوّوا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء" . أخرجه سعيد بن منصور البيهقي من طريقه وإسناده حسن . (٢)

قال الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني :

( نهى القرآن عن قتل الأولاد من الفقر الحاصل أو خشية وقوع الفقر في المستقبل في آيتين :

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب حديث ٥٩٩٧ ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل ٢٣١٨ ، وابو داود كتاب الادب ٥٢١٨ ، والترمذي كتاب البر ١٩١١ ، وأحمد في المسند ٢/٢٨٨ ، ٢٤١ ، ٢٦٩ ، ٥١٤ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٥ ص ٢١٤ .

الأولى : قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم وإياهم ... ﴾ .(١) والثانية : قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ... ﴾ .(٢) الإملاق : هو الفقر، والمقصود بالأولاد البنات بالدرجة الأولى لأن هذا كان من عادة بعض العرب فى عصور الجاهلية . ومن روائع البيان القرآنى أن الله - تعالى - قال فى سورة الأنعام : ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ عقب النهى عن قتل الأولاد من الفقر الواقع . وذلك حينما يكون الولى هو المسؤول عن النفقة على الأولاد .

وأما فى سورة الاسراء فعكس الترتيب ، فقال تعالى : ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ إذ كان ذلك عقب النهى عن قتل الأولاد خشية حصول الفقر فى المستقبل وعكس الترتيب فى آية الاسراء يشعر باحتمال أن يكبر الأولاد قبل حصول الفقر وحينئذ يكونون هم المرزوقين الذين ينفقون على أوليائهم وبذلك يكون سببا للكفاية ، والغنى لا سببا لحصول الفقر الذى يخشى أن يكون سببا فيه .(٣)

**أما ما كان بشأن الخدم والمماليك** : فعن خيثمة قال : كنا جلوسا مع عبد الله بن عمرو إذ جاءه قهرمان له فدخل فقال : أعطيت الرقيق قوتهم ؟ قال : لا . قال : فانطلق فأعطهم . قال :

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٥١) .

(٢) سورة الاسراء : آية (٣١) .

(٣) أجنحة المكر الثلاثة : ص ٥٠١ .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته ".(١) القهرمان : بلسان الفرس الوكيل أو الخازن القائم بحوائج الانسان .

وعن المعرور بن سويد قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إننى ساببت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لى النبى - صلى الله عليه وسلم - : يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية . إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ".(٢) الخول : عطية الله من النعم والعبيد والاماء وغيرهم من الأتباع والحشم .(٣)

وعن زادان أن ابن عمر دعا بغلام له فرأى بظهره أثرا فقال له : أوجعتك ، قال : لا . قال : فأنت عتيق . قال : ثم أخذ شيئا من الأرض فقال : مالى فيه من الأجر مايزن هذا إنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " من ضرب غلاما له حدًّا لم يأته أو لطمه فإن كفارته أن يعتقه ".(٤)

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزكاة حديث رقم ٩٩٦ .
(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ٣٠ ، وكتاب العتق ١٥ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث ١٦٦١ ، وابن ماجه كتاب الأدب ١٢٤ .
(٣) المعجم الوسيط ١/٢٦٣ .
(٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ١٦٥٧ ، وأحمد فى المسند : ٢/٤٥ .

قال النووى :

( قال العلماء : فى هذا الحديث الرفق بالمماليك وحسن صحبتهم وكف الأذى عنهم وكذلك فى الأحاديث بعده وأجمع المسلمون على أن عتقه بهذا ليس واجبا وإنما هو مندوب رجاء كفارة ذنبه . ) (١)

وعن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : قال أبو مسعود البدرى : كنت أضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا من خلفى اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب ، قال : فلما دنا منّى إذا هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا هو يقول : "إعلم أبا مسعود قال فألقيت السوط من يدى فقال : إعلم أبا مسعود أنّ الله أقدر عليك منك على هذا الغلام . قال : فقلت : لا أضرب مملوكا بعده أبدا ". (٢) وفى رواية لمسلم فقلت : هو حر لوجه الله فقال : "أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار".

فى هذه الأحاديث الحث على الرفق بالمماليك والعناية بهم والعفو عنهم فيما يبدر منهم لأن الإنسان محل الخطأ فليس المملوك معصوما من الخطأ والتقصير ، ففى الأحاديث سالفة الذكر يبيّن لنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - كيفية المعاملة الحسنة مع المماليك والعفو عنهم وكظم الغيظ ومواساتهم سواء فى الأكل

---

(١) مسلم بشرح النووى المجلد السادس الجزء الحادى عشر ص١٢٧ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الايمان حديث رقم ١٦٥٩ .

أو الملبس ، وإن حصل مساواة فهو أفضل وزيادة فى الأجر من الله - تعالى - وضربهم وشتمهم والتقصير فى حقوقهم وتكليفهم مالا يطيقون ظلم لهم ، وفى الرواية الأخيرة التى ذكرنا قوله - صلى الله عليه وسلم - لأبى ذر : "أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار".

إن النساء والأولاد والمماليك والخدم أناس قد استرعاهم الله الرجال الذين قد أصبحت لهم السلطة عليهم سواء من الزوجات اللاتى استحلوهن بكلمة الله - تعالى - أو المماليك الذين قد تملكوهم بالرق أو الأولاد الذين قد رزقهم الله إياهم والذين هم من زينة الحياة الدنيا . فالواجب على كل من قد أصبح من أهل السلطة فى هذا أن يراقب الله - تعالى - ويحسن ليحسن الله إليه ، ويحذر أن يتجاوز الحدود فيما قد وضعه الله وارتضاه لعباده .

فالمولى - عز وجل - بيّن الحقوق للزوجات والأولاد والمماليك فمن أهمل فى شىء من ذلك من الأولياء فهو ظالم ، والظالم لا يفلح أبدا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ومآله الى الخسارة والندامة .

وان ماجاء من الحث على الرفق بالمملوكين ينطبق على الخدم والخادمات الذين ليسوا بمماليك وإن الحكم بالنسبة لهم واحد من حيث معاملتهم المعاملة الحسنة .

## الوالـدان :

الوالدان هما قوام الأسرة وهما السبب بعد الله في وجود الأبناء ، وهما المربيان لهم حتى قاموا ودبّوا على هذه الأرض وعرفوا مالهم وما عليهم . فالأب يسعى ويكدح في سبيل الحصول على معيشة أبنائه وما يسعدهم ، ويلاقي في ذلك المتاعب والمصاعب والمشاق .

**والأم :** تحمل الابن في بطنها تسعة أشهر بين التألم والضجر وتعاني آلام ذلك ، وآلام الولادة ثم بعد الولادة تجعل حجرها له فراشا وثديها له غذاء وتقوم بعنايته حتى يستطيع أن يقوم بمؤونة نفسه والاعتماد عليها . هذا ما يقدمه الأبوان لأبنائهم وغيره الشيء الكثير .

وقد جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة بيان حقوقهما وأن التقصير في شيء من ذلك يعتبر ظلما لهما وجحودا لحقهما وانكارا لجميلهما .

يقول الله تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة : آية (٨٣) .

فأول أمر بدأ به المولى -عز وجل - وأمر به عباده هو إفراده -عز وجل - بالعبادة ، ثم أمر بالاحسان الى الوالدين فلم يقدم على ذلك شيئا بعد عبادته وهذا لبالغ الأمر وأهميته .

وقال تعالى : ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ .(١)

فهذه الآية مشتملة على الأمر بالوصية للوالدين حتى نزلت آية المواريث التى أعطت كل ذى حق حقه والوالدان فى مقدمة ذلك .

وقال تعالى : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ﴾ .(٢) وفى هذه الآية يبين المولى - عز وجل - مواضع النفقة وهى نفقة التطوع والبر والصلة فكان الوالدان فى مقدمة من خصهم الله - تعالى - بالذكر لذلك .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ .(٣)

وهذه الآية شبيهة بآية البقرة (٨٣) التى ذكرناها آنفا فكثيرا ما يقرن الله - سبحانه - بين عبادته والإحسان الى الوالدين .

---

(١) سورة البقرة : آية (١٨٠) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢١٥) .

(٣) سورة النساء : آية (٣٦) .

وقال تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكرلى ولوالديك إلي المصير ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ . (٢) وهنا أمر تعالى بشكرهما على صنيعهما وطاعتهما مالم يكن هناك معصية لله - تعالى - .

وقال تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا إمّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ . (٣)

هذه الآيات ونظائرها تنص على طاعة الوالدين والاحسان إليهما وشكرهما على صنيعهما وإظهار هيبتهما والدعاء لهما على ماكان منهما من صنيع من حمل فولادة فرضاع وتربية وإنفاق .

---

(١) سورة الأنعام : آية (١٥١) .

(٢) سورة لقمان : آية (١٤ - ١٥) .

(٣) سورة الاسراء : آية (٢٣ - ٢٤) .

فالتقصير فى حقهما مخالفة لأمر الله - تعالى - وعدم مكافأة على ما كان منهما وهذا ظلم يؤاخذ الله عليه ، ويعاقب عليه .

وأخرج الامام البخارى من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يارسول الله ، من أحق الناس بصحابتى ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك ". (١)

قال ابن حجر :

( قال ابن بطال : " مقتضاه أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب من البر . قال : وكان ذلك لصعوبة الحمل ثم الوضع ثم الرضاع فهذه تنفرد بها الأم وتشقى بها ثم تشارك الأب فى التربية" (٢)

وهذا ما بيّنه قول الله - تعالى - : ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ﴾ .

وعن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل : يارسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه ". (٣)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٧١ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى : ج ١٠ ص ٤٠٢ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٧٣ .

وعن المغيرة بن شعبة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : "إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال ".(١)

وعن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنهما - قالت : " أتتنى أمى وهى راغبة فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - فسألت النبى - صلى الله عليه وسلم - آصلها ؟ قال : نعم . قال ابن عيينة : فأنزل الله - تعالى - فيها ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ﴾ .(٢)

وعنها - رضى الله عنها - قالت : " قدمت علىّ أمّى وهى مشركة فى عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستفتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قلت : إنّ أمّى قدمت وهى راغبة ، أفأصل أمّى ؟ قال : نعم صلى أمّك ".(٣)

وأم أسماء مشركة وأتت راغبة فى الصلة فعندما سألت أسماء - رضى الله عنها - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى صلة أمّها أذن فى ذلك لأهمية الأمر للوالدين وإن كانا مشركين .

وعن عبد الله بن عمرو قال : جاء رجل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - يستأذنه فى الجهاد فقال : أحىّ والداك؟ قال : نعم قال : ففيهما فجاهد ".(٤)

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٧٥ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأدب حديث رقم ٥٩٧٨ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الهبة حديث رقم ٢٦٢٠ .

(٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر حديث رقم ٢٥٤٩ .

فالجهاد الذى هو أفضل الأعمال قدّم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بر الوالدين عليه واعتبره خدمتهما والقيام عليهما جهاد " ففيهما فجاهد " .

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : كان جريج يتعبد فى صومعة فجاءته أمه ، قال حميد فوصف لنا أبو رافع صفة أبى هريرة لصفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمه حين دعته كيف جعلت كفّها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه فقالت : يا جريج أنا أمك كلمنى فصادفته يصلى فقال : اللهم أمى وصلاتى فاختار صلاته فقالت اللهم إن هذا جريج وهو ابنى وإنى كلمته فأبى أن يكلمنى اللهم لاتمته حتى تريه الموسات (١) ، قال : ولو دعت عليه أن يفتن لفتن قال وكان راعى ضأن يأوى إلى ديره قال فخرجت امرأة من القرية فوقع عليها الراعى فحملت فولدت غلاما فقيل لها : ما هذا ؟ قالت : من صاحب هذا الدير (٢) قال : فجاءوا بفؤوسهم ومساحيهم فنادوه فصادفوه يصلى فلم يكلمهم قال فأخذوا يهدمون ديره فلما رأى ذلك نزل إليهم فقالوا له : سل هذه ، قال فتبسم ثم مسح رأس الصبى فقال : من أبوك ؟ قال : أبى راعى الضأن فلما سمعوا ذلك منه قالوا نبنى ما هدمنا من ديرك بالذهب

---

(١) الموسات : الزوانى البغايا المتجاهرات بذلك .

(٢) الدير : كنيسة منقطعة عن العمارة تنقطع فيها رهبان النصارى لتعبدهم وهو بمعنى الصومعة . " صحيح مسلم بشرح النووى ج ٨ جزء ١٦ ص ١٠٥ " .

والفضة ، قال : لا . ولكن أعيدوه ترابا كما كان ثم علاه ".(١)

قال النووى :

( فيه قصة جريج - رضى الله عنه - وأنه آثر الصلاة على إجابتها فدعت عليه فاستجاب الله لها - قال العلماء : هذا دليل على أنه كان الصواب فى حقه إجابتها لأنه كان فى صلاة نفل والاستمرار فيها تطوع لا واجب . وإجابة الأم وبرها واجب وعقوقها حرام وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود لصلاته فلعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه ).(٢)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : " رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف ، قيل من يارسول الله قال من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة ".(٣)

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لايجزى ولد والدًا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه "(٤) وفى رواية ابن أبى شيبة " ولد والده ".

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٥٠ واللفظ له ، والبخارى في صحيحه كتاب المظالم حديث رقم ٣٤٨٢ ، وكتاب الأنبياء حديث رقم ٣٤٣٦ وأحمد في المسند : ٢ / ٣٠٨ ، ٣٨٥ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى المجلد الثامن الجزء السادس عشر ص١٠٥

(٣) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٥١ .

(٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب العتق حديث رقم ١٥١٠ .

هذه أحاديث صحيحة تبين حقوق الوالدين وأن طاعتهما واجبة وعقوقهما كبيرة من كبائر الذنوب وإن أغلب ما يحصل من المحظورات فى حق الوالدين هو أن يوءثر الرجل زوجته على أمه فى بعض العطايا أو لين الجانب أو حسن القول . وكذلك نهر الأم والاستهزاء بها أو بالأب والسخرية منهما لكبرهما وتغير حالهما ونسيانه حاله هو عندما كان صغيرا وهو أردأ وأسوأ حالا من حاليهما فى كبرهما ، وقد كانا يحيطانه بعطفهما ويصبران على آذاه .

قال ابن حجر الهيثمى فى الكبيرة الثانية بعد الثلاثمائة عند قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ﴾ . أمر الله — تعالى — بالاحسان إليهما وهو البر والشفقة والعطف والتودد وإيثار رضاهما ونهى أن يقال لهما أفّ ، إذ هو كناية عن الايذاء بأى نوع كان حتى بأقل أنواعه . ثم قال : ( ثم أمر بأن يقال القول الكريم : أى اللّيّن اللطيف المشتمل على العطف والاستمالة وموافقة مرادهما وميلهما ومطلوبهما ما أمكن سيما عند الكبر ، فإن الكبير يصير كحال الطفل وأرذل لما يغلب عليه من الخرف وفساد التصور ، فيرى القبيح حسناً والحسن قبيحا ... ثم أمر بعد القول الكريم بأن يخفض لهما جناح الذّل من القول بأن لا يكلما إلا مع الاستكانة والذل

والخضوع واظهار ذلك لهما ، واحتمال ما يصدر منهما ، ويريهما أنه فى غاية التقصير فى حقهما وبرهما ، وأنه من أجل ذلك ذليل حقير ، ولا يزال على نحو ذلك إلى أن يثلج خاطرهما ويبرد قلبهما عليه ، فينعطفا عليه بالرضا والدعاء ، ومن ثم طلب منه بعد ذلك أن يدعو لهما ، لأن ما سبق يقتضى دعاءهما له كما تقرر فليكافئهما إن فرضت مساواة ، وإلا فشتان مابين المرتبتين ، وكيف تتوهم المساواة ، وقد كانا يحملان أذاك وكلك وعظيم المشقة فى تربيتك ، وغاية الاحسان إليك راجين حياتك ، مؤملين سعادتك ، وأنت إن حملت شيئا من أذاهما رجوت موتهما ، وسئمت من مصاحبتهما ، ولكون الأم أحمل لذلك وأصبر عليه مع أن عناءها أكثر وشفقتها أعظم بما قاسته من حمل وطلق وولادة ورضاع وسهر ليل ، وتلطخ بالقذر والنجس ، وتجنب للنظافة والترفه حضّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ على برها ثلاث مرات وعلى بر الأب مرة واحدة كما فى الحديث الصحيح : " أن رجلا جاء الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله من أحق الناس بصحابتى ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك ثم الأقرب فالأقرب " )[1]

والأحاديث والآثار فى هذا كثير جدا وقد بيّنا ما فيه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

---

(١) الزواجر : ج ٢ ص ٦٦ كبيرة (٣٠٢) .

# المبحث الثاني

## ظلم العباد فيما بينهم

## المبحث الثاني

## " ظلم العباد فيما بينهم "

إن الظلم فساد في الأرض وضربات قاتلة وسموم فتاكة ، وداء عضال ، فهو يحصل بالتعدى على حقوق الآخرين - من دم أو عرض - فاذا وقع في مجتمع من المجتمعات ، تفككت أفراده فتحصل بينهم العداوة والبغضاء والتنافر ، وقد حرّم - سبحانه - الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرما - كما جاء في الحديث القدسي : " يا عبادى إنّى حرّمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرّما فلا تظالموا " (١) .

فالعبد الذى رزق علما نافعا ومعرفة بالله - تعالى - وبدينه القويم يكون دائما على حذر من تجاوز الحدود التى رسمتها له الشريعة الغراء ، فلا يبرح طريقا فيه الهدى والنور إلى ما فيه الشر والمهلكة .

ومن عميت بصيرته ضل هدى الله - تعالى - وطريقه المستقيم فلا يبالى من الوقوع فى دماء أو أموال أو أعراض لأنه لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا ، فهو كالأنعام أو أضل سبيلا .

يقول تعالى : ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ (٢) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر باب ٥٥ .

(٢) سورة الأنعام : آية (١٢٢) .

(١)

## " ظلم الناس والبغي في الأرض "

**يقول الله تعالى :**

﴿ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾(١) .

السبيل : الطريق . يظلمون الناس : يعتدون عليهم ، بغير حق : أى يفسدون في الأرض بغير وجه مباح .

بيّن المولى — عز وجل — أن الحرج والضيق والعنت هو على أولئك الذين يتجاوزون فيبدؤون الناس بالظلم فقد أعد الله لهم عذابا شديدا موجعا . وهذه الآية الكريمة جاءت بعد قوله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ وهذا بيان من المولى — عز وجل — لعباده بأن يردعوا أنفسهم عن ظلم بعضهم بعضا ومن اعتدى فالجزاء هو ما ذكره المولى — عز وجل — .

قال ابن كثير :

( قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا عثمان السخام حدثنا محمد بن واسع قال : قدمت مكة فإذا على الخندق قنطرة فأخذت فانطلق بي الى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال :

---

(١) سورة الشورى : آية (٤٢) .

ما حاجتك ؟ قلت : يا ابا عبد الله حاجتي إن استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدى ، قال : ومن أخو بني عدى ؟ قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب إليه ، أما بعد : فإن استطعت أن لاتبيت إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص، وكفك نقيّة من دماء المسلمين وأموالهم فإنك اذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ فقال مروان : صدق والله ونصح ، ثم قال : وما حاجتك يا أبا عبد الله ؟ قلت حاجتي أن تلحقني بأهلي ، قال : نعم ، رواه ابن أبي حاتم "[1] اهـ

وروى البخاري بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب استعمل مولى يدعى هنيّا على الحمى ، فقال : يا هني أضمم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم ، فإن دعوة المظلوم مستجابة ، وأدخل ربّ الصريمة وربّ الغنيمة ، وإيّاى ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان ، فإنهما إن تهلك ماشيتهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن ربّ الصريمة وربّ الغنيمة إن تهلك ماشيتهما يأتيني ببينة فيقول : ياأمير المؤمنين ! أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أيسر عليّ من الذهب والورق ، وأيم الله إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم ، إنها لبلادهم ومياههم . قاتلوا عليها في الجاهلية . وأسلموا عليها في الاسلام والذى نفسي بيده لولا المال الذى أحمل

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ١١٩ .

عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا ." (١)

أضمم جناحك عن الناس : أي أكفف يدك عن ظلمهم .

اتق دعوة المظلوم : أي اجتنب الظلم لئلا يدعو عليك من تظلمه.

وأدخل : أي في الرعي .

الصريمة : أي القطعة القليلة من الابل نحو الثلاثين وقيل من عشرين الى أربعين .

والغنيمة : تصغير غنم ، قيل إنها أربعون والمراد القليل منها كما دل عليه التصغير .

وإياي ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان : قال الحافظ خصهما بالذكر على طريق المثال . لكثرة نعمهما . لأنهما كانا من مياسير الصحابة ولم يرد منعهما البتة . وإنما أراد أنه إذا لم يسمح لرعي نعم أحد الفريقين فنعم المقلين أولى ، فنهى عن إيثارهما على غيرهما ، أو تقديمهما قبل غيرهما .

لا أبالك : أصله لا أب لك ، وظاهره الدعاء عليه ، لكنه على مجازه ، لا على حقيقته ، " فالماء والكلأ أيسر علي من الذهب والورق : أي أهون من انفاقهما لهم .

الماء الذي أحمل عليه : أي الابل والخيل التي كان يحمل عليها من لا يجد ما يركب ." (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد حديث رقم ٣٠٥٩ .

(٢) موطأ مالك ج ٢ ص ١٠٠٣ دار احياء التراث العربي .

هني : مولى عمر .

(٢)

## " ظلم الأمم لرسلهم "

**قال الله تعالى :**

﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ﴾ (١) .

إن من فضل الله — تعالى — ومنّه على خلقه أن بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى الله ويبلغهم دينه من توحيد وشرائع ومعاملات قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ (٣) .

ولكن الأمم قابلت رسلهم بالتكذيب والحيلولة بينهم وبين مايدعون إليه وما أمروا بتبليغه من دين الله — تعالى — لأن الشيطان قد صدهم عن طريق الله الموصل إلى جنته ، فآذوا الرسل وعذبوا من عذبوا وقتّلوا كذلك ، وليس الله بغافل عما يعمل الظالمون .

---

== قال ابن حجر : ( هذا المولى لم أر من ذكره في الصحابة مع ادراكه وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما ، شهد صفين مع معاوية ثم تحوّل الى علي لما قتل عمّار ، ثم وجدت في كتاب مكة لعمر بن شبة أن آل هني ينتسبون في همدان وهم موالي آل عمر .
فتح الباري : ج ٦ ص١٧٦
وقال ابن حجر في تقريب التهذيب : مولى عمر استعمله عمر على الحمى وهو ثقة من الثانية .

(١) سورة ابراهيم : آية (١٣) . (٢) سورة النحل : آية (٣٦)
(٣) سورة فاطر : آية (٢٤) .

إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمـــون .

ففى هذه الآية التى هى مدار بحثنا يخبر ـ تعالى ـ عن توعد بعض الأمم الكافرة لرسلهم الذين بعثوا يدعونهم إلى الله تعالى ويخرجونهم من عبادة غير الله ـ تعالى ـ الى عبادته ـ عز وجل ـ وأنه خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم وباعثهم . وذلـك بالاخراج من أرضهم أو دخولهم معهم فيما هم عليه من الكفــر والضلال ولكن يأبى الله ذلك ولو كره المشركون ، فقد بلغ ـ تعالى ـ رسله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أنه مهلك أولئك الكفـــرة ، أولئك الظلمة العاصين والمصرّين على كفرهم وضلالهم وقد قـال ـ تعالى ـ بيانا لشنيع صنيعهم وما اتخذوه مع أنبيائه ورسله ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معـك من قريتنا أو لتعودنّ فى ملّتنا ﴾ (١) .

وحكى ـ تعالى ـ عن لوط وقومه فقال تعالى : ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون * فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ﴾ (٢) .

وقال تعالى مخبرا عن مشركى قريش وموقفهم مع خاتم الأنبياء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها إذاً لا يلبثون خلافك الا قليلا ﴾ (٣) . وقال تعالى :

---

(١) سورة الأعراف : آية (٨٨) .

(٢) سورة النمل : آية (٥٦) .

(٣) سورة الاسراء : آية (٧٦) .

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾(١) .

كل هذه الآيات ونظائرها فيها بيان ظلم الأمم لرسلهم ولكن الله كاف رسله وأنبياءه وموهن كيد الظالمين الذين يبغون في الأرض فسادا ويخرجون أنبياءه ورسله الذين يقولون ربنا الله .

قال السيوطي :

( أخرج بن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في الآية قال : كانت الرسل والمؤمنون يستضعفهم قومهم ويقهرونهم ويدعونهم إلى أن يعودوا في ملتهم فأبى الله لرسله والمؤمنين أن يعودوا في ملة الكفر ... )(٢)

فأي ظلم أعظم من هذا ﴿ يا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ﴾ ، إن رسل الله وأنبياءه يدعون أقوامهم إلى الجنة دار اللذة والسرور وهم يستبدلون الأدنى بالذي هو خير ويظلمون أنبياءهم ورسلهم بالاعتداء عليهم والتكذيب والقتل ولكن مرد الظالمين النار .

وقد أخبر - تعالى - عن مقالات الكفرة الباطلة وبيانه تعالى جزاءهم على ذلك فقال تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا

---

(١) سورة الأنفال : آية (٣٠) .

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ج ٥ ص١٢ دار الفكر .

إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد )* (١) .

فحاشاه - تعالى - عن مقالتهم بأنه فقير بل هم الفقراء وهو الغنى الحميد ، وحاشاه أن يظلم أحدا بل هو الحكم العدل يجازى كلا بعمله إن خير فخير وإن شرا فشر .

---

(١) سورة آل عمران : آية (١٨١ - ١٨٢) .

## (٣)
## " الدم والمال والعرض "

هذه الأمور الثلاثة حق من حقوق الآخرين ولا يجوز لمسلم أن يقع في شيء من هذه الأمور لأن الله حرمها بين المسلمين لما ينجم عن ذلك من مضار ، لذا فقد حرمت الشريعة هذه بين المسلمين .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لاتحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يخذله ولايحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " (١) .

" حسده : حسدا ، تمنى أن تتحول إليه نعمته أو أن يسلبها ،

تحاسدوا : حسد كل منهم الآخر .

تناجشوا : تناجش القوم في البيع ونحوه ، تزايدوا في تقدير الأشياء اغراء وتمويها .

تباغضوا : البغض : المقت والكره أى أبغض بعضهم بعضا .

تدابروا : تعادوا وتقاطعوا " (٢) .

وكونوا عباد الله إخوانا : أى تعاملوا وتعاشروا معاملة الأخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير

---

(١) رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٦٤ .

(٢) المعجم الوسيط .

ونحو ذلك مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال ." (١)

ولا يبع بعضكم على بيع بعض : هو أن يقول لمن اشترى شيئا في مدة الخيار افسخ هذا البيع وأنا أبيعك مثله بأرخص من ثمنه أو أجود منه بثمنه ونحو ذلك وهذا حرام يحرم أيضا الشراء على شراء أخيه وهو أن يقول للبائع في مدة الخيار افسخ هذا البيع وأنا أشتريه منك بأكثر من هذا الثمن ونحو هذا .

وأما السوم على سوم أخيه : فهو أن يكون قد اتفق مالك السلعة والراغب فيها على البيع ولم يعقداه فيقول الآخر للبائع : أنا أشتريه وهذا حرام بعد استقرار الثمن ، وأما السوم في السلعة التي تباع فيمن يزيد فليس بحرام ". (٢)

إن المظالم تقع في ثلاثة أمور - كما أسلفنا - وهي التي أشار اليها الحديث : " الدم - المال - العرض " حيث تشتمل على حقوق الانسان لهذا بينها - صلى الله عليه وسلم - وأشار بالنهي عن عدة أمور عظيمة وهي : الحسد الذي هو تمني زوال النعمة عن الغير ، والتباغض الذي هو كره ومقت بعضهم بعضا والذي يتنافى مع آداب الاسلام حيث يأمر بالتوادد والتراحم الذي هو الصفة الحميدة التي ينبغي أن تكون بين المسلمين ، كما نهاهم عن التعادي والتقاطع بأن يدبر كل واحد عن الآخر ويعرض عنه ، وهذا مما يوجد القطيعة والتفكك بين صفوف المسلمين ، كما نهى - صلى الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ١٦ ص ١١٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ١٠ ص ١٥٨ .

عليه وسلم - عن بيع المسلم على بيع أخيه المسلم لما فى ذلك من فسخ للبيوع المشروعة والاغراءات الكاذبة ، والوعود الباطلة ، والخداع الزائف . كما أمر - صلى الله عليه وسلم - أن تكون هناك الأخوة الاسلامية الصادقة لأن المسلم أخو المسلم كما قال تعالى : ﴿ انما المؤمنون أخوة ﴾ فالأخوة هى فى الاسلام لأن ذلك أقوى تماسكا وأوثق لعرى المحبة فلا يمكن أن يحصل ظلم من مسلم لأخيه لافى دمه ولا ماله ولا عرضه ، ولا أن يخذله . وفى الحديث : " المؤمن أخو المؤمن لايخذله " ، وكذا لايحقره أى لا يستهين به بل يجعله فى موضع الثقة والمكانة العالية لا الاستهانة فاذا كانت التقوى موجودة والتى مكانها الصدر - أى فى القلب - فلابد أن تكون المحبة الصادقة

وعن سعيد بن زيد – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " من ظلم من الأرض شبرا طوقه من سبع أرضين "(١) .

وعن سالم عن أبيه – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " المستبان ما قالا فعلى البادىء مالم يعتد المظلوم"(٢)

قال النووى :

( معناه: أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثانى قدر الانتصار فيقول للبادىء أكثر مما قاله له وفى هذا جواز الانتصار ولا خلاف فى جوازه وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ . ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور " )(٣) اهـ

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "(٤) .

وعنه – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المظالم ١٠ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث ٢٥٨٧ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جزء ١٦ ص ١٤٠ .

(٤) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٨٨ .

ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته (١) قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار"

فى هذا الحديث تحذير شديد للذين يتجاوزون الحد بالتعدى على الآخرين فيشتمون ويقذفون ويأكلون الأموال بغير حق ويسفكون الدماء ويضربون الناس ويعذبونهم فهوءلاء يمهلون فى الدنيا ولكن القصاص فى الآخرة فيوءخذ من حسناتهم مقابل ما اقترفوا من حقوق حتى يفنى ما عندهم من حسنات فإن بقى عليهم شىء من الحقوق أخذ من سيئات أصحاب الحقوق وطرح عليهم ثم يوءخذ بهم إلى النار وهوءلاء هم المفلسون .

وعن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : " يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما فيناديهم مناد يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة أو أحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة إلى أن اقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحدا . قلنا : يارسول الله كيف وإنما نأتى حفاة عراة فقال : " بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدا " (٢) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث رقم ٢٥٨١ .

(٢) رواه أحمد باسناد حسن قاله المنذرى وعزاه ابن القيم فى صواعقه الى أبى يعلى الموصلى فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد والضياء فى المختاره والطبرانى فى المعجم والسنة وغيرهم وحسن اسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم ابن

==.=

هذه احاديث فيها بيان حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين ، وأن هذا من الظلم الذى حرمه المولى - عز وجل - على عباده ، كما أن فيها زجرا للمسلم الذى يوءمن بالله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والجزاء والحساب ، وأن الله - تعالى - مجاز المحسن باحسانه والمسىء على إساءته ، وأنه - تعالى - لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وكل يعطى كتابه بيمينه أو بشماله من وراء ظهره كما قال تعالى : ﴿ فأمّا من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا * وينقلب الى أهله مسرورا * وأمّا من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا * إنه كان فى أهله مسرورا * إنه ظنّ أن لن يحور * بلى إن ربه كان به بصيرا ﴾ (١) .

---

== عبد الواحد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر فى رحلته الى الشام الى عبد الله بن أنيس فذكره وعلقه البخارى فى أوّل صحيحه مجزوما به وفى آخره بلفظ ويذكر عن جابر الخ . " كتاب الكبائر للذهبى ص ١١٧ " تخريج محمد عبد الرزاق حمزة .

(١) سورة الانشقاق : آية ( ٧ - ١٥ ) .

# المبحث الثالث

## ظلم العبد لسائر الحيوان

## المبحث الثالث
## ظلم العبد لسائر الحيوانات

الحيوانات من مخلوقات الله - تعالى - التى خلقها وجعل منها مافيه منافع للناس كما ذكر تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة * ويخلق مالا تعلمون ﴾ (١) .

فبيّن - تعالى - ما فيها من مصالح ومنافع من أصواف وأوبار وأشعار وما يلبس وما يفرش وما يشرب من لبن وما يؤكل وما هو معد للركوب والزينة . فهذا مما يجب أن يشكر الله - تعالى عليه ، ومما يجب علينا احترامه وإعطاءه قدره ، لا أن تقابل هذه النعمة بالنكران ، ويبدل الاحسان بالكفران . فلا يجوز أن تعذب هذه العجماوات بضرب ولا تشويه فى خلقها ، ولا أن تترك بدون طعام ولا شراب ولا تكلف مالا تطيق ، حتى مايذبح منها للأكل لما جاء فى الحديث عن شداد بن أوس قال : ثنتان حفظتهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "إن الله كتب الاحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته" (٢) .

---

(١) سورة النحل : آية (٥ - ٨) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصيد حديث ١٩٥٥ ، وأبوداود ===

وقد بيّن - صلى الله عليه وسلم - عاقبة من يسيء الى ذلك .

فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : "عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض". (١)

فقد بيّن - صلى الله عليه وسلم - عظم العقوبة لمن يحبس الحيوان ويجيعه حتى يموت فكانت العقوبة هى النار ولم يجعل - صلى الله عليه وسلم - حدًّا دنيويا فى ذلك لأن الأحكام هى من ربّ العزة ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - بعث مبلغا عن ربه - تبارك وتعالى - فما أعظم ذلك من عقوبة لمن لم يرحموا وخاصة هذه الحيوانات الضعيفة التى لا تستطيع أن ترفع عنها ظلم الظالم ، فالله - جل وعلا - هو الذى يقتص للمظلومين من خلقه أيًّا كان نوعهم وأيّا كانت مكانتهم ، فهم جميعا خلقه والضعفاء إليه وتحت تصرفه وقهره .

وكان - صلى الله عليه وسلم - حريصا على الحيوان ولم يترك لأحد مجالا فى إيذائه . فعن عبد الله بن جعفر - رضى الله عنهما - قال : أردفنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر إلىّ حديثا لا أحدث به أحدا من الناس . قال وكان أحب ما استتر به

---

=== كتاب الضحايا حديث ٢٨١٥ ز، والترمذى : ديات حديث ١٤٠٩ ، والنسائى : ضحايا ٢٢٧/٧ ، وابن ماجه ذبائح ٣١٧٠ ، والدارمى : أضاحى ٨٢/٢ ، وأحمد فى المسند : ١٢٣/٤ .

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب السلام حديث ٢٢٤٢ ، وكتاب البر والصلة ١٣٣ ، كتاب الكسوف ٩ ، ورواه البخارى فى صحيحه ===

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحاجته هدفا أو حايش نخل فدخل حائطا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - حنّ إليه وذرفت عيناه فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - فمسح ذفرته فسكن فقال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ قال : فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إيّاها ؟ فانه شكا لي أنك تجيعه وتدئبه ". (١)

وقد لعن - صلى الله عليه وسلم - من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا أو هدفا يرمى . فعن سعيد بن جبير قال : مرّ ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر : من فعل هذا لعن الله من فعل هذا إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعن من اتخذ شيئا فيه روح غرضا ". (٢)

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - لعن في هذا الحديث من فعل هذه الفعلة لأن فيها تعذيباً للحيوان وإتلافا لنفسه وتضييعا لماليته والاستفادة منه .

---

== كتاب الأنبياء ٥٤ ، والنسائي : كتاب الكسوف ١٤ ، ٢٠ ، وأحمد في المسند : ٢/١٥٩ .

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٩٩ - ١٠٠ وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصيد حديث ١٩٥٨ ، ورواه البخاري في صحيحه كتاب الذبائح حديث ٥٥١٤ ، وأحمد في المسند ١/٢٩٧

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حمارا موسوم الوجه فأنكر ذلك فقال : والله لا أسمه إلا أقصى شئ من الوجه وأمر بحماره فكوى فى جاعرتيه فهو أول من كوى الجاعرتين ". (١)

وعنه - رضى الله عنهما - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مرّ على حمار قد وسم وجهه فقال :" لعن الله الذى وسمه "

وفى رواية : " نهى - صلى الله عليه وسلم - عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه ". (٢)

وفى هذه الأحاديث دلالة على تحريم الوسم فى الوجه وكذا الضرب فى الوجه وتشديد التحريم فى ذلك حيث ورد اللعن منه - صلى الله عليه وسلم - ، واللعن كما هو المعروف هو الطرد من رحمة الله - تعالى - وبيان موضع الوسم وأن ما خالف ذلك فهو تعدٍ على حق الغير وخاصة هذه العجماوات وذلك ظلم يحاسب عليه العبد الذى يقدم على مثل هذه الفعلة الخاطئة .

والنبى - صلى الله عليه وسلم - من رحمته بنا لا يرى أمرا فيه مضرة على أحد إلا سارع إلى البيان وإلى ما هو خير ، فعن ابن مسعود - رضى الله عنه - قال : كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمّرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب اللباس حديث ٢١١٨ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب اللباس حديث ٢١١٧ .

الحمّرة فجعلت تفرش فجاء النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : " من فجع هذه بولدها ردّوا ولدها إليها ، ورأى قرية نمل (١) قد حرقناها فقال : من حرّق هذه قلنا : نحن قال : إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار ". (٢)

هكذا كان اهتمامه - صلى الله عليه وسلم - بالطير وما هو أقل من ذلك وهو النمل فكان - صلى الله عليه وسلم - حريصا حتى على الحشرات وأن لا يعتدى عليها ، كما نهى - صلى الله عليه وسلم - أن تصبر البهائم - أى تحبس للقتل - فعن أنس - رضى الله عنه - قال : " نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تصبر البهائم ". (٣)

قال النووى :

( قال العلماء : صبر البهائم أن تحبس وهى حيّة لتقتل بالرمي ونحوه وهو معنى لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا أى لا تتخذوا الحيوان الحي غرضا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها وهذا النهى للتحريم) (٤)

---

(١) قرية نمل : أى موضع النمل مع النمل " رياض الصالحين ص ٥٣٢ " مطبعة اليوسفية بمصر .

(٢) رواه أبو داود كتاب الأدب ٥٢٦٨ باسناد صحيح قاله النووى فى رياض الصالحين ص ٥٣٢ المطبعة اليوسفية بمصر .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الذبائح حديث ٥٥١٣ ، ومسلم فى صحيحه كتاب الصيد حديث ١٩٥٨ ، وأبو داود كتاب الضحايا ٢٨١٦ ، والنسائى كتاب الضحايا ٧٩ ، وأحمد فى المسند : ٩٤/٢ .

(٤) مسلم بشرح النووى : ج ٧ الجزء ١٤ ص ١٠٨ .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : "إياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم ". (١)

قال أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي :

( قال القاري : المعنى لا تجلسوا على ظهورها فتوقفونها وتحدثون بالبيع والشراء وغير ذلك بل انزلوا واقضوا حاجاتكم ثم اركبوا ) . (٢)

وهذا العمل يعتبر مضرة لها وتعذيبا لها وهي لم تجعل لهذا بل لحاجات الإنسان في إيصاله من بلد إلى آخر لا يستطيع الوصول إليه إلا بتعب ومشقة فهي تنقل المتاع ويركبها الانسان في سفره ويعطيها حقها من الأكل والشرب والراحة .

قال الألباني بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في الرفق بالحيوان :

( تلك هي بعض الآثار التي وقفت عليها حتى الآن وهي تدل على مبلغ تأثر المسلمين الأولين بتوجيهات النبي - صلى الله عليه وسلم - في الرفق بالحيوان وهي في الحقيقة قلّ من جلّ ونقطة من بحر وفي ذلك بيان واضح أن الإسلام هو الذي وضع للناس مبدأ " الرفق بالحيوان " خلافا لما يظنه بعض الجهال بالاسلام أنه من وضع الكفار الأوربيين ،

---

( ١ ) رواه أبو داود كتاب الجهاد حديث ٢٥٦٧ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج ١ حديث ٢٢ ص ٣٠ منشورات المكتب الاسلامي .

( ٢ ) عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ٧ ص ٢٣٥ دار الفكر .

بل ذلك من الآداب التى تلقوها عن المسلمين الأولين ، ثم توسعوا فيها ، ونظموها تنظيما دقيقا ، وتبنتها دولهم حتى صار الرفق بالحيوان من مزاياهم اليوم ، حتى توهم الجهال أنه من خصوصياتهم ! وغرّهم في ذلك أنه لا يكاد يرى هذا النظام مطبقا فى دولة من دول الاسلام وكانوا هم أحق بها وأهلها ! .

ولقد بلغ الرفق بالحيوان فى بعض البلاد الأوربية درجة لا تخلو من المغالاة ، ومن الأمثلة على ذلك ما قرأته فى مجلة "الهلال" (مجلد ٢٧ ج ٩ ص ١٢٦) تحت عنوان "الحيوان والانسان" ان محطة السكك الحديدية فى كوبنهاجن كان يتعشعش فيها الخفاش زهاء نصف قرن ، فلما تقرر هدمها واعادة بنائها أنشأت البلدية برجا كلفته عشرات الألوف من الجنيهات ، منعا من تشرد الخفاش .

وحدث منذ ثلاث سنوات أن سقط كلب صغير فى شق صغير بين صخرتين فى احدى قرى انجلترا ، فجنّد له أولو الأمر من رجال المطافىء لقطع الصخور وانقاذ الكلب ! وثار الرأى العام فى بعض البلاد أخيرا عندما اتخذ الحيوان وسيلة لدراسة الظواهر الطبيعية ، حين أرسلت روسيا كلبا فى صاروخها وأرسلت أمريكا قردا ) .[1] اهـ

اذا كان هذا موقف أعداء الاسلام والمسلمين مع الحيوانات الخرساء فما هو موقف المسلمين من ذلك ؟

أيكون بالظلم لها بالضرب والتعذيب والقتل وعدم المبالاة ؟ كلا : بل

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة : ج ١ ص ٣٧ - ٣٨ .

بالرفق والمعاملة التى بينها الدين الاسلامى بدون مغالاة كما يفعل بعض الغربيين حيث يهتمون بها أكثر من اهتمامهم بالانسان فلم يترك ديننا شيئا إلا وبيّنه وبيّن الجزاء على ذلك ، فلقد جاء الاهتمام بذلك فى الاسلام حتى بين الحيوانات أنفسها . فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء (١) من الشاة القرناء " (٢) .

قال النووى :

( هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة . قال الله تعالى : ﴿ واذا الوحوش حشرت ﴾ واذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من اجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره . قال العلماء : وليس من شرط الحشر والاعادة فى القيامة المجازاة والعقاب والثواب . وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف إذ لاتكليف عليها بل هو قصاص مقابلة ) (٣) اهـ . والقصاص من العباد قصاص تكليف .

والمراد مما ذكر هو عدم ظلم الحيوان سواء بقتله دون مبرر شرعى أو تكليف مالا يطيق أو تجويعه أو الاساءة إليه بأى نوع من أنواع الإساءات ومما استشهدنا به مما ذكره الشيخ الالبانى عن اهتمام الكفار الأوربيين بالحيوانات ليس القصد هو تطبيق ما عليه الكفار من مواقف مع الحيوانات بشكل عام بل ليعرف المسلم أهمية الرفق بالحيوان ويسير على منهج الشريعة الغراء فى ذلك لامايسلكه أعداء الاسلام فى المغالاة فى الحيوانات كتربية الكلاب وماشاكل ذلك بل يكون على مسلك الشريعة وما رسمه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وماسار عليه السلف الصالح — رضى الله عنهم — .

---

(١) الجلحاء : الجماء التى لاقرون لها .
(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب البر والصلة حديث ٢٥٨٢ .
(٣) مسلم بشرح النووى ج ٨ الجزء ١٦ ص ١٣٦ — ١٣٧ .

# الباب الرابع

## أثر الظلم على الفرد والمجتمع

وفيه فصول :

الفصل الأول : أثر الظلم على الأفراد

الفصل الثاني : أثر الظلم على المجتمع

# الباب الرابع

## أثر الظلم على الفرد والمجتمع

فى هذا الباب سنرى أثر الظلم على الأفراد الذين هم لبنة المجتمع وجوهره وبصلاحهم واستقامتهم يستقيم المجتمع ويكون على بعد من الآثار المضرة ، ثم لا يكون هناك عواقب وخيمة تلحق بالمجتمع مثلما حصل لتلك الأمم السالفة التى وقع أفرادها فى ما حرّم ربهم عليهم وعصوا رسله وذلك بوقوعهم فى الشرك الذى نهاهم ربهم عنه والذى هو أعظم الظلم ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ .

فعندما أشركوا بالله — تعالى — وجحدوا نعمه وطغوا وبغوا وتكبروا وتجبروا فى الأرض وخرجوا على رسله — صلوات الله وسلامه عليهم — أرسل الله عليهم بسوط عذابه المتنوع على حال كل فريق قال تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد وأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ الحاقة ما الحاقة * وما أدراك ما الحاقة * كذبت ثمود وعاد بالقارعة * فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية * وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية * وجاء فرعون ومن قبله والموء تفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾(٢) .

---

(١) سورة الفجر : آية (٦ — ١٤) .

(٢) سورة الحاقة : آية (١ — ١٠) .

وغير ذلك كثير سيأتي في موضعه ، وما من ملك يجور ويخرج عن طاعة الله — تعالى — وطاعة رسوله — صلى الله عليه وسلم — المبعوث من ربه رحمة للعالمين إلا أهلكه الله — تعالى — وأراه عجيب قدرته ، لأن الملوك والأمراء هم أصحاب السلطة وهم المقيمون شرع الله في أرضه بتحكيم كتابه وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — فإذا حادوا استحقوا عذاب الله — تعالى — ومقته .

وإذا ظهر الظلم وتفشى بين الجماعات المسلمة ولم يغير ولم ينكر كان ذلك سببا في نكسة المسلمين وتسلط الكافرين .

وسنبين — إن شاء الله تعالى — في الفصول والمباحث القادمة عواقب الظلم الوخيمة على الأفراد والمجتمعات وما قد حل بالماضين بسبب ظلمهم .

# الفصل الأول

## أثر الظلم على الأفراد

وفيه مباحث

المبحث الأول: ضياع النعمة .

المبحث الثاني: زوال الملك .

المبحث الثالث: ندم الظالم .

## الفصل الأول

## أثر الظلم على الأفراد

لا شك أن الظلم من أوخم الأمور المضرة بالأفراد فجميع الحسنات تدخل في العدل ، وجميع السيئات تدخل في الظلم ، والظلم سببه الإنسان ونفسه الأمارة بالسوء كما قال تعالى حكاية عن امرأة العزيز : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ .(١) فالانسان قد يوقع الظلم بنفسه أو يوقعه بالآخرين . وقد سبق بيان هذا في الفصل الأول والثاني من الباب الثاني ، وذكرنا ما يغني عن الإعادة ، وسنبين ما يتعلق منه في هذا الباب مما نرجو أن يجعل الله فيه عبرة لأمة الاسلام ليتجنبوا الظلم ومسبباته حتى ينجو الجميع حكاماً ومحكومين ، بعد أن يروا من خلال ما سنذكر أنه لا نجاة لأحد من عذاب الله — تعالى — إلا من تمسك بأمره — تعالى — واجتنب ما نهى عنه ، فلا رئاسة تنفع ولا مال ولا غير ذلك كما أخبر — تعالى — : ﴿ وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابية * ولم أدر ما حسابية * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنه كان لايؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم هاهنا حميم * ولا طعام إلامن غسلين * لاياكله إلا الخاطئون ﴾ .(٢)

قال ابن كثير : عند قوله تعالى : ﴿ إنه كان لايؤمن بالله العظيم *

---

(١) سورة يوسف : آية (٥٣) .

(٢) سورة الحاقة : آية (٢٥ — ٣٧) .

ولا يحض على طعام المسكين ﴾ :

( أى لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الاحسان والمعاونة على البر والتقوى . ) [1] اهـ

فالآيات التى ذكرنا والتى بين فيها المولى — عز وجل — العذاب العظيم : هو سبب ظلم العبد لنفسه لعدم انقياده لأوامر الله تعالى وعدم مواساته لإخوانه المسلمين بما قد جاد الله به عليه وإحسانه إليهم، هكذا جزاء الظلم وسوء عاقبته .

فإبليس الذى كان مقربا إلى الله — تعالى — مع ملائكته عندما عصى أمر ربه ورفض السجود لآدم أبعده الله — تعالى — ورأينا ما حل به من الطرد والبعد كما أخبر تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ [2] .

ثم يقص — تعالى — علينا ماكان من آدم — عليه السلام — وزوجه حواء ومخالفتهما لأمر ربهما وأكلهما من الشجرة التى نهيا عنها قال تعالى : ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٤١٦ .

(٢) سورة الأعراف : آية (١١ — ١٣) .

ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين )* (١) .

معصية واحدة حصلت من أبي البشر آدم — عليه السلام — وزوجه أخرجا من الجنة بسببها ، فكيف بالمعاصي الكثيرة المتعددة ، التي تحصل من البشر ؟ ألم يكن فيما حصل لآدم وزوجه عبرة لبنيه من بعده ، وأن يعلموا أن الله للظالمين بالمرصاد ؟ إن في هذا لعبرة لأولي الالباب .

في هذا الفصل سأتكلم عن أهم آثار الظلم على الأفراد في المباحث التالية :

---

(١) سورة الأعراف : آية (١٩ — ٢٤)

# المبحث الأول

## ضياع الدعوة

## المبحث الأول

## ضياع النعمة

قال الله تعالى :

* ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * (١)

إن الغرور بالنفس أو المال أو السلطان والكبرياء لظلم عظيم حيث الترفع على الناس بأحد هذه الأشياء أو بعضها وما علم ذلك المغرور أن العزة والكبرياء والعظمة لله وحده دون سواه ، فهو سبحانه يضرب لنا مثلا فيقول تعالى :

* واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا * لكنّا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا * فعسى ربّى أن يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا * أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا * وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول

---

(١) سورة الكهف : آية (٣٥) .

ياليتنى لم أشرك بربى أحدا * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا * هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا * (١)

إن هذه الآيات البينات لتظهر واضحة فى معناها فى كفر من قد أنعم الله عليه، وجحوده لما قد رزق فى هذه الحياة الدنيا من جنات، وهذه الآيات تحكى قصة ضربها الله - تعالى - مثلا لقريش وقد ذكرها بمعناها الامام ابن جرير حيث قال :

( يقول - تعالى ذكره - لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه مثل رجلين جعلنا لأحدهما بستانين من كروم وأطفنا هذين البستانين بنخل وجعلنا وسطهما زرعا وكلا البستانين أطعم ثمره وما فيه من الغروس، من النخل والكرم وصنوف الزرع ولم تنقص من الأكل شيئا بل آتت ذلك تاما كاملا، وسيل خلال هذين البستانين نهرا أى بينهما وبين أشجارهما حتى صار له من جنته أنواع من الثمار. فقال صاحب الجنتين للذى لا مال له بأنه صاحب مال وأعز عشيرة ورهطا.

فدخل صاحب الجنتين بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره بالبعث وشكه فى قيام الساعة ونسيانه المعاد الى الله - تعالى - فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه، حيث لما عاين جنته ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شك فى المعاد الى الله،

---

(١) سورة الكهف : آية (٣٢ - ٤٤).

ثم تمنّى أمنية أخرى على شك منه وهو إن رجع إلى الله وهو غير أنه راجع اليه ليجدن خيرا من جنته هذه ، لأنه لم يعطه هذه الجنة فى الدنيا إلا وعنده أفضل منها فى المعاد إن رد اليه ( هذه مقالته وزعمه ) وهذا كفور لنعم ربه مكذب بلقائه متمنّ على الله .

وقال لصاحب الجنتين صاحبه الذى هو أقل منه مالا وولدا وهو يخاطبه ويكلمه : أكفرت بالذى خلق أباك من تراب ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة ثم عدلك بشرا سويّا رجلا ، ذكرا لا أنثى ، أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقا جديدا بعد ما تصير رفاتا ، أما أنا فلا أكفر بربى ولكن أنا أقول : هو الله ربى * ولا أشرك بربى أحدا *. وهلّا إذا دخلت بستانك فأعجبك ما رأيت منه قلت : ماشاء الله كان ثم يقول المؤمن للكافر : لن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولدا أى لا مال ولا عشيرة مثلك .

وقد أخبر المولى – عز وجل – عن قيله – وإيقانه للمعاد إلى الله – للكافر المرتاب فى قيام الساعة إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فى الدنيا فعسى ربى أن يرزقنى خيرا من بستانك هذا وأن يرسل على بستانك هذا عذابا من السماء فتصبح جنتك أيها الرجل أرضا ملساء لا شىء فيها ، ويذهب ماؤها أى يغور فى الأرض .

فأحاط الهلاك والجوائح بثمره فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفاً وأسفاً على ذهاب نفقته ، ويتمنى أنه لم يكن كان أشرك بربه أحدا ، ولم تكن عشيرته يمنعونه من عقاب الله وعذاب الله إذا عاقبه وعذبه .

وقد عقب الله ذلك خبره عن ملكه وسلطانه وأن من أحل به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ ، فهو الحق فى ألوهيته ، لا الباطل فى ألوهيته ، التى يدعيها المشركون بالله آلهه ، فهو خير للمنيبين فى العاجل والآجل ثوابا ، وخيرهم عاقبة فى الآجل إذا صار إليه المطيع له العامل بما أمره الله والمنتهى عما نهاه الله عنه ).(١) ا هـ

---

(١) جامع البيان فى تأويل آى القرآن : ج ١٥ ص ٢٤٤ - ٢٥١ ، طبعة الحلبى الثالثة ١٣٨٨هـ .

وقال الله تعالى :

﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصريم * فتنادوا مصبحين * أن أغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين * فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين * وغدوا على حرد قادرين * فلمّا رأوها قالوا إنّا لضالّون * بل نحن محرومون * قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون * قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون * قالوا ياويلنا إنا كنّا طاغين * عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون * كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ (١) .

إننا عندما نتمعن هذه الآيات البيّنات لنرى عاقبة الظلم وأثره على الأفراد وذلك بما قد أصاب جنة أولئك النفر - بستانهم المشتمل على أنواع الخيرات - من الدمار وذهاب خيراتها حتى أصبحت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشئ منها . وهذا المثل الذى ضربه المولى - عز وجل - هو من أجل أن يعتبر كفار قريش ولا يقابلوا ما أنعم الله به عليهم بالرد وذلك ببعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - تلك الرحمة المسداة والذى أنقذ الله به قلوبا عميا وآذانا صمّاً من الجهل والضلال

---

(١) سورة القلم : آية (١٧ - ٢٣) .

وعبادة الأصنام الى عبادة رب العباد .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير قصة أولئك النفر حيث يقول :

( هذا مثل ضربه الله - تعالى - لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة فاختبرهم الله كما اختبر أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه إذ حلفوا فيما بينهم ليجزنّ ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ولا يستثنون فيما حلفوا به ولهذا حنّثهم الله فى أيمانهم حيث أصابتها آفة سماوية وهم نائمون فأصبحت كالليل الأسود ، فحرموا خير جنّتهم بذنبهم ، فلما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذ وهم يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحدًا كلامهم ، وأن لا يُمكّنوا مسكينا ذلك اليوم يدخلها ، فغدوا إليها مسرعين فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وجدوها قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار الى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق فتاهوا عنها ولكنهم تحققوا وتيقنوا أنها هى ، فندموا واعترفوا بظلمهم وأخذ يلوم بعضهم بعضا على ما أصرّوا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ ، حتى عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء ، وهذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات

وبدّل نعمة الله كفرا . هذه عقوبة الدنيا ، وعذاب الآخرة أشق .) اهـ (١)

يقول سيد قطب : فى تعقيبه بعد ذكر هذه القصة :

( وكذلك يسوق إلى قريش هذه التجربة من واقع البيئة ومما هو متداول بينهم من القصص ، فيربط بين سنته فى الغابرين وسنته فى الحاضرين ، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب الى واقع حياتهم ، وفى الوقت ذاته يشعر المؤمنين بأن ما يرونه على المشركين — من كبراء قريش — من آثار النعمة والثروة إنما هو ابتلاء من الله له عواقبه ، وله نتائجه ، وسنته أن يبتلى بالنعمة ، كما يبتلى بالبأساء سواء ، فأما المتبطرون المانعون للخير المخدوعون بما هم فيه من نعيم ، فذلك كان مثلا لعاقبتهم ﴿ ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾ . وأما المتقون الحذرون فلهم عند ربهم جنات النعيم ) . (٢)

فالله — سبحانه وتعالى — يخبر عن الانسان ، وما جبل عليه فيقول تعالى : ﴿ إن الانسان خلق هلوعا * إذا مسّه الشر جزوعا * وإذا مسّه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ . (٣) فالمال مال الله وهو الذى رزقه الانسان وتفضل به عليه . قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ . (٤)

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ .
(٢) فى ظلال القرآن : ج ٦ ص ٣٦٦٦ .
(٣) سورة المعارج : آية (١٩ — ٢٥) .
(٤) سورة الذاريات : آية (٥٦ — ٥٨) .

فكيف يبخل العبد بذلك الرزق عن إخوانه المعوزين ؟! الله — سبحانه — قادر على أن يجعل عباده أغنياء ولكن هذا لحكمة إلهية ليرى — تعالى — الطائع فيجازيه بالجزاء الحسن ، ويرى العاصى الجاحد البخيل فيعاقبه فى الدنيا ، ويجزيه بالعذاب فى الآخرة على ظلمه ونكرانه لما قد أسدى عليه من النعم . قال تعالى : ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسره للعسرى ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسألكم أموالكم * إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم * هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله

---

(١) سورة الليل : آية (٨) .

(٢) سورة آل عمران : آية (١٨٠) .

(٣) سورة التوبة : آية (٧٥ — ٧٦) .

(٤) سورة محمد : آية (٣٦ — ٣٨) .

هو الغني الحميد ﴾ (١) .

هذه الآيات الخمس فيها تذكرة لأصحاب الأموال الذين أعطاهم الله من فضله ، بأن ينفقوا منها في سبيل الله وأن لا يجمعوا الأموال ويمنعوا أصحاب الحقوق حقوقهم فيطوقون ما بخلوا به ، وفيه تقويم لمن قد أمسك الشيطان على أيديهم أن ينقذوا أنفسهم بالبذل في الوجوه المستحقة ، وأن يحذروا مما قد أصاب من قد بخل بمال الله وقصّ علينا خبرهم ، فالله يملي للظالم ، واذا أخذه ، أخذه أخذ عزيز مقتدر .

---

(١) سورة الحديد : آية (٢٤) .

# المبحث الثانى

## زوال الملك

## المبحث الثاني

## زوال الملك

إن أي أمر فى الدنيا لم يكن بناؤه على أساس قويم من تقوى الله ــ تعالى ــ والإلتزام بدينه وتوحيده وعدم الكفر به تكون عاقبته ومآله إلى الزوال والدمار مهما بلغ شأنه وعلا سلطانه ، وهذا يظهر لنا فى قصّة بلقيس ملكة سبأ وما كانت فيه من ملك عظيم ومكانة وسلطان وقوة وعزة ولكنها كانت تعبد غير الله ــ تعالى ــ هى وقومها فبسبب هذه الكبيرة والتى هى الشرك بالله ــ تعالى ــ وعبادة غيره وهى عبادتهم للشمس من دون الله ــ تعالى ــ زال الملك ، والله تعالى يقص علينا ذلك فى كتابه العزيز حيث يقول تعالى حكاية عن سليمان ــ عليه السلام ــ : « وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بمالم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * إذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملأ إنى ألقي كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين * قالت يا أيها

الملأ افتونى فى أمرى ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون * قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ... ... إلى قوله تعالى : قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾[١] .

ان هذه الآيات فيها البيان الوافى حيث قص علينا المولى — عز وجل — قصة هذه المرأة وما هى فيه من العزة والسلطان والملك العظيم والجنود والحرس ، ولكن بسبب الكفر بالله — تعالى — وعبادة غيره — جل وعلا — رأينا ماحل بها من زوال ملكها .

قال ابن جرير عند قوله تعالى : ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ يقول :

( وجدت هذه المرأة ملكة سبأ وقومها من سبأ ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله . وقوله : ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ يقول : وحسّن لهم إبليس عبادتهم الشمس ، وسجودهم لها من دون الله ، وحبّب ذلك إليهم ﴿ فصدّهم عن السبيل ﴾ يقول : فمنعهم بتزيينه ذلك لهم ألا يتبعوا الطريق المستقيم وهو دين الله الذى بعث به أنبياءه ، ومعناه : فصدهم عن سبيل الحق ﴿ فهم لا يهتدون ﴾ يقول : فهم لما قد زيّن لهم الشيطان ما زيّن من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون السبيل الحق ولا يسلكونه ، ولكنهم فى ضلالهم الذى هم فيه يترددون ﴾ .[٢] اهـ

---

(١) سورة النمل : آية (٢٠ — ٤٤) .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ج ١٩ ص ١٤٩

إن المعاصى مهما كانت فهي ظلم ، إذا وقع فيها العبد فلابد أن تظهر آثارها عليه وقد ظهر لنا مما ذكرناه آثار الظلم وعواقبه فليكن فى ذلك عبرة لأولى الألباب . قال الله تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٨٢) .

# المبحث الثالث

## ذم الظالم

## المبحث الثالث

## ندم الظالم

قال الله تعالى :

( ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ) (١) .

قال محمد أمين الشنقيطى — رحمه الله تعالى — :

( من المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذى نزلت فيه هذه الآية هو عقبة بن أبى معيط ، وأن فلانا الذى أضله عن الذكر أمية بن خلف ، أو أخوه أبيّ بن خلف ، وذكر بعضهم أن فى قراءة بعض الصحابة ليتنى لم اتخذ أبيّا خليلا ، وهو على تقدير ثبوته من قبيل التفسير ، لا القراءة ، وعلى كل حال فالعبرة بعموم الألفاظ ، لا بخصوص الأسباب ، فكل ظالم أطاع خليله فى الكفر حتى مات على ذلك يجرى له مثل ما جرى لابن معيط . وما ذكره — جل وعلا — فى هذه الآيات الكريمة جاء موضحا فى غيرها فقوله : ( ويوم يعض الظالم على يديه ) كناية عن شدة الندم والحسرة لأن النادم ندما شديدا يعض على يديه ، وندم الكافر يوم القيامة وحسرته الذى دلت عليه هذه الآية ، جاء موضحا فى آيات أخر ، كقوله — تعالى — فى سورة يونس : ( وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ) (٢) ، وقوله تعالى : ( وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا ) (٣) . الآية ،

---

(١) سورة الفرقان : آية (٢٧)

(٢) سورة يونس : آية (٥٤) .

(٣) سورة سبأ : آية (٣٣) .

وقوله تعالى : ﴿ قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ (١) الآية ، والحسرة : أشد الندامة . وقوله : ﴿ كذلك يريهم أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار ﴾ . (٢) الى غير ذلك من الآيات ، وما ذكره هنا من أن الكافر يتمنى أن يكون آمن بالرسول فى الدنيا ، واتخذ معه سبيلا : أى طريقا إلى الجنة . فى قوله هنا ﴿ يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾ جاء موضحا فى آيات أخرى كقوله تعالى : ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ يقول يا ليتنى قدمت لحياتى ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين ﴾ (٥) ، الى غير ذلك من الآيات ) . (٦) اهـ

ماذكره المولى — عز وجل — عن سوء حال الظالمين والصفة التى يكونون عليها من عضّهم على أيديهم لما قد فات عليهم من أعراضهم عن الإيمان بربهم وما قد جاءت به رسلهم وطرحهم ذلك وراءهم ظهريا ، وهذا عندما رأوا العذاب ، ورأوا أنه لا محيد لهم عن ذلك ، بل رأوا مقرهم ورأوا مقر عباد الله المؤمنين الذين التزموا بطاعته واجتنبوا نواهيه ، فهم فى ذلك الموقف يتمنون أنهم سلكوا الطريق الذى أمرهم به رسلهم وهو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

---

(١) سورة الانعام : آية (٣١) .
(٢) سورة البقرة : آية (١٦٧) .
(٣) سورة الأحزاب : آية (٦٦) .
(٤) سورة الفجر : آية (٢٤) .
(٥) سورة الحجر : آية (٢) .
(٦) أضواء البيان ج ٦ ص ٣١٣ — ٣١٤ طبعة الأمير أحمد بن عبد العزيز .

# الفصل الثاني

## أثر الظلم على المجتمع .

وفيه مباحث .

المبحث الأول : أثر الظلم في عموم العقوبة

المبحث الثاني : جور الرعاة وأثره في

فساد الرعية .

المبحث الثالث : أثر الظلم في نكسة

المسلمين وتسلط الكافرين

## الفصل الثاني

## أثر الظلم على المجتمع

إن الظلم لم يقع في أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات ، إلا فرق الله بذلك الشمل ، وسحق وأباد أولئك الظلمة ، وطهّر الأرض منهم ، وكانت السلامة والعز والكرامة لعباده المؤمنين .

**وما حصل** للأمم السالفة من هلاك هو بسبب ظلمهم سواء بشركهم بالله تعالى او تماديهم واعتدائهم على حدود الله _ تعالى _ وكفرهم بنعمته او حقوق خلقه .

**وما يحصل** الآن في عالمنا الحاضر من حروب طاحنة وتدمير للمدن والقرى ، والزروع وهلاك الأنفس من الشيب والشباب والأطفال والنساء هو بسبب ما اقترفوا من معاصي الله _ تعالى _ ، وما تجاوزوا به الحدود التي شرعها الله لهم ، وما ضيّعوا من كتاب الله _ تعالى _ وسنة رسوله _ صلى الله عليه وسلم _ لأن الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فإذا ضيّع الناس ما فرض الله عليهم من توحيده وشرائع دينه ، أو شيئا منها فقد استحقوا عقاب الله ومقته لأنهم تركوا أمره وارتكبوا نهيه .

**وما يحصل** الآن في هذا العالم خاصة ممن يدعون الاسلام من سومهم سوء العذاب سواء من بعضهم البعض أو من أعدائهم _ أعداء الشريعة من الكفرة _ هو بسبب الظلم الذى وقعوا فيه فعطّلوا كتاب الله _ تعالى _ وسنة رسوله _ صلى الله عليه وسلم _ وجعلوا ذلك وراء هم ظهريا ، واتباعهم سنن أعداء الاسلام حذو القذة بالقذة كما أخبر الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ عن ذلك .

عن أبي سعيد _ رضى الله عنه _ أن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ قال : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراع

حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه . قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟
قال : فمن ؟ " .(١)

والمولى — عز وجل — يبين لنا في كتابه الكريم عواقب الذنوب التى ارتكبتها الأمم السالفة . فيقول تعالى : ( فكلاً اخذنا بذنبه فمنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وماكان الله ليظلمهم ولكن انفسهم يظلمون )(٢)
بين الله تعالى — في هذه الاية الكريمة عقوبة كل صنف من الظلمة بما يناسبه فقال تعالى ( فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ) وهم عاد بدليل قوله تعالى ( وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ) . وقوله : ( وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ) . ونحو ذلك من الايات . وذلك انهم قالوا من اشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرودة عاتية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حصباء الارض فتلقيها من الارض فترفع الرجل منهم من الارض الى عنان السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فيبقى بدنا بلا رأس ( كأنهم اعجاز نخل منقعر ) . ( ومنهم من أخذته الصيحة ) . يعني ثمود بدليل قوله تعالى ( وأخذ الذين الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ) . قامت عليهم الحجة وظهرت عليهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ماسألوا سواء بسواء ومع هذا ماآمنوا بل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الانبياء حديث ٣٤٥٦ ، وكتاب الاعتصام ١٤ ، ومسلم في صحيحه كتاب العلم ٦ وابن ماجه كتاب الفتن ١٧ ، واحمد في المسند ٢/٣٢٧ ، ٤٥٠ ، ٥١١

(٢) سورة العنكبوت : آيـــــة (٤٠) .

استمروا على طغيانهم وكفرهم ، وتهددوا نبي الله صالحا ومن آمن معه وتوعدوهم بأن يخرجوهم فجائتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات .

﴿ ومنهم من خسفنا به الأرض ﴾ يعنى قارون بدليل قوله تعالى فيه : ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ الآية . وهو الذى طغى وعتا وعصى الرب الأعلى ومشى فى الأرض مرحا وتاه بنفسه واعتقد أنه أفضل من غيره واختال فى مشيته فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة .

﴿ ومنهم من أغرقنا ﴾ يعنى فرعون وهامان بدليل قوله تعالى : ﴿ ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أغرقوا فى صبيحة واحدة فلم ينج منهم مخبر .

﴿ وما كان الله ليظلمهم ﴾ أى : فيما فعل بهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ أى : إنما فعل ذلك بهم جزاء وفاقا بما كسبت أيديهم ) . (١)

---

(١) بتصرف من "تفسير ابن كثير وأضواء البيان " تحت آية العنكبوت ٤٠ .

# المبحث الأول

## أثر الظلم في عموم العقوبة

(١)

## " عـقاب الظلمة فى الدنيا "

**قال الله تعالى :**

﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ﴾ (١) .

يقول السعدى :

( يخبر تعالى أنه أهلك الأمم الماضية ، بظلمهم وكفرهم ، بعد ما جاءتهم البينات ، على أيدى الرسل ، وتبين الحق ، فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا ، فأحل بهم عقابه الذى لا يرد عن كل مجرم ، مجترىء على محارم الله . وهذه سنته فى جميع الأمم ) (٢) .

هذه عقوبة دنيوية قد حلّت بالأمم السالفة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم فالجزاء لهم من جنس عملهم فأهلكوا وأبيدوا على ماكان منهم من الاعراض وعدم الاستجابة لداعى الله تعالى .

**وقال تعالى :** ﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ (٣) .

وتبديلهم القول هو بدل حطة حبة فى حنطة استهانة بأمر الله واستهزاء فأنزل عليهم عذابا بسبب فسقهم وبغيهم .

**وقال تعالى :** ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * فقطع دابر

---

(١) سورة يونس : آية (١٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنّان : ج ٣ ص ٣٣٣ .

(٣) سورة البقرة : اية (٥٩) .

القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (١) . مبلسون : ايسون من كل خير .

وقال تعالى : ﴿ وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ (٢) . والعذاب البئيس : الشديد . والمراد بهم فى هذه الآية الذين اعتدوا من بنى اسرائيل فى السبت .

وقال تعالى : ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ (٣) يعنى : خامدين لاحراك لهم .

وقال تعالى : ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا ﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿ ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الأنعام : آية (٤٤ — ٤٥) .

(٢) سورة الاعراف : آية (١٦٥) .

(٣) سورة هود : آية (٦٧) .

(٤) سورة هود : اية (٩٤) .

(٥) سورة الكهف : اية (٥٩) .

(٦) سورة المؤمنين : اية (٢٧) .

(٧) سورة النمل : اية (٥٢) .

(٨) سورة النساء : اية (١٥٣) .

وقال تعالى : ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴾ (٢) .

فكم من قرية أهلكها الله — تعالى — بسبب كفرها وتكذيبها لرسل الله فاصبح أهلها أثرا بعد عين ، وديارهم قد تساقطت قصورها ، ومواردهم من الآبار التى كان يزدحم عليها الناس أصبحت خالية من الناس ، وكذا القصور المشيدة والتى قد تعب عليها أهلها وزخرفت وزينت أصبحت خالية من أهلها الذين أهلكهم الله بسبب ظلمهم .

وقال تعالى : ﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها والىّ المصير ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنبياء : آية (١١) .

(٢) سورة الحج : آية (٤٥) .

(٣) سورة الحج : آية (٤٨) .

(٤) سورة الانعام : آية (٤٧) .

(٥) سورة النحل : آية (١١٢ — ١١٣) .

قال السعدى :

( وهذه القرية هى : مكة المشرفة ، التى كانت آمنة مطمئنة ، لا يهاج فيها أحد ، وتحترمها الجاهلية الجهلاء حتى أن أحدهم يجد فيها قاتل أبيه وأخيه ، فلا يهيجه مع شدة الحميّة والنعرة العربية فحصل له فى مكة ، من الأمن التام مالم يحصل فى سواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر ولكن يسر الله لها الرزق يأتيها من كل مكان ، فجاءهم رسول منهم ، يعرفون أمانته وصدقه ، يدعوهم إلى أكمل الأمور وينهاهم عن الأمور السيئة ، فكذبوه ، وكفروا بنعمة الله عليهم ، فأذاقهم الله ضد ماكانوا فيه ، وألبسهم لباس الجوع، الذى هو ضد الرغد ، والخوف الذى هو ضد الأمن ، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم وعدم شكرهم ﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿ وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾ (٣).

الطوفان : الماء الذى نزل من السماء ونبع من الأرض .

وقال تعالى : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴾ (٤).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان : ج ٤ ص ٢٤٨ .

(٢) سورة القصص : آية (٥٩) .

(٣) سورة العنكبوت : آية (١٤) .

(٤) سورة الأعراف : آية (٤ — ٥) .

وقال تعالى : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين ﴾ (٢) .

قال المفسرون :

( قيل إنهم عاد قوم هود . وقيل المراد بهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة لقاء تكذيبهم لرسولهم وعدم إيمانهم بالله — تعالى — .

وقال تعالى : ﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين * واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليمّ فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ﴾ (٥) .

بعد أن استعرضنا بعض الآيات التى بين لنا فيها المولى — عز وجل — ماحل بالظلمة من هلاك ودمار فى الدنيا بسبب ظلمهم ، سنستعرض بعض الآيات التى ذكرها الله — تعالى — فى عذابهم فى الآخرة .

---

(١) سورة الانفال : آية (٥٤) . (٢) سورة المؤمنين : آية (٤١) .

(٣) سورة العنكبوت : آية (٣٩ — ٤٠) .

(٤) سورة القصص : آية (٣٨ — ٤٠) .

(٥) سورة العنكبوت : آية (٣١) .

(٢)

## " عقاب الظلمة في الآخرة "

**قال الله تعالى :**

﴿ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون * تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون * ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون ﴾ .(١)

قال سيد قطب :

( ومشهد لفح النار للوجوه حتى تكلح ، وتشوّه هيئتها ، ويكدر لونها . . مشهد مؤذ أليم . وهؤلاء الذين خفت موازينهم خسروا كل شيء . فقد خسروا أنفسهم . وحين يخسر الانسان نفسه فماذا يملك إذن ؟ وما الذي يتبقى له . وقد خسر نفسه التي بين جنبيه ، وخسر ذاته التي تميزه ، فكأنما لم يكن له وجود . وهنا يعدل عن أسلوب الحكاية إلى أسلوب الخطاب والمواجهة ، فاذا العذاب الحسّي – على فظاعته – أهون من التأنيب والخزي الذي يصاحبه . وكأنما نحن نراه اللحظة ونشهده في حوار ممض طويل ﴿ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ! ﴾ ، وكأنما يخيّل إليهم – وقد سمعوا هذا السؤال – أنهم مأذونون في الكلام ، مسموح لهم بالرجاء . وأن الاعتراف بالذنب قد يجري في قبول الرجاء : ﴿ قالوا ربنا غلبت

---

(١) سورة المؤمنين : آية (١٠٢ – ١٠٧) .

علينا شقوتنا وكنّا قوما ضالين * ربّنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ﴾ . وهو اعتراف تتجلى فيه المرارة والشقوة . . . ولكن كأنما هم قد تجاوزوا حدّهم وأساءوا أدبهم ، فلم يكن مأذونا لهم في غير الاجابة على قدر السؤال . بل لعله كان سؤالا للتبكيت لا يطلب عليه منهم جواب . فهم يزجرون زجرا عنيفا قاسيا ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ . )[1] اهـ

. الله - عز وجل - يبيّن حال الفريقين من عباده ومآل كل فريق ، فالذين امتثلوا لأمره واجتنبوا نهيه وعملوا صالحا لهم الفلاح والنجاح في الآخرة وذلك بادخالهم الجنة التي فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

**والفريق الثاني** الذين كذبوا رسل الله ولم يؤمنوا بربهم وبما جاءت به رسلهم حتى انتقلوا من هذه الحياة الدنيا وهم على ظلمهم خرجوا بلا عمل صالح فأصبحت موازينهم قد خفت من عدم وجود الأعمال الصالحة فأصبح مصيرهم نار جهنم لا يخفف عنهم وهم فيها خالدون ، ولا يسمع لهم قول ولا يجابون إلا ﴿ اخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ .

**وقال تعالى** : ﴿ قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ﴾[2] .

**وقال تعالى** : ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا يهديهم طريقا * إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾[3] .

---

(١) في ظلال القرآن : ج ٤ ص ٢٤٨١ .

(٢) سورة الكهف : آية (٨٧) .

(٣) سورة النساء : آية (١٦٨ - ١٦٩) .

وقال تعالى : ﴿ ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسؤلون ﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿ ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون * وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزءون * فاذا مسّ الانسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون * قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فأصابهم سيئات ما كسبوا

---

(١) سورة يونس : آية (٥٢) .

(٢) سورة النحل : آية (٨٥) .

(٣) سورة الشعراء : آية (٢٢٧) .

(٤) سورة سبأ : آية (٤٢) .

(٥) سورة الصافات : آية (٢٢-٢٤) .

والذين ظلموا من هوء لاء سيصيبهم سيئات ما كسبو وماهم بمعجزين ﴾ (١) •

وقال تعالى : ﴿ فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فـلا يستعجلون ﴾ (٢) • ذنوبا : أى نصيبا • وأصحابهم : أى من الظلمة •

وقال تعالى : ﴿ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ (٣) •

ومن يرد فيه : أى فى المسجد الحرام •

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ﴿ ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ (٤) •

وقال تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا موء منين ﴾ (٥) •

وقال تعالى : ﴿ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ﴾ (٦) •

وقال تعالى : ﴿ ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ﴾ (٧) •

---

(١) سورة الزمر : آية (٤٧ ـ ٥١) •

(٢) سورة الزخرف : آية (٦٥) •

(٣) سورة الذاريات: آية (٥٩) •

(٤) سورة الحج : آية (٢٥) •

(٥) سورة النساء : آية (٣٠) •

(٦) سورة سبأ : آية (٣١) •

(٧) سورة آل عمران : آية (١٥١) •

وقال تعالى : ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزى المجرمين * لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمّن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما اشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (٦) .

---

(١) سورة طه : آية (١١١) .

(٢) سورة المائدة : آية (٧٢) .

(٣) سورة الأعراف : آية (٤٠ ـ ٤١) .

(٤) سورة الأعراف : آية (٤٤) .

(٥) سورة التوبة : آية (١٠٩) .

(٦) سورة ابراهيم : آية (٢٢) .

وقال تعالى : ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انّا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ (٤) . الآزفة : يوم القيامة . وكاظمين : لايتكلمون الا من أذن له الرحمن .

وقال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ (٥)

وقال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (٦)

أى : لولا الأجل أى الانظار إلى يوم المعاد لقضي بينهم فى الوقت الحاضر ولكن جزاءهم على ظلمهم يوم القيامة موجع وشديد فى جهنم وبئس المصير .

وقال تعالى : ﴿ ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الكهف : آية (٢٩) .
(٢) سورة مريم : آية (٧٢) .
(٣) سورة الأنبياء : آية (٢٩) .
(٤) سورة غافر : آية (١٨) .
(٥) سورة غافر : آية (٥٢) .
(٦) سورة الشورى : آية (٢١) .
(٧) سورة الشورى : آية (٢٢) .

أى : يرون أنفسهم بالكفر والمعاصى خائفين أن يعاقبوا على ذلك .

وقال تعالى : ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ (٢) .

هذا بيان للناس يذكره رب العزة لعباده تحذيرا لهم من الظلم وعواقبه ومآل الظالمين الذين خسروا أنفسهم فى الدنيا والآخرة . ﴿ هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴾ (٣) .

فبيّن — تعالى — كيف حلّت العقوبة الدنيوية بالذين ارتكبوا محارمه وخالفوا أمره وآذوا رسله وطغوا وبغوا وتكبروا وتجبروا وكيف يكون عذابهم فى الآخرة ، وفى الآيات التى ذكرنا ما يجعل للعباد عبرة بمن سلف وما حلّ بهم من عقاب الله — تعالى — وما سيحل بهم بعد الموت من العذاب الشديد الموجع فى جهنم وبئس المصير .

وسنبين — ان شاء الله تعالى — فى المباحث القادمة أمثلة فى عقاب الأمم السالفة الظالمة وكيفية اهلاكها وأسبابه .

---

(١) سورة الشورى : آية (٤٤) .

(٢) سورة الشورى : آية (٤٥) .

(٣) سورة الأنعام : آية (٤٧) .

(٣)

## نماذج من هلاك الأمم بظلمهم

إن من عدل الله - عز وجل - أنه لم يترك أمة من الأمم إلا وبعث فيها نذيرا منهم يبين لهم ما فيه صلاحهم وفلاحهم فى دنياهم وآخرتهم فقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) . ولئلا يكون هناك حجة للناس فقد أرسل الله الرسل فقال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (٢) . فهؤلاء الرسل إنما أرسلهم الله - تعالى لبيان الحق من الباطل والرشد من الغي ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٣) . فمن زاغ عن هدى الله الذى أرسل به رسله فقد باء بغضب الله واستحق عذابه .

قال تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين ﴾ (٤) .

والله - تعالى - يقص علينا فى محكم التنزيل ما جرى للأولين من الهلاك والدمار لقاء ظلمهم وكفرهم بالله تعالى .

---

(١) سورة النحل : آية (٦) .

(٢) سورة النساء : آية (١٦٥) .

(٣) سورة البقرة : آية (٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٤) سورة الصف : آية (٥) .

## آ — قوم نوح — عليه السلام —

قال تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين * أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم * فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين ﴾ (١) .

لقد أرسل الله — تعالى — نوحا — عليه السلام — إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله — تعالى — وأن لا يعبدوا غيره ويخوفهم عذاب الله الشديد الموجع ، ولكن قومه عصوه وخالفوه فيما يدعوهم إليه وكذبوه ، واعتبروا فى نظرهم أن من اتبعه وآمن به أنهم من أسافل الناس مع أن ما تصوروه بضد ذلك ، ولكنه — عليه السلام — لم يزل فى دعوتهم والصبر على أذاهم وهم فى غيّهم يعمهون ، ولأشرافهم أصحاب الدنيا ذووا الأموال والأولاد يتبعون ، ولا لكلمة الحق يسمعون .

قال تعالى : ﴿ قال نوح رب إنهم عصونى واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا * ومكروا مكرا كبّارا * وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ (٢) .

عاندوا وكابروا واتبعوا الملأ من الأشراف الذين آثروا المال

---

(١) سورة هود : آية (٢٥ - ٢٧) .

(٢) سورة نوح : آية (٢١ - ٢٣) .

والولد ولم يزدهم ذلك إلا هلاكاً ، ورغم دعوة استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما ليلا ونهارا وسرّا وجهارا ، فكانت الخاتمة أن أهلكهم الله بالطوفان كما سيأتى .

...

**قال الله تعالى :**

﴿ ولقد أوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴿ ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ سخروا منه قال إن تسخروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون ﴿ فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم ﴿ وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴿ قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴿ وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء اقلعى وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ﴾ (١) .

---

(١) سورة هود : آية (٣٦ - ٤٤) .

لمّا حقّ القول على قوم نوح — عليه السلام — وأظلهم أمر الله أوحى الله إليه بأنه لن يوحد الله ويتبعك على ما تدعو إليه إلا من قد آمن ، فطمأن — تعالى — نبيه بأنه مهلك الكفرة منهم ومنقذ نبيه ومن اتبعه ، وهذا بعد مادعا عليهم بالهلاك كما ذكر — تعالى — ذلك عنه ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ (١) . وبعد دعوة استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما كما أخبر — تعالى — عن ذلك فقال : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ﴾ (٢) .

وبعد أن لاقى منهم أشد الإيذاء كما أخبر تعالى : ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ﴾ ﴿ فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ (٣) .

أمره — تعالى — أن يصنع سفينة بوحي منه — تعالى — ، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، ويقولون له : أتحولت نجارا بعد النبوة وتعمل السفينة فى البر ، فيرد عليهم — عليه السلام — إن تهزءوا منّا اليوم فإنّا نهزأ منكم فى الآخرة كما تهزؤن منّا فى الدنيا وسوف تعلمون إذا عاينتم عذاب الله ، من الذى كان إلى نفسه مسيئا منّا .

وقد وعد الله نبيه نوحا بأنه إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة التى لا تقلع ولا تفتر وفار التنّور وهو الذى يخبز فيه بأن يحمل معه فى

---

(١) سورة نوح : آية (٢٦ - ٢٧) .

(٢) سورة العنكبوت : آية (١٤) .

(٣) سورة القمر : آية (٩ - ١٠)

السفينة من كل زوجين اثنين من صنوف المخلوقات وأهل بيته وقرابته إلا من سبق عليه القول ممن لا يؤمن بالله فكان منهم ابنه (١) الذى انعزل وحده ، وامرأة نوح وكانت كافرة بالله ورسوله . وأمر الله رسوله نوحا - عليه السلام - بأن لا يخاطبه فى أحد عند معاينة العذاب وأن لا تأخذه رأفة بقومه وشفقة عليهم وطمعا فى تأخيرهم لعلهم يؤمنون فانه - سبحانه - قد قضى أنهم مغرقون على ماهم عليه من الكفر والطغيان .

**واختلف فى عدد من ركب السفينة :**

قال ابن جرير :

( والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلا ، ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحيح ، فلا ينبغى أن يتجاوز فى ذلك حد الله ، اذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حدّ من كتاب الله ، أو أثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ) (٢) .

ثم قال نوح - عليه السلام - لمن أمر بحملهم فى السفينة :

﴿ اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ﴾ أى : بسم الله يكون جريها على وجه الماء ، وبسم الله يكون سيرها ورسوها ، فأخذ الماء يعلو الأرض ويرتفع والسفينة سائرة بهم على وجه الماء الذى طبق جميع الأرض حتى طفت على رؤوس الجبال وهى سائرة باذن الله وتحت

---

(١) هذا هو الابن الرابع واسمه يام وكان كافرا دعاه أبوه أن يؤمن ويركب معهم فرفض . "تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٤٤٦" .

(٢) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ج ١٢ ص ٤٣ طبعة الحلبى مصر ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

كنفه وعنايته وحراسته وامتنانه ، وقد نادى ابنه أن يركب معهم في السفينة ولكن اعتقد بجهله أن الطوفان لا يبلغ إلى رؤوس الجبال حيث قال : ﴿ سآوى الى جبل يعصمنى من الماء ﴾ فقال له أبوه - عليه السلام - : ﴿ لاعاصم اليوم من أمر الله الا من رحم ﴾ ، فلحق به الماء فأغرقه ولحق بالظلمة من جنسه الذين خرجوا على نبيهم وكفروا بربهم حتى أراهم الله - تعالى - العذاب وأبعدهم من رحمته فهلكوا عن آخرهم فلم يبق لهم بقية وباؤا بالهلاك والخسران أعاذنا الله من ذلك .

وبعد ذلك أمر الله السماء أن تقلع عن المطر والأرض أن تبلع الماء ، ثم رست السفينة ونزل نوح ومن معه بعد أن طهرت الأرض من الكفرة .) (١)

قال ابن كثير :

( أقرب - والله أعلم - ماورد من أقوال في عمر نوح - عليه السلام - هو ماذكره ابن عباس قال : "بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا " ) . (٢)

الله - سبحانه وتعالى - عندما يوجد أسباب الرزق لعباده ويبيّن الحق من الضلال بواسطة إرسال رسل من هؤلاء الأقوام من بني جلدتهم وينطقون بلسانهم هو من أجل أن لا يكون هناك ظلم في

---

(١) تفسير هذه الآيات بشكل اجمالي كان بتصرف من تفسير ابن جرير وابن كثير .

(٢) تفسير القرآن العظيم : "سورة العنكبوت" : آية (١٤) ج ٣ ص ٤٠٧ .

هذه الحياة الدنيا : وأن يسود الاخاء بين الأفراد وأن يعبد سبحانه حق عبادته ولكن إذا ظهر من العباد ما يناقض هذا فإن الله - سبحانه - للظالمين بالمرصاد فهو يوقع عذابه المتنوع بهم ، وينصر رسله والذين آمنوا معهم من اعتداءاتهم ويطهر الأرض منهم ويجعل العزة له - سبحانه - ولرسوله وللمؤمنين ويذل أعداءه بل يهلكهم ويعد لهم العذاب الشديد الموجع ، فهذا جزاء الظلمة الذين دعاهم رسولهم ألف سنة إلا خمسين عاما ليلا ونهارا وسرا وجهارا ولم يزدهم ذلك الا فرارا عن توحيد الله - تعالى - وإعراضهم وتكذيبهم ، حتى أهلكهم الله - تعالى - ﴿ جزاء وفاقا ﴾ (١) .

قال تعالى حكاية عن نوح - عليه السلام - : ﴿ قال ياقوم انى لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمّى إن أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكبارا * ثم إني دعوتهم جهارا * ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا ﴾ . (٢) الآيات .

---

(١) سورة النبأ : آية (٢٦) .

(٢) سورة نوح : آية (٢ - ٩) .

## ب — " فرعون وجنوده "

**قال الله تعالى :**

﴿ وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين ﴾ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ (١)

لقد تنكر فرعون وتعالى وتعاظم وحتى آل به الأمر إلى ادعاء الألوهية ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ وتبعه من تبعه . والآيات تبين أسباب هلاكهم والظلم الذى ارتكبوه .

وقال تعالى : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ (٢) .

يقول السعدى : فى معنى الآيات :

( ﴿ وقال فرعون ﴾ متجرئا على ربه ومموها على قومه ضعفاء العقول : ﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ أى : أنا وحدى ، إلٰهكم ومعبودكم . ولو كان ثم إله غيرى ، لعلمته .

فانظر الى هذا الورع التام من فرعون ، حيث لم يقل : " مالكم من إله غيرى " . وهذا لأنه عندهم العالم الفاضل الذى مهما قال ، فهو الحق ، ومهما أمر أطاعوه ، فلما قال هذه المقالة التى قد تحتمل

---

(١) سورة القصص : آية (٣٨ - ٤٠) .

(٢) سورة الأنفال : آية (٥٤) .

أن ثمّ إلها غيره ، أراد أن يحقق النفي الذى جعل فيه ذلك الاحتمال فقال لـ " هامان " : ﴿ فأوقد لى ياهامان على الطين ﴾ ليجعل له لبناً من فخار . ﴿ فاجعل لى صرحا ﴾ أى : بناء عاليا ﴿ لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين ﴾ . ولكن سنحقق هذا الظن ونريكم كذب موسى .

فانظر هذه الجراءة العظيمة ، على الله ، التى ما بلغها آدمى ، كذب موسى ، وادعى أنه الله ، ونفى أن يكون له علم بالاله الحق ، وفعل الأسباب ، ليتوصل إلى إله موسى ، وكل هذا ترويج . ولكن العجب من هؤلاء الملأ ، الذين يزعمون أنهم كبار المملكة المدبرون لشئونها ، كيف لعب هذا الرجل بعقولهم ، واستخف أحلامهم ، وهذا لفسقهم الذى صار صفة راسخة فيهم .

قال تعالى : ﴿ واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ﴾ استكبروا على عباد الله ، وساموهم سوء العذاب ، واستكبروا على رسل الله ، وما جاءوهم به من الآيات ، فكذبوها ، وزعموا أن ماهم عليه أعلى منها وأفضل .

﴿ وظنّوا أنهم إلينا لا يرجعون ﴾ فلذلك تجرءوا ، وإلا فلو علموا ، وظنّوا أنهم يرجعون الى الله ، لما كان منهم ماكان ، .

﴿ فأخذناه وجنوده ﴾ عندما استمر عنادهم وبغيهم ﴿ فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ كانت شر العواقب وأخسرها عاقبة ، أعقبتها العقوبة الدنيوية المستمرة المتصلة بالعقوبة الأخروية )[1] اهـ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنّان ج ٦ ص ٢٤ - ٢٦ .

ماكان الله ليعذب قوما وهم على نهج المنعم عليهم - صراط الله المستقيم - بل ذلك يحل بمن نهج طريق المغضوب عليهم والضالين .

قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (١) .

فالله يبيّن لنا ماكان من الظلمة من مخالفات استحقوا عليها عذابه - تعالى - فهو يفضحهم بفعلهم القبيح ويبين نوعية عذابهم في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة ليكون لغيرهم رادعا وزاجرا ، ففي الآيات الثلاث نرى ما فعل الله بفرعون وقومه عندما علا في الأرض وتعاظم وادعى لنفسه ما ادعى ، وظنّ وقومه أنهم مخلدون في دنياهم وأن ليس لهم ثمّة رجعة إلى الله وحساب وجزاء حتى أراهم إحاطة العذاب بهم وهو الغرق في البحر ثم أهلكهم وهم الآن في عذاب الله حتى يوم القيامة يدخلون أشد العذاب كما أخبر عنهم المولى - عز وجلّ - ﴿ النار يعرضون عليها غدوا وعشيّا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ (٢) .

وقال تعالى : اخبارا عن فرعون : ﴿ فكذّب وعصى * ثم أدبر يسعى * فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه الله نكال الآخرة والأولى * ان في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ مخبرا عن مآله يوم القيامة : ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود * وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ﴾ (٤) .

بئس الرفد المرفود : أي ما اجتمع لهم وترادف عليهم من عذاب الله ولعنة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الرعد : آية (١١) (٢) سورة غافر : آية (٤٦)

(٣) سورة النازعات : آية (٢١ - ٢٦) .

(٤) سورة هود : آية (٩٨ - ٩٩) .

## جـ – قوم لوط – عليه السلام –

**قال الله تعالى :**

﴿ ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( يقول تعالى مخبرا عن نبيه لوط عليه السلام – أنه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال فى اتيانهم الذكران من العالمين ولم يسبقهم إلى هذه الفعلة أحد من بنى آدم قبلهم وكانوا مع هذا يكفرون بالله ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أى يقفون فى طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم ﴿ وتأتون فى ناديكم المنكر ﴾ أى : يفعلون مالا يليق من الأقوال والأفعال فى مجالسهم التى يجتمعون فيها لاينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك فمن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا فى الملأ – قاله مجاهد ، ومن قائل كانوا يتضارطون ويتضاحكون – قالته عائشة والقاسم ، ومن قائل كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك ، وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا شرا من ذلك ) (٢) .

بهذه الأفعال القبيحة التى ارتكبها القوم من الكفر بالله – تعالى –

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٢٨ – ٢٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ٤١١ .

والركون الى هذه الدنيا ، والتى قد تنأى عن عملها الحيوانات العجماء ، وعدم سماع ما يخاطبهم به نبيهم لوط - عليه السلام - وبيانه لهم الحق من الضلال ، ومع هذا لم تكن اجابتهم إلا الاستهزاء والسخرية ﴿ ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون * انى لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين * أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ﴾(٢) .

بعد أن رأينا سوء صنيعهم سنرى ماحلّ بهم من عذاب الله - تعالى - الدنيوى جزاء على جرمهم وفسادهم .

---

(١) سورة الشعراء : آية (١٦٠ - ١٦٦) .

(٢) سورة الأعراف: آية (٨٠ - ٨١) .

**قال الله تعالى :**

﴿ قال رب انصرني على القوم المفسدين * ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنّا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ﴾ (١) .

تبين لنا في الآيات السابقة جرم قوم لوط — عليه السلام — وبعد أن ازداد فسادهم وعدم استجابتهم لرسولهم قال — عليه السلام — : ﴿ رب انصرني على القوم المفسدين ﴾ . فاستجاب الله دعوته فأرسل ملائكة العذاب فمروا على إبراهيم — عليه السلام — ، وبشروه بولد صالح من امرأته سارة وهو " اسحق " ومن وراء اسحق " يعقوب " (٢) ثم أخبروه أنهم رسل الله أرسلهم لاهلاك قوم لوط ، إلا لوطا وأهله فانهم منجون من عذاب الله ما عدا امرأته فانه مصيبها ما أصاب القوم المجرمين ، فلما وصل رسل الله إلى لوط — عليه السلام — أقبل إليه قومه مسرعين يريدون أن يعملوا الفاحشة بأضيافه ، فأخذ في محاولة ردهم عن أضيافه حتى عجز ، فأخبره الملائكة أنهم رسل الله وأنهم لن يصلوا إليهم .

قال تعالى : ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب * وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون

---

(١) سورة العنكبوت : آية (٣٠ — ٣١) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ٤١٢ ، ج ٤ ص ٢٣٦ .

فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد * قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وإنك لتعلم مانريد * قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد * قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد ﴾ (١).

سئ بهم : أى ساءه مجيئهم ، وضاق بهم ذرعا : أى ضاق صدره بمجيئهم لما رأى من جمالهم ولما يعلم من قبح عمل قومه . حجارة من سجيل : أى من حجارة النار الشديدة الحرارة متتابعة عليهم . مسومة : أى معلمة عليها علامة العذاب .

قال الشوكانى :

( ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ أى : الوقت المضروب لوقوع العذاب فيه ، أو المراد بالأمر نفس العذاب ، ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ أى : عالى قوم لوط سافلها ، والمعنى : أنه قلبها على هذه الهيئة وهى كون عاليها صار سافلها وسافلها صار عاليها ، وذلك لأن جبريل أدخل جناحه تحتها فرفعها من تخوم الأرض حتى أدناها من السماء ثم قلبها عليهم ) (٢).

وبعد أن قلبها بالصفة التى ذكر تعالى — أرسل عليهم حجارة

---

(١) سورة هود : آية (٧٧ — ٨٣) .

(٢) فتح القدير : ج ٢ ص ٥١٥ .

النار الشديدة الحرارة متتابعة عليهم جزاء وفاقا .

وقال تعالى : ﴿ فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين * وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ﴾ (١) .

﴿ الا امرأته كانت من الغابرين ﴾ : أى الباقين المعذبين من القوم الكافرين فاصابها ما أصابهم .

وقال تعالى : ﴿ فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين * وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ (٢) .

وقال تعالى حكاية عن ابراهيم : ﴿ قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * إلا آل لوط إنا لمنجوهم اجمعين * إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين * .. الى قوله : فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ (٣) .

وقال تعالى : مخبرا عن الملائكة الذين أرسلهم لعذابهم : ﴿ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ (٤) . أى : عبرة تدل على هلاك الله لهم فيرتدع بها غيرهم .

هذه الآيات البينات التى جاءت فى كتاب الله العزيز إخبارا من

---

(١) سورة الاعراف : آية (٨٣ ــ ٨٤) .

(٢) سورة النمل : اية (٥٧ ــ ٥٨) .

(٣) سورة الحجر : اية (٥٧ ــ ٧٤) .

(٤) سورة الذاريات : اية (٣٥ ــ ٣٧) .

المولى — عز وجل — عن صنيع عمل قوم لوط — عليه السلام — وسوء فعلهم وبيان ما أوقع بهم — تعالى — من العقاب فى هذه الحياة الدنيا ويا له من عقاب عظيم وما هو موءجل لهم فى الاخرة أشد وأعظم ٠

هكذا كان هلاك من لا يوءمن بالله واليوم الاخر ويسعى فى الأرض بالفساد ويستبدل الأدنى بالذى هو خير ٠ يقول تعالى : ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾ (١) ٠

فبهذه الأفعال القبيحة التى لم يردعهم عنها قول قائل ، ولا نصيحة ناصح ، ولا زجر مبلغ ، ولا دعوة داع ، هوءلاء فرق بينهم وبين من يقول : ﴿ ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ﴾ (٢) ٠

---

(١) سورة النحل : اية (١١٨) ٠

(٢) سورة آل عمران : آية (١٩٣) ٠

## د — قوم صالح — عليه السلام —

**قال الله تعالى :**

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من
إله غيره هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم
توبوا إليه إن ربّى قريب مجيب * قالوا ياصالح قد كنت فينا
مرجوّا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك
مما تدعونا إليه مريب * قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة
من ربّى وآتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله إن عصيته فما
تزيدوننى غير تخسير * وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها
تأكل فى أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب *
فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ (١) .

يقول الله تعالى : ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا ، وثمود يسكنون
مدائن الحجر بين المدينة والشام ، وكان صالح منهم بعثه الله رحمة
لهم يدعوهم إلى توحيد الله — تعالى — ، ويبيّن لهم أصل خلقتهم
من التراب ، وجعلهم الله يعمرون الأرض ويسكنونها ، وأمرهم بالاستغفار
فهو مهلكة للشيطان وتوبة من الذنوب والرجوع إلى الله ، والله يسمع
دعاء الداعى ويغفر الذنوب ويتوب على من تاب .

﴿ قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوّا قبل هذا ﴾ .

---

(١) سورة هود : آية (٦١ — ٦٥) .

قال ابن جرير :

( أى كنا نرجو أن تكون فينا سيدا ﴿ قبل هذا ﴾ القول الذى قلته لنا من أنه مالنا من إله غير الله ﴿ أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ﴾ يقول : أتنهانا أن نعبد الآلهة التى كان يعبد آباؤنا ﴿ وإنا لفى شك مما تدعونا إليه مريب ﴾ يعنون أنهم لايعلمون صحة ما يدعوهم إليه من توحيد الله . وأن الألوهية لاتكون إلا له خالصا . وقوله : ﴿ مريب ﴾ أى يوجب التهمة . ) [1] اهـ

ولكنه — عليه السلام — يلاطفهم ويبين أن دعوته هذه هى الحق الذى جاء من عند الله ، وأنه لاأحد ينفعه إذا ترك الدعوة إلى الله والبلاغ المبين . وأخذ يعدد نعم الله — تعالى — التى أنعم بها عليهم ﴿ أتتركون فى ماهاهنا آمنين * فى جنات وعيون * وزروع ونخل طلعها هضيم * وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ﴾ [2] .

فطلبوا منه آية على صحة رسالته : ﴿ ائتنا بآية إن كنت من الصادقين ﴾ فقال : ﴿ هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ [3] . وقال : ﴿ قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾ [4] .

قال ابن جرير :

( قال صالح لثمود لما سألوه آية يعلمون بها صدقه ، فأتاهم

---

(١) جامع البيان عن تأويل آى القرآن : ج ١٢ ص ٦٣ .

(٢) سورة الشعراء : آية ( ١٤٦ — ١٤٩ ) .

(٣) سورة الأعراف: آية (٧٣) .

(٤) سورة الشعراء : آية (١٥٥) .

بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة : هذه ناقة ياقوم ، لها شرب ولكم شرب يوم آخر معلوم ، مالكم من الشرب ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شربها شيئا ، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئا ) .(١)

ولكن ذلك لم يزدهم إلا طغيانا وكفرا فعقروا الناقة ، ثم ندموا على فعلهم ﴿ فعقروها فأصبحوا نادمين ﴾ ، ولكن لم ينفعهم ندمهم ، ثم لم يقتصروا على هذه الجرائم بل أخذوا في الإفساد ومحاولتهم في قتل صالح — عليه السلام — ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليّه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون * ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾ .(٢)

هؤلاء الرهط التسعة كفروا بالله — تعالى — وذكر المفسرون بأنهم الذين سعوا في عقر الناقة وتعاونوا على ذلك ، وتحالفوا على قتل صالح وأهله ، وقد أقسم بعضهم لبعض على مفاجأتهم ليلا وقتلهم ثم يجحدون وينفون ذلك ويحلفون ، وقد دبروا أمرهم على قتل صالح وأهله ، ولكن الله أبطل مكيدتهم وذلك باهلاكهم وجميع الكفرة من قوم صالح .

روى البخاري بسنده عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي — صلى الله عليه وسلم — يخطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " ﴿ إذ انبعث أشقاها ﴾ انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة ... " (٣) الحديث

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج ٩ ص ١٠٤ .

(٢) سورة النمل : آية (٤٨ — ٥٠) .

(٣) صحيح البخاري كتاب التفسير حديث ٤٩٤٢ .

وقال الله تعالى :

﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز * وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين * كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ﴾[1] .

لمّا تمادى قوم صالح في كفرهم وعدم سماعهم لنبيهم ، وأخذوا يزدادون في الفساد ، أرسل الله عليهم عذابه ، وذلك بعد أن عقروا الناقة وأخبرهم صالح أن العذاب مصيبهم بعد ثلاثة أيام ﴿ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ أي لابد من وقوعه .

فبعد مرور ثلاثة أيام من إخبار صالح — عليه والسلام — لهم أرسل الله — تعالى — عليهم الصيحة التي قطعت قلوبهم ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ .

قال ابن كثير : ( هي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي اسكنتهم هكذا قال قتادة : الصيحة — وهو اختيار ابن جرير )[2] .

وأنجى الله رسوله ومن آمن معه من عذابه الذي أهلك القوم حتى أصبحوا لاحراك لهم خامدين ، كأن لم يكن هناك من أنس وتنعم

---

(١) سورة هود : آية (٦٦ — ٦٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٤١٢ .

فى هذه الدار ، إن هذا العذاب هو لقاء كفرهم وجحودهم لآيات الله البينات واعتدائهم .

وقال تعالى مخبرا عنهم فى موضع آخر من كتابه الكريم : ﴿ فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين .﴾ (١)

وقال تعالى مبينا ماحصل بين صالح وقومه من مجادلة : ﴿ قالوا إنما أنت من المسحّرين * ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين * قال هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم * ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم * فعقروها فأصبحوا نادمين * فأخذهم العذاب إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم .﴾ (٢)

وفى سورة النمل يبين لنا تعالى مجادلته ومناصحته لهم وردودهم الفاضحة ، وما قد أجمع عليه بعضهم من أمر سوء — قتل صالح وأهله — ولكنهم يمكرون ويمكر الله وهو خير الماكرين . ﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنّا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن فى ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . (٣)

وبيّن — تعالى — تكذيبهم لآياته وتكذيب رسوله ، وبيّن مقالتهم الضالة ، وعذابه لهم فى الدنيا وتوعده لهم فى الآخرة ﴿ كذبت

---

(١) سورة الأعراف: آية (٧٧ — ٧٨) .

(٢) سورة الشعراء :آية (١٥٣ — ١٥٩) .

(٣) سورة النمل : آية (٥٠ — ٥٣) .

ثمود بالنذر * فقالوا أبشرا منّا واحدا نتبعه إنّا إذًا لفى ضلال وسعر * أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الاشر * إنّا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابى ونذر * إنّا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ﴾ (١) *.

وقال تعالى : ﴿ وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمرهم ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيام وماكانوا منتصرين ﴾ (٢) *.

هذه قصة أمة من الأمم الماضية ثمود قوم صالح أرسل الله إليهم صالحا — عليه السلام — يبلغهم دين ربهم ويأمر بعبادة الله — تعالى — وترك عبادة ما سواه ولكنهم كذبوا صالحا وما جاء به عن الله — تعالى — وطلبوا منه آية تثبت صدق رسالته وأن ما يقول حق ، فبعث الله لهم ناقة وجعل لها شربا ولهم شرب يوم معلوم لاترد عليهم ولا يردون عليها ، ولكنهم اعتدوا على ناقة الله التى جعلها لهم آية فعقروها ، واتفقوا على قتل صالح وأهله ليلا ولكن الله أنجى رسوله والذين آمنوا معه وأهلك القوم الظالمين وفى هذا عبرة لمن يقع فى محارم الله ويجتنب أوامره .

---

(١) سورة القمر : آية (٢٣ — ٣١) .

(٢) سورة الذاريات : آية (٤٣ — ٤٥) .

## هـ — قوم شعيب — عليه السلام —

**قال الله تعالى :**

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين * ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به تبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثّركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ﴾ (١) .

أرسل الله شعيبا — عليه السلام — إلى مدين وهم قبيلة من العرب كانوا يسكنون بين الحجاز والشام قريبا من معان . بلادا تعرف بهم يقال لها مدين ، وكان شعيب — عليه السلام — من أشرفهم نسبا . (٢)

دعا قومه — عليه السلام — إلى عبادة الله وحده لا شريك له أسوة بما كان يبدأ به إخوانه الرسل أقوامهم بناء على أمر ربهم ثم نهاهم عن التطفيف في المكيال والميزان ، وأن عليهم أن يوفوا الكيل والوزن بالقسط لا يظلمون ولا يظلمون ، وأن لا يأخذوا أموال الناس بغير حقها ، وهذا العمل لا يرضاه الله — تعالى — . قال تعالى : ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ﴾ (٣) ونهاهم — عليه السلام —

---

(١) سورة الأعراف : آية (٨٥ — ٨٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٤٥٥ .

(٣) سورة المطففين : آية (١ — ٣) .

من الافساد في الأرض وذلك بقطع الطرق سواء بالقتل وأخذ الأموال أو بصدّ الناس عن الإيمان بشعيب وبما جاء به عن الله — تعالى — ومحاولتهم أن يكون الناس جميعا في الطريق المعوج ويحرفونهم عن هدي الله ، ويذكرهم — عليه السلام — بنعم الله — تعالى — عليهم إذ كانوا قلّة مستضعفين فكثّرهم وجعلهم أعزة ، وأخذ يبين لهم ماحلّ بالأمم السالفة من عذاب الله ونكاله لمخالفتهم لما جاءتهم به رسلهم عن الله تعالى ، وصدق الله حيث يقول : ﴿ وماتغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (١) .

لقد قابلوا شعيبا مقابلة سيئة وردوا عليه ردا قبيحا فاضحا ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا ﴾ (٢) . الآية . هكذا كانت المواجهة من أعداء الله لرسول الله ومن آمن معه ، وهو أن يعودوا في ملّة الكفر أو ينفوهم من أوطانهم ويبعدوهم ، ولكن عباد الله الذين دخل الإيمان قلوبهم وأيقنوا أنهم على الحق وأن الله ناصرهم يردون على الكفرة المكذبين ﴿ قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملّتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء ربّنا وسع ربّنا كل شيء علما على الله توكلنا ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ (٣) . نعم إنه الاعتراف

---

(١) سورة يونس : آية (١٠١) .
(٢) سورة الأعراف : آية (٨٨) .
(٣) سورة " : آية (٨٩) .

بالحقيقة بأن من رجع عن دين الله فهو مكذب وراجع من النجاة إلى الهلاك ، ثم يقررون بأنهم لن يعودوا فى ملّة الكفر والضلال ويربطون مقالتهم بمشيئة الله ـ تعالى ـ لأن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويطلبون من ربهم النصر على الكفرة المكذبين ، وسرعان ما يأتيهم النصر من رب العالمين .

لقد ندّد الله بصنيع أولئك القوم فى مواضع من كتابه الكريم فقال تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ .. إلى قوله : ﴿ اعملوا على مكانتكم انّى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إنّى معكم رقيب ﴾ (١) .

وفى سورة الشعراء يخبر ـ تعالى ـ عن تكذيبهم ، وما كان من شعيب ـ عليه السلام ـ ودعوته لهم باللين وملاطفتهم لعلهم يرجعون عمّا هم عليه من التكذيب بدعوته وظلمهم للآخرين من التطفيف فى المكيال والميزان وبخس الناس حقوقهم ، وإفسادهم فى الأرض قال تعالى : ﴿ كذّب أصحاب الأيكة المرسلين * إذ قال لهم شعيب ألا تتقون * إنّى لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون .. الى قوله ﴿ إنما أنت من المسحّرين * وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين * فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين * قال ربّى أعلم بما تعملون ﴾ (٢) .

---

(١) سورة هود : آية (٨٤ ـ ٩٣) .

(٢) سورة الشعراء : آية (١٧٦ ـ ١٨٨) .

قال ابن كثير :

( هؤلاء — يعني أصحاب الأيكة — هم أهل مدين على الصحيح وكان نبي الله شعيب من أنفسهم وإنما لم يقل هاهنا أخوهم شعيب لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة وهي شجرة ، وقيل شجر ملتف كالغيضة كانوا يعبدونها فلهذا لما قال : كذب أصحاب الأيكة المرسلين ، لم يقل : إذ قال لهم أخوهم شعيب . وإنما قال : ﴿ إذ قال لهم شعيب ﴾ فقطع نسب الأخوة بينهم للمعنى الذى نسبوا إليه وإن كان أخاهم نسبا . ومن الناس من لم يفطن لهذه النكتة فظنّ أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين فزعم أن شعيبا — عليه السلام — بعثه الله إلى أمتين ، ومنهم من قال ثلاث أمم . )[1] اهـ

وفى سورة العنكبوت قال تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ﴾[2]

لقد أنذرهم عذاب الله — تعالى — وبيّن لهم ما أصاب الأقوام الذين مضوا قبلهم من هلاك الله وعذابه لهم ، ويأمرهم أن يستغفروا ربهم من ذنوبهم ويتوبوا إليه مما يخالف أمره فإنه — سبحانه — رحيم ودود لمن تاب ورجع إليه ﴿ وياقوم لايجرمنّكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد * واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربّى رحيم ودود ﴾[3].

بعد هذا النصح والدعوة من شعيب — عليه السلام — لقومه وردهم الباطلة عليه ، وعدم الاستجابة له ، وإنذاره لهم عذاب الله تعالى مثلما أصاب من قبلهم من الأمم العاصية ، أنزل الله عليهم عذابه ، وحل بهم مثلما حلّ بمن قبلهم من الأمم جزاء على ظلمهم وكما سنبينه :

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ص ٣٤٥ .

(٢) سورة العنكبوت : آية (٣٦) .

(٣) " هـود : " (٨٩ — ٩٠) .

**قال الله تعالى :**

﴿ ولمّا جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منّا
وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ (١) .

لما تعذر إيمان من كفر بشعيب وبما جاء به من الله — تعالى —
وأنذرهم عذاب الله — تعالى — ولم يسمعوا لذلك ﴿ وياقوم اعملوا على
مكانتكم إنّى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب
وارتقبوا إنّى معكم رقيب ﴾ (٢) .
أنزل الله عذابه بالقوم الظالمين وأنجى نبيه شعيبا ومن آمن معه
من قومه وذلك رحمة منه — تعالى — بنبيه ومن آمن معه . وكان هلاك
الظلمة بالصيحة التى جعلتهم جثثا هامدة .

قال ابن جرير :

( وأخذت الذين ظلموا الصيحة من السماء أخذتهم فأهلكتهم
بكفرهم بربهم . وقيل : إن جبريل — عليه السلام — صاح بهم صيحة
أخرجت أرواحهم من أجسامهم ﴿ فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴾ على
ركبهم وصرعى بأفنيتهم . ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴿ ألا بعدا لمدين كما
بعدت ثمود ﴾ (٣) : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه .
ألا أبعد الله مدين من رحمته باحلال نقمته كما بعدت ثمود ، يقول :

---

(١) سورة هود : آية (٩٤) .
(٢) سورة هود : آية (٩٣) .
(٣) سورة هود : آية (٩٥) .

كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته بانزال سخطه بهم . " (١)

وقال تعالى : ﴿ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذًا لخاسرون * فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين * الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴾ (٢) .

إن الخسارة هى لمن لم يتبع شعيبا ، وهم الذين نزلت بهم الصيحة وأهلكتهم عن آخرهم ولم يبق لهم باق ، ولم ينج إلا شعيبا ومن اتبعه من المؤمنين ، وأخبر - تعالى - عن عذابهم فى موضع آخر من كتابه فقال : ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظُلّة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين ﴾ (٤)

قال ابن كثير :

( وذكر هاهنا أنهم أتتهم صيحة ، وفى الأعراف رجفة ، (٥) وفى الشعراء عذاب يوم الظلّة وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها ، وإنما ذكر فى كل سياق ما يناسبه ، ففى الأعراف لمّا قالوا : ﴿ لنخرجنّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ﴾ ناسب أن يذكر هنا " الرجفة " فرجفت بهم الأرض التى ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها ، وهاهنا (٦) لما أساءوا الأدب فى مقالتهم

---

(١) جامع البيان عن تأويل اى القرآن ج ١٢ ص ١٠٨ — ١٠٩ .
(٢) سورة الأعراف : آية (٩٠ — ٩٢) .
(٣) سورة الشعراء : آية (١٨٩) .
(٤) سورة العنكبوت : آية (٣٧) .
(٥) سورة هود : آية (٩٤) .
(٦) سورة هود : آية (٩٤) .

على نبيهم ذكر الصيحة التي استلبثتهم وأخمدتهم ، وفى الشعراء لما قالوا : ﴿ فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين ﴾ قال ﴿ فأخذهم عذاب يوم الظلّة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمد والمنّة كثيرا دائما ) . [١] اهـ

إن سبب هلاك الأفراد والأمم هو إعراضهم عن دين الله — تعالى — وارتكاب ما قد نهى عنه . قال عز وجل : ﴿ ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه ثم أعرض عنها ونسي ما قدّمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذن أبدًا ﴾ [٢] ، ومن تمام عدله — سبحانه — أنه لم يكن معذبا أحدا حتى يقيم عليه الحجة كما أخبر — تعالى — ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمّها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنّا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ . [٣] فإذا قامت الحجة فمن استقام وأناب فله الحسنى وزيادة ، ومن نكص وحاد فله الهلاك والعذاب ، وما كان من عذاب الأمم السابقة سواء ما ذكرنا أو لم نذكر هو بسبب ظلمهم لأنفسهم ولغيرهم .

وإذا أنزل عذابه بالظلمة فعذابه مهلك لمن يقع عليه .

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ . [٤]

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٢ ص ٤٥٨ .

(٢) سورة الكهف : آية (٥٧) .

(٣) سورة القصص: آية (٥٩) .

(٤) سورة هود : آية (١٠٢) .

قال العينى :

( إن أخذه — أى أخذ الله — أليم : أى وجيع شديد ، وهذا تحذير من وخامة الذنب لكل أهل قرية ٠ ) (١)

وعن أبى موسى — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته قال : ثم قرأ ﴿ وكذلك أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد ﴾ " (٢) ٠

هذه سنّة الله فى القرون الظالمة المكذبة لرسله ، وكذلك يفعل — سبحانه وتعالى — بأشباههم كما أخبر تعالى : ﴿ وكأيّن من قرية أمليت لها وهى ظالمة ثم أخذتها وإلىّ المصير ﴾ (٣) ٠

فاذا حصل التمادى والبقاء على الظلم أحلّ الله عقوبته باهلاكه لأولئك الظلمة ثم إليه المرجع فيلاقون من العذاب مالا قبل لهم به ٠

وقال تعالى مخبرا عن رد عبده ورسوله هود — عليه السلام — على قومه المشركين : ﴿ إنّى توكلت على الله ربّى وربّكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّى على صراط مستقيم ﴾ (٤) ٠

قال ابن القيم :

( فكونه على صراط مستقيم ينفى ظلمه للعباد ، وتكليفه اياهم مالا يطيقون ، وينفى العيب من أفعاله وشرعه ويثبت لها غاية الحكمة

---

(١) عمدة القارى : ج ٩ جزء ١٨ ص ٢٩٥ ٠

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير حديث ٤٦٨٦ ، ومسلم فى صحيحه كتاب البر ٦٢ ، وابن ماجه كتاب الفتن ٢٢ ٠

(٣) سورة الحج : آية (٤٨) ٠

(٤) سورة هود : آية (٥٦) ٠

والسداد ردا على منكرى ذلك ، وكونه كل دابة تحت قبضته وقدرته وهو آخذ بناصيتها ينبغى أن لا يقع فى ملكه من أحد من مخلوقاته شيء بغير مشيئته وقدرته ، وأن من ناصيته بيد الله وفى قبضته لا يمكنه أن يتحرك إلا بتحريكه ، ولا يفعل الا باقداره ، ولا يشاء إلا بمشيئته تعالى ، إلى أن قال : فهو — سبحانه — على صراط مستقيم فى إعطائه ومنعه ، وهدايته ، وإضلاله ، وفى نفعه وضره ، وعافيته وبلائه ، وإغنائه وافقاره ، وإعزازه وإذلاله ، وإنعامه وانتقامه ، وثوابه وعقابه ، وإحيائه واماتته ، وأمره ونهيه ، وتحليله وتحريمه ، وفى كل مايخلق ، وكل ما يأمر به ، وهذه المعرفة بالله لا تكون إلا للأنبياء ولورثتهم .) (١)

---

(١) التفسير القيم للامام ابم القيم : ص ٣١٣ .

# المبحث الثانى

## جور الرعاة وأثره فى فساد الرعية

## المبحث الثاني
## جور الرعاة وأثره في فساد الرعية

### المراد بالرعاة :

الراعي : ( كل من ولي أمرا بالحفظ والسياسة كالملك ، والأمير ، والحاكم . وفي التنزيل العزيز ﴿ حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ )[1]

وعن ابن عمر — رضي الله عنهما — عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : " كلكم راع وكل مسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "[2] .

قال النووي :

( قال العلماء : الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته )[3] اهـ

وهنا سيكون الكلام على أربعة أصناف وهم : الحاكم على رعيته ، والرجل على أهل بيته ، والمرأة في بيت زوجها ، والعبد في مال سيده ، ومن في حكمهم ، فهؤلاء سنقوم بالكلام على كل منهم ومدى مسئوليته وما يجب عليه وما يكون من مفسدة اذا حصل تقصير أو مخالفة في عدم العدل .

---

(١) المعجم الوسيط : ٣٥٦/١ .
(٢) رواه مسلم كتاب الامارة حديث ١٨٢٩ ، والبخاري كتاب الأحكام حديث ٧١٣٧ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٦ الجزء ١٢ ص ٢١٣ .

## " رعاية الحكام وأثر الظلم منهم "

**الحاكم :** هو المنّصب للحكم بين الناس فى فصل القضاء على ضوء الكتاب الكريم والسنة المطهرة وتولّى شئونهم الدينية والدنيوية ، وسواء كان الاطلاق عليه ملكاً او رئيسا او أميرا أو أى مسمى آخر ، المهم أن له سلطة على دولة من الدول أو امارة من الامارات او ماشابه هذا .

**الشئون الدينية :** هى اقامة شعائر الاسلام بين أفراد مجتمعه وإلزام من يحيد عن ذلك بها ، وإقامة الحدود والتعزيرات على المخالفين على نهج كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — .

فالحاكم خليفة الله فى أرضه ، فالواجب عليه أن يحكم بين الناس بالحق . قال تعالى : ﴿ ياداود إنّا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( هذه وصية من الله — عز وجل — لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزّل من عنده — تبارك وتعالى — ولا يعدلوا عنه

---

(١) سورة ص : آية (٢٦) .

فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعد ــ تبارك وتعالى ــ من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد .

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثنى ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له : أيحاسب الخليفة فإنك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت ، فقلت : يا أمير المؤمنين : أقول ؟ قال : قل فى أمان الله ، قلت ياأمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ــ إن الله ــ تعالى ــ جمع له النبوة والخلافة ثم توعده فى كتابه فقال تعالى : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (١) .

وإقامة دين الله ــ تعالى ــ والمحافظة عليه هو المقدّم على كل شىء فلا يقبل الله مخالفة من أحد لانبى ولا رسول ولا ملك ولا كبير ولا صغير لأن الجميع مكلف ومطلوب أن يطبق دين الله على نفسه ثم على غيره قال تعالى مخاطبا أكرم الخلق محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لأن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (٢) .

فمادام هذا خطابا لمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولمن قبله من

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ٣٢ .

(٢) سورة الزمر : آية (٦٥ ــ ٦٦) .

الأنبياء والمرسلين ! فكيف بمن عداهم ممن قد استخلفوا على الناس ؟ هم من باب أولى أن يطبقوا على أنفسهم ويلتزموا ثم يُلزموا من قد ولّاهم الله أمرهم دين الله ـ تعالى ـ وأن يكون لهم فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفائه أسوة وقدوة قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾(١) .

فالحاكم الذى يُمكّن الله تعالى له فى الأرض ويعطيه السلطة من مُلْكٍ او رئاسة أو امارة أو قضاء ، او أى مسئولية أخرى هو ملزم أن يستخدم هذه السلطة وهذه المسئولية فيما يرضى الله ـ تعالى ـ قولا وعملا على نفسه ثم على من ولّاه الله أمرهم قريبا أو بعيدا ، وما جعلت السلطة لتستخدم فى المصالح الذاتية ، وتحقيق الرغبات الفردية الخاصة ، وتطبيق الأحكام على الضعفاء والمجاوزة عن الأشراف والأقارب.

قال الخليفة الراشد أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ عندما تولى الخلافة : " أيها الناس إنّى قد ولّيت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقوّمونى : الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندى حتى أخذ الحق له إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ... إلى أن قال : أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله "(٢) .

---

(١) سورة الأحزاب : آية (٢١) .

(٢) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى / الدكتور حسن ابراهيم حسن ج ١ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ الطبعة السابعة ١٩٦٤م مكتبة النهضة المصرية .

ولما ولي عمر الخلافة صعد المنبر فقال : " إنى قائل كلمات فأمنوا عليهن . فكان أول كلام قاله حين استخلف : " إنما مثل العرب مثل جمل أنف ، اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده ، وأما أنا فورب الكعبة لأحملنهم على الطريق " (١) .

وعندما بويع عثمان — رضى الله عنه — بالخلافة خطب الناس فقال : " إنكم فى دار قلعة ، وفى بقية أعمار ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أتيتم صبحتم أو مسّيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، واعتبروا بمن مضى ، ثم جدّوا ولا تغفلوا ، فإنه لا يغفل عنكم أين أبناء الدنيا وإخوانها ، الذين اثروها وعمروها ومتّعوا بها طويلا ، ألم تلفظهم ؟ أرموا بالدنيا حيث رمى الله بها ، وأطلبوا الآخرة فإن الله قد ضرب لها مثلا — والذى هو خير — فقال — عز وجل — : ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا ﴾ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾ (٢) " . (٣)

وكان أول خطبة خطبها على — رضى الله عنه — أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن الله — تعالى — أنزل كتابا هاديا بين فيه

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ( ٢١٢ ) .

(٢) سورة الكهف: آية (٤٥ — ٤٦) .

(٣) تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ج ١ ص ٢٥٧ .

الخير والشر ، فخذوا بالخير ودعوا الشر ، إن الله حرم حرما مجهولة ، وفضّل حرم المسلم على الحرم كلها ، وشدّ بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق ، لا يحل لمسلم أذى مسلم إلا بما يجب ، وبادروا أمر العامة ، وخاصة أحدكم الموت ، فان الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة تحدو بكم فتخففوا تلحقوا ، فإنما ينتظر بالناس أخراهم ، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده ، فإنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم ثم أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ﴾ الآية )(١) اهـ

هكذا كان نهج خلفاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في حكمهم ، فخطبهم تبين منهجهم في حكمهم ومعاملاتهم للناس وما يريدون أن يسير عليه الناس في هذه الحياة لأنه لا صلاح للأفراد ولا للجماعات إلا بالإلتزام بهذا الدين ونهج طريق المنعم عليهم لا المغضوب عليهم والضالين ، وهؤلاء القدوة بعد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فكل من خالف السياسة الشرعية التي رسمها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونهجها خلفاؤه الراشدون ، ومن تبعهم من الأئمة المهديين والتي مصدرها كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — فقد ضل وخسر وباء بالندامة والحسرة يوم يكون الجزاء والحساب ، ويتولى القضاء رب الأرض والسماء .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٤ جزء ٧ ص ٢٢٦ .

## الشئون الدنيوية :

هو أن ينظر الحاكم أحوال رعيته الدنيوية ويساوى بينهم في العطية ، ولا يعطى أحدا ويترك آخر أو يؤثر أحدا على أحد أو يجعل ميزة لأحد على أحد فى عطية أو غير ذلك إلا مايكون مقابل عمل يستحق ذلك عليه ، فالمسلمون كلهم فى حق الله سواء ولهم حق فى بيت مال المسلمين ، فالحاكم يتفقد أحوال من ولّاه الله أمرهم . ولنذكر بعض الآثار الواردة عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — :

قال ابن كثير :

( قال أسلم : [1] خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة فلاح لنا بيت شعر فقصدناه فإذا فيه امرأة تمخض وتبكى فسألها عمر عن حالها فقالت : أنا امرأة عربية وليس عندى شئ ، فبكى عمر وعاد يهرول إلى بيته فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بنت أبى طالب: هل لك فى أجر ساقه الله إليك ؟ وأخبرها الخبر ، فقالت : نعم، فحمل على ظهره دقيقا وشحما ، وحملت أم كلثوم مايصلح للولادة، فدخلت أم كلثوم على المرأة ، وجلس عمر مع زوجها — وهو لا يعرفه — يتحدث فوضعت المرأة غلاما فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام ، فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر ، فقال عمر : لابأس عليك ثم وصلهم بنفقة وما يصلحهم وانصرف . ) [2] اهـ

---

(١) أسلم : مولى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — ، الاصابة فى تمييز الصحابة : ج ١ جزء ١ ص ٥٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٤ جزء ٧ ص ١٣٦ .

هذا أروع مثل فى العدالة وبذل النفس فى خدمة الشعب ، وتفقد أحوال المسلمين ورعايتهم بما يصلح أحوالهم ، ويجعلهم على اختلاف مستوياتهم فى حق الله سواء ، الخليفة الراشد الذى عرف حق المسئولية ، وما سيسأل عنه يوم الوقوف أمام الله — تعالى — ، وأن هذه الأمة التى يحكمها فى ذمته ، تفانى فى الحفاظ على حقوقهم ، وتفقد أحوالهم وحتى فى الليل ، وهذه القصة مثل يجب أن يجعله حكام المسلمين منهجا يسلكونه ويسيرون عليه ، ليحقق الله النصر لهم على أعدائهم ، ويحفظ لهم سلطانهم ، ويظفرون بسعادتي الدنيا والآخرة .

وقال ابن كثير :

( وقال أسلم : خرجت ليلة مع عمر إلى حرة واقم حتى إذا كنا بصرار إذا بنار فقال : ياأسلم هاهنا ركب قد قصر بهم الليل ، انطلق بنا إليهم ، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار ، وصبيان يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، قالت : وعليك السلام . قال : أدنو ، قالت : ادن أو دع . فدنا فقال : مابالكم ؟ قالت : قصر بنا الليل والبرد . قال : فما بال هوءلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : من الجوع . فقال : وأي شىء على النار ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ، فبكى عمر ورجع يهرول إلى دار الدقيق فأخرج عدلا من دقيق وجراب شحم ، وقال : يا أسلم احمله على ظهرى ، فقال : أنا أحمله عنك ، فقال : أنت تحمل وزرى يوم القيامة ؟ فحمل على ظهره ، وانطلقنا إلى المرأة فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فى القدر ، وألقى

عليه من الشحم ، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة ، ثم أنزلها عن النار وقال : ائتيني بصحفة ، فأتي بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان وقال : كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا ـ والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه ـ فلم يزل عندهم حتى نام الصغار ، ثم وصلهم بنفقة وانصرف ، ثم أقبل عليّ فقال : يا أسلم الجوع الذى أسهرهم وأبكاهم ) .[1] اهـ

وهنا سنرى موقفه من قرابته وعدم إيثارهم على غيرهم من المسلمين وخوفه من الله إذا هو آثرهم على غيرهم .

قال ابن كثير ـ أيضا ـ :

( قيل إن عمر راى جارية تتمايل من الجوع فقال : من هذه ؟ فقالت ابنة عبد الله : هذه ابنتى ، قال : فما بالها ؟ فقالت : إنك تحبس عنّا مافى يدك فيصيبنا ماترى ، فقال : ياعبد الله ، بينى وبينكم كتاب الله ، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم ، أتريدون منى أن أعطيكم ماليس لكم ؟ فأعود خائنا ؟

قال الدكتور محمد يوسف موسى :

( إن العدل الذى يقوم عليه نظام الحكم الاسلامى ، ويعتبر حقا دعاما قوية من دعاماته ، هو العدل المثالى بين الناس جميعا مهما تختلف أجناسهم وأديانهم ، هو العدل الذى لايتأثر بالقرابة أو الجاه أو السلطان ، والذى لاينبغى أن يتأثر بالبغض أو العداوة ،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٤ جزء ٧ ص ١٣٦ .
(٢) " " " : ج ٤ جزء ٧ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

ولا بأي عـامل آخر غـير ما تقدم كله ٠)[١]

فالحكام ملزمون برعـاية أحوال المسلمين ومالهم وما عـليهم فإذا حصل منهم جور أو ظلم أدّى ذلك إلى تفكك المجتمعات وفساد الأفراد وحصول الفوضى ، لأن الدين لله - تعالى - فاذا لم يجد حكومة تقيم حدوده أميتت السنن وظهرت البدع وضاعـت الحقـوق ، وحصل الظلم بين الرعـية ٠

---

(١) نظام الحكم فى الاسلام : ص ١٩١ ٠

وقد ذكر الماوردى أمورا عامة عشرة تلزم الحاكم للرعية :

١ ـ حفظ الدين على أصوله المستقرة وماأجمع عليه سلف الأمة فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذ بما يلزمه من الحقوق والحدود ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعة من زلل .

٢ ـ تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

٣ ـ حماية البيضة والذبّ عن الحريم ليتصرف الناس فى المعايش وينتشروا فى الأسفار آمنين من تغرير بنفس أو مال .

٤ ـ إقامة الحدود لتصان محارم الله ـ تعالى ـ عن الإنتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك .

٥ ـ تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لاتظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرما أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهدا دما .

٦ ـ جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فى الذمة ليقام بحق الله ـ تعالى ـ فى إظهاره على الدين كله .

٧ ـ جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصّا واجتهادا من غير خوف ولا عسف .

٨ ـ تقدير العطيات وما يستحق فى بيت المال من غير سرف ولا تقتير ودفعه فى وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

٩ ـ استكفاء الأمناء وتقليد الفصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة .

١٠ـ أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال ، لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغش الناصح وقد قال الله ـ تعالى ـ ﴿ يا داود انّا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ (١) (٢) ا هـ

قال الشيخ هبة الله اسماعيل بن ابراهيم الخطيب الحسنى الاسعردى الأزهرى السلفى :

( " حكاية لطيفة " ساقها الامام محمد بن قتيبة الدينورى فى كتابه " تأويل مختلف الحديث " قال : وحدثنى رجل من أصحاب الأخبار أن المنصور سمر ذات ليلة فذكر خلفاء بنى أمية وسيرتهم وأنهم لم يزالوا على استقامة حتى أفضى أمرهم إلى أبنائهم المترفين فكان همّهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات وإيثار الذات والدخول فى معاصى الله ـ عز وجل ـ ومساخطه جهلا منهم باستدراج الله ـ تعالى ـ وأمنا من مكره ـ تعالى ـ فسلبهم الله ـ تعالى ـ الملك والعز ونقل عنهم النعمة فقال له صالح بن علي : ياأمير المؤمنين إن عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النّوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النّوبة عنهم فأخبر فركب عبيد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه وأزعجه عن بلده فإن رأى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة ويسأله عن ذلك فأمر المنصور بإحضاره

---

(١) سورة ص : آية (٢٦) .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص١٨ دار الكتب العلمية بيروت .

وسأله عن القصة فقال : يا أمير المؤمنين قدمت أرض النّوبة بأثاث سلم لي فافترشته بها وأقمت ثلاثا فأتاني ملك النّوبة وقد أخبر أمرنا فدخل عليّ رجل أقنى حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ فقال : إنّي ملك وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله — عز وجل — إذ رفعه الله ثم أقبل عليّ فقال لي : لم تشربون الخمور وهي محرمة عليكم في كتابكم ؟ قلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال : فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم في كتابكم ؟ قلت : يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم ؟ فقلت : زال عنّا الملك وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منّا . فأطرق مليّاً وجعل يقلّب يده وينكت في الأرض ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرّم عليكم وركبتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم فسلبكم الله — تعالى — العز وألبسكم الذل بذنوبكم ولله — تعالى — فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم وإنما الضيافة ثلاث فتزودوا ما احتجتم إليه وارتحلوا عن بلدي ففعلت ذلك ) .(١)

ثم قال الأسعردي : ( وفي هذه الحكاية مقنع وكفاية لمن رزقه الله

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية : ج ١ جزء ١ ، تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن ص ١٥٦ — ١٥٧ ، احياء التراث العربي بيروت .

الهداية ، وجنبه طريق الغواية . وفيما رأيتم وسمعتم به مما جرى بأولئك الظالمين المستبدين الخاسرين الأبعدين ، أكبر عبرة لمن اعتبر . وتبصرة لمن تبصّر ) .

قال شهاب الدين محمد الأبشيهى :

( قيل لمّا ظلم أحمد بن طولون قبل أن يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة (١) يشكونه إليها فقالت لهم متى يركب ؟ قالوا : في غد فكتبت رقعة وقفت بها في طريقه وقالت : ياأحمد ، يابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه ، وأخذ منها الرقعة وقرأها ، فإذا فيها ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخوّلتم فعسفتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، وهذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها ، وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم ، اعملوا ماشئتم فإنّا صابرون ، وجوروا فإنّا الى الله مستجيرون ، واظلموا فانّا بالله متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . قال : فعدل لوقته . ) (٢) اهـ

ان الحكام هم ولاة الأمر وهم خلفاء الله فى أرضه لإقامة الحدود ورد الحقوق إلى أهلها والتثبت والأمر المبين ، وإحياء السنن التى سنها

---

(١) نفيسة : هى بنت الحسن بن زيد بن الحسين اشتهرت بتقواها وورعها ومعارفها . بنت مسجدا بالقاهرة على اسمها وتوفيت سنة ٢٠٩ هـ — ٨٢٤م ، المستظرف فى فن مستظرف ( بجزأيه ) ، للامام شهاب الدين محمد الأشبيهى / دار القلم بيروت — لبنان .

(٢) المستظرف في كل فن مستظرف ( بجزأيه ) ص ١٣٠ للامام العالم شهاب الدين محمد الاشبيهى / دار القلم بيروت — لبنان .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإماتة البدع التي أحدثت ، ورفع الظلم عن أممهم ، وعدم الاحتجاب عن سماع مظالمهم وانصافهم، ومعرفة الحق وإقامته ، والمنكر وإزالته ، وتحكيم كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ونبذ الأحكام الوضعية والقوانين والأنظمة الفاسدة البغيضة المخالفة لحكم الله - تعالى - وحكم رسوله - صلى الله عليه وسلم - ظهريا .

ان كل ما ذكرنا وكل شيء يخالف أمر الله - تعالى - وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - يعتبر جورا وظلماً والله سائل عن ذلك ومحاسب عليه .

وسنرى بعض الأحاديث التي فيها الوعيد الشديد لمن حاد من الولاة ولم يقم بالعدل والانصاف ووقع في ظلم الرعية .

عن الحسن قال : أتينا معقل بن يسار نعوده فدخل علينا عبيد الله ، فقال له معقل : أحدثك حديثا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " مامن وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش إلا حرّم الله عليه الجنة " (١) .

قال ابن حجر :

( قال ابن بطال : " هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيّع من استرعاه الله أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد " يوم القيامة " فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام حديث ٧١٥١ ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب الايمان حديث ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وكتاب

===

عظيمة ، ومعنى " حرم الله عليه الجنة " أى أنفذ الله عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين ." )[1] اهـ

وعن أبى ذر قال : قلت يارسول الله ألا تستعملنى ؟ قال فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : " يا أباذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدّى الذى عليه فيها ." [2]

قال النووى :

( هذا الحديث أصل عظيم فى اجتناب الولايات لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية ، وأما الخزي والندامة فهو فى حق من لم يكن أهلا أو كان أهلا ولم يعدل فيها فيجزيه الله — تعالى — يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط ، وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم تظاهرت به الأحاديث الصحيحة كحديث سبعة يظلهم الله والحديث المذكور هنا عقب هذا أن المقسطين على منابر من نور وغير ذلك ، واجماع المسلمين منعقد عليه ومع هذا فلكثرة الخطر فيها حذره — صلى الله عليه وسلم — منها وكذا حذر العلماء وامتنع منها خلائق السلف وصبروا على الأذى حين امتنعوا ) .[3] اهـ

---

== الامارة باب ٢١ حديث ١٨٣٠ ، وعبيد الله هو ابن زياد يعنى أمير البصرة فى زمن معاوية وولده يزيد .

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى : ج ١٣ ص ١٢٨ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة حديث ١٨٢٥ .

(٣) مسلم بشرح النووى : ج ٦ جزء ١٢ ص ٢١٠ — ٢١١ .

وعن عوف بن مالك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم " قيل : يارسول الله أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يدا من طاعة " (١) .

وعن علقمة بن وائل الحضرمى عن أبيه . قال : سال سلمة ابن يزيد الجعفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يانبى الله ارأيت ان قامت علينا أمراء يسالونا حقهم ويمنعونا حقنا ، فما تامرنا ؟ فأعرض عنه ثم ساله فأعرض عنه ، ثم ساله فأعرض عنه ، ثم ساله فى الثانية أو فى الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس . وقال : " اسمعوا وأطيعوا ، فانما عليهم ما حمّلوا وعليكم ما حمّلتم " (٢)

فالامام يجب عليه العدل وإعطاء حق الرعية ، وعدم الجور وظلمهم وضياع حقوقهم ، فإذا خالفوا فعليهم الوزر والوبال ، والرعية عليهم السمع والطاعة وأداء الحقوق .

وعن عبد الرحمن بن شماسة قال : أتيت عائشة أسالها عن شئ فقالت : ممن أنت ؟ فقلت : رجل من أهل مصر فقالت : كيف كان صاحبكم لكم فى غزاتكم هذه ؟ فقال : ما نقمنا منه شيئا ، إن كان

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة حديث ١٨٥٥ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة حديث ١٨٤٦ .

ليموت للرجل منّا البعير فيعطيه البعير ، والعبد فيعطيه العبد ، ويحتاج الى النفقة فيعطيه النفقة ، فقالت : أما إنه لا يمنعني الذى فعل فى محمد بن أبى بكر ، أخى ، أن أخبرك ما سمعت من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول فى بيتى هذا "اللهم من ولي من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به "(١) .

وعن الحسن أن عائذ بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — دخل على عبيد الله بن زياد ، فقال : أى بني إنّى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن شر الرعاء الحطمة (٢) فإياك أن تكون منهم " فقال له اجلس فإنما أنت من نخالة (٣) أصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم ، فقال : وهل كانت لهم نخالة (٤) ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم "(٥) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة حديث ١٨٢٨ .

(٢) ( ان شر الدعاء الحطمة ) قال فى النهاية : الحطمة هو العنيف برعاية الابل فى السوق والإيراد والإصدار يلقى بعضها على بعض ويعسفها . ضربه مثلا لوالي السوء . ويقال ايضا : حطم، بلا هاء .

(٣) ( نخالة ) يعنى لست من فضلائهم وعلمائهم وأهل المراتب منهم بل من سقطهم ، والنخالة هاهنا استعارة من نخالة الدقيق وهى قشوره . والنخالة والحثالة والحفالة بمعنى واحد .

(٤) (وهل كانت لهم نخالة ؟ إنما كانت النخالة بعدهم وفى غيرهم ) هذا من جزل الكلام وفصيحه وصدقه الذى ينقاد له كل مسلم فان الصحابة — رضى الله عنهم — كلهم صفوة الناس وسادات الأمة وافضل ممن بعدهم ، وفيمن بعدهم كانت النخالة . ( مسلم تحقيق محمد فوءاد عبد الباقى ج ٣ ص ١٤٦١ ) .

(٥) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة باب ٢٣ حديث ١٨٣١ .

بعد أن وقفنا على بعض الاحاديث والآثار الواردة فى رعاية الحكام وآثار الظلم منهم فانه لايفوتنا أن ذلك يعم كل من ولي سلطة فى هذه الحياة الدنيا وعلى رأسهم القضاة . فالقاضى هو نائب الحاكم فى القضايا الشرعية والحقوق المدنية ، فإن أقام أحكامه على معرفة ودراية بشرع الله — تعالى — وحكم بذلك غير مبال بمايقابله من قضايا من أفراد على اختلاف شخصياتهم ومكاناتهم بل مع الحق أينما كان فقد سلم ونجا وله الأجر والمثوبة ، وإن أوقع نفسه فى القضاء وحكم فى حقوق الناس على جهل وضلال أو عرف الحق ولم يحكم به فقد باء بغضب الله — تعالى — واستوجب عقابه .

عن ابن بريدة عن أبيه عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " القضاة ثلاثة واحد فى الجنة ، وإثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة : فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار فهو فى النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار (قال أبو داود : وهذا أصح شيء فيه) ، يعنى حديث ابن بريدة " (١) .

**فالقاضى :** هو الذى يحكم فى الحلال والحرام فى الأعراض والنفوس ، ترد إليه القضايا فيجرى فيها حكمه فإن كان مصيبا فى حكمه حيث عرف حكم الله وحكم رسوله — صلى الله عليه وسلم — فحكم به فى ذلك فقد حصل على الأجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة ، وأما ان كان

---

(١) رواه أبو داود ج ٣ حديث ٣٥٧٣ ، ورواه الحاكم فى المستدرك ٩٠/٤ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وله شاهد باسناد صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى .

قد عرف الحق فعدل عنه لأغراض شخصية أو أهداف مادية فقد باء بغضب الله — تعالى — واستحق النار يوم القيامة ، وأما إن كان يخبط خبط عشواء لايدرى أمصيبا فى قضائه ، أم مخطئا بل يرمى بذلك على جهل وعدم دراية ومعرفة فهذا واقع فى الخطأ لا محالة فهو مستحق لغضب الله — تعالى — وعذابه — عز وجل — حيث الرجم بالغيب فى قضايا العباد دون معرفة كتاب الله — تعالى — وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ، وكل من ولى للمسلمين أمرا فقد أوقع نفسه فإن شاء أخذ بها وأنقذها من الظلم للعباد ، وأدّى واجب الوظيفة على المنهج الشرعى الصحيح ، والذى عليه تقوم أعمال العباد وحقوقهم ونصح فى ذلك وراقب الله — تعالى — وان شاء اتبعها هواها وعبث فى أعماله الوظيفية وحقوق العباد وضياع حقوقهم ، قال تعالى : ﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فان الجحيم هى المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هى المأوى ﴾ (١) .

---

(١) سورة النازعات : آية (٣٧ — ٤١) .

## " رعاية الرجل لأسرته وأثر الظلم فى ذلك "

**قال الله تعالى :**

﴿ الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم * فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا إن الله كان عليًّا كبيرا ﴾ (١) .

**قال ابن كثير :**

( يقول تعالى : ﴿ الرجال قوّامون على النساء ﴾ أى الرجل قيّم على المرأة أى هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا هي اعوجّت ﴿ بما فضّل الله بعضهم على بعض ﴾ أى لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال وكذلك الملك الأعظم لقوله — صلى الله عليه وسلم — : " لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة " (٢) رواه البخارى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك ﴿ وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ أى من المهور والنفقات والكلف التى أوجبها الله عليهم لهن فى كتابه وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — فالرجل

---

(١) سورة النساء : آية (٣٤) .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه كتاب المغازى حديث ٥٥٢٥ ، وحديث ٧٠٩٩ ، ورواه الترمذى كتاب الفتن ٧٥ ، والنسائى كتاب القضاة ٨ ، وأحمد فى المسند ٥/٤٣ ، ٥١ .

أفضل من المرأة فى نفسه وله الفضل عليها والافضال فناسب أن يكون قيّماً عليها ) [١] اهـ

ويقول سيد قطب :

( وكذلك زوّد الرجل -فيما زوّد به من الخصائص ـ بالخشونة والصلابة ، وبطء الإنفعال والاستجابة واستخدام الوعي والتفكير قبل الحركة والاستجابة . لأن وظائفه كلها من أول الصيد الذى كان يمارسه فى أول عهده بالحياة الى القتال الذى يمارسه دائما لحماية الزوج والأطفال . إلى تدبير المعاش ... إلى سائر تكاليفه فى الحياة .. لأن وظائفه كلها تحتاج إلى قدر من التروى قبل الإقدام ، وأعمال الفكر ، والبطء فى الاستجابة بوجه عام! ... وكلها عميقة فى تكوينه عمق خصائص المرأة فى تكوينها .. وهذه الخصائص تجعله أقدر على القوامة ، وأفضل فى مجالها ، كما أن تكليفه بالانفاق ـ وهو فرع من توزيع الاختصاصات ـ يجعله بدوره أولى بالقوامة ، لأن تدبير المعاش للموءسسة ومن فيها داخل فى هذه القوامة ، والإشراف على تصريف المال فيها أقرب الى طبيعة وظيفته ..... ) [٢]

وقوله تعالى : ﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ سنتكلم عن هذا ـ إن شاء الله ـ فى بحثنا عن رعاية المرأة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ص ٤٩١ .

(٢) فى ظلال القرآن : ج ٢ ص ٦٥١ .

وقد بيّن — تعالى — ماكان من حق الرجل فى تأديب المرأة التى تترفع عما أوجب عليها شرع الله الحكيم . فقال تعالى : ﴿ واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾ .

فاذا ترفّعت المرأة على الرجل فله وعظها فإن أفاد ذلك فهو أوّل مراتب التأديب ، وإن لم يفد معها فالهجر ، والهجر : هو أن يوليها ظهره فى المضجع ولا يكلمها ويريها غضبه عليها لما قد ارتكبته من عدم طاعته فيما أوجب الله ، فإذا لم يجد هذا ولا ذاك فالضرب . والضرب يكون غير مبرح أى لا يكسر عظما ولا يحدث شيئا ، فإن أطاعت المرأة فليس للرجل شىء من الضرب ولا الهجر ، فإن اعتدى فإن الله — تعالى — ينصر المظلومين ﴿ إن الله كان عليّا كبيرا ﴾ أى لا أحد أعلى ولا أكبر ولا أقوى منه — سبحانه وتعالى — ولا أقدر منه فى الانتقام من الظلمة المعتدين وخاصة على النساء الضعاف اللاتى لسن شيئا فى جانب الرجل ، فسبحان الحكم العدل الذى لاتخفى عليه خافية المنصف المظلوم من ظالمه .

قد سبق فى بحثنا فى ظلم العبد لغيره ما فيه الكفاية عن الإعادة أو الزيادة ، ومعلوم أن رعاية الرجل فى بيته هو للزوجة وللأولاد والمماليك أو من كان فى حكمهم وقد بينا ذلك فى موضعه ، والمقصود هنا أن الرجل إذا حصل منه حيف أو جور على من يعول فإنه يحصل مضار أثر ذلك ، فما كان فى جانب الزوجة قد

يوءدى الى خراب البيت من الشقاق والذى قد تكون العقبى الطلاق والفراق وتشتيت شمل الأبناء وحصول مالا تحمد عقباه سواء للزوج أو الزوجة أو الأطفال ، والمسئول هو الزوج عن هذا كله .

**والأولاد** : هم فلذة الأكباد فلا ميزة لأحد على الآخر لا فى التودد ولا فى العطيّة ، فاذا حصل انصراف لأحد منهم على الآخر ، أدّى ذلك الى البغض والشحناء بين الأخوة لما يرونه من تفضيل أحدهم على الآخر .

**والمماليك** : إذا كلفوا مالا يطيقون ، أو عوملوا بالشدة والقسوة من الضرب والعري والجوع تغير الأمر ، وأدّى ذلك بالمملوك إلى ارتكاب المحظور من السرقة وما شابهها أو من الهرب ، أو الاعتداء على السيد أو ماله ، والعبث فى ذلك واهماله وضياعه .

## " رعـاية المرأة لأسرتها وأثر الظلم في ذلك "

**قال الله تعالى :**

﴿ فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ﴾ .(١)

قال السعدى :

( ﴿ فالصالحات قانتات ﴾ : أى مطيعـات لله — تعالى — ،

﴿ حافظات للغيب ﴾ : أى مطيعات لأزواجهن حتى فى الغيـب ،

تحفظ بعلهـا بنفسها ، وماله وذلك بحفظ الله لهن ، وتوفيقه لهن ،

لا من أنفسهن ، فإن النفس أمّارة بالسوء ولكن من توكّل عـلى اللـه

كفـاه ما أهمّه من أمر دينه ودنياه ) .(٢)

إنهـا المرأة المسلمة التى عـرفت حق الله عـليها فقامت بذلك ،

وبهذه المعرفـة الحقـة قامت بواجـب زوجهـا فحفظته فى نفسهـا

وماله ، فمال زوجهـا من الأمانات التى استرعـاها الله ذلك وكذلـك

ولده فهى الأم المربية لهم المقوّمة لأخلاقهم ، فإذا كان الرجل هو

الساعـى عليهم فى الخـارج فى البحـث عـن قوتهم وما يصلـح

شأنهم ، فكذا الأم هى الساعية عـليهم فى الداخـل فى مايصلحهم

ويجعلهم نشأ طيبا ينفـع نفسه وينفـع غـيره .

فالأم لهـا تأثير عـلى الأبناء وكذا الأب وذلك فى طريقتهـم

ومسلكهم فى حياتهم .

---

(١) سورة النساء : آية (٣٤) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ج ٢ ص ٦١ المؤسسة السعيدية بالرياض .

فعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " مامن مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسّون فيها من جدعاء ؟ " (١) قال أبو هريرة : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ﴾ الآية .

فالأم لها دورها الفعّال على الأبناء فى تربيتهم التربية الاسلامية الصحيحة ، ومنهجهم القويم ، فهي الراعية لهم فى البيت ، والبيت أوّل محاضن التربية وأكثرها أهمية ، فإذا وجد الأولاد من يثبتهم على الفطرة ويبيّن لهم الطريق الذى لاعوج له بقوا على ذلك واستقاموا عليه ، وإذا كان الأبوان وخاصة الأم على خلاف الفطرة أثّر على سلوك الأبناء ومنهجهم وتبعهم الأبناء إلا أن يشاء الله .

والمرأة لها دورها على المماليك الذين هم تحت رعاية الأسرة ، وتوجيههم الى ما يصلحهم فى دينهم ودنياهم ، وخدمتهم الجادة واخلاصهم فى أعمالهم .

فاذا كانت المرأة منحرفة ومسيئة فى معاملتها مع زوجها أو أولادها أو مماليكهم إن وجدوا . تغيّرت الأحوال ، وحصلت الفوضى ، وأظلمت الدنيا فى وجه الرجل وكذا الأولاد والمماليك ، وكانت العاقبة وخيمة على جميع الأطراف الا أن تدرك الأمور بالاصلاح

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الجنائز حديث ١٣٥٨ ، وله
===

ويجـرى كل شىء عـلى مجـراه الطبيعى أو تغّير عـتبة الباب إذا يئس الرجل ورأى أن لا فائدة تحصل من وراء ذلك ، وهـذا كلـه فى سبيل رعـاية البيت ومن فيه ومن ترك شيئا لله عـوّضه اللـه خـيرا منه .

---

=== أطراف ١٣٥٩ ، ١٣٨٥ ، ٤٧٧٥ ، ٦٥٩٩ ، ورواه مسلم كتاب القـدر ٢٢ ــ ٢٥ ، والترمذى كتاب القدر ٥ ، وأبوداود كتاب السنّة ١٧ ، ومالك فى الموطأ كتاب الجنائز ٥٢ ، وأحمد فـى المسند ٢/٢٣٣ ، ٢٥٣ ...

## " رعاية العبد على مال سيده "

عن ابن عمر — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " العبد إذا نصح سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين " .[١]

العبد — المملوك — هو العامل فى مال سيده سواء فى التجارة أو الزراعة أو الخدمة فى البيت ، وهو راع على ذلك فإذا نصح لسيده فى ذلك وخاصة من الحق والنصيحة والطاعة والخدمة ، وأقام عبادة ربه على ما جاء به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن ربه — عز وجل — فالله يضاعف أعماله وهذا ما أخبر به الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث .

قال ابن حجر :

( فى ذكر رعاية الامام والرجل والمرأة والخادم فى حديث الرسول — صلى الله عليه وسلم — . قال الخطابى : " اشتركوا — أى الامام والرجل. ومن ذكر فى التسمية أى فى الوصف بالراعى ومعانيهم مختلفة ، فرعاية الامام الأعظم حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل فى الحكم ، ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم ، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج فى كل ذلك ، ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته "[٢] ) .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب العتق حديث ٢٥٤٦ .

(٢) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ١١٣ .

فالعبد يلزمه حفظ مال سيده ، ولا يعمل إلا بإذنه ، ولا يخون فإنه مسئول ومحاسب عن ذلك أمام الله ـ جل وعلا ـ . فهذا أمانة فى عنقه ، لذا كانت المضاعفة فى الأجر إذا نصح لسيده وأحسن عبادة ربه ، فقد قام بواجبين ، واجب الله ـ تعالى ـ المفروض عليه ، وواجب سيده الذى يملكه فأحسن فى ذلك .

فاذا لم يقم العبد بما أوجب الله عليه تلقاء سيده والنصح له فى عمله أو خان فيما قد كلف به من تجارة أو زراعة أو خدمة فى البيت نتج مضار من جراء ذلك تلحق بالسيد من كساد تجارة ، أو خراب زراعة أو ترد فى خدمة البيت ، وهذا الاهمال الذى ظلم فيه العبد نفسه وألحق الضرر بسيده ، تلحق عواقبه الوخيمة به نفسه ، فكما أنه إذا أحسن عبادة ربه ـ تعالى ـ ، ونصح لسيده ، ضاعف الله له أجره مرتين ، فكذا اذا كان بضد ذلك كان عليه الوزر مرتين ، حيال ربه ، وتجاه سيده ، لأن من خان سيده ، لم يكن لديه الوازع الدينى الذى يجعله ينصح فى عمله ، فلا تجتمع طاعة الله والخوف منه فى قلب رجل ، ثم ينتج من وراء ذلك خيانة للعباد .

هذا ماكان من رعاية للعبد " المملوك " وما ينجم عن تقصيره فى رعايته لمال سيده .

قال ابن حجر :

( ولابن عدى بسند صحيح عن أنس " أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أو ضيّعه " .(١)

---

(١) فتح البارى : ج ١٣ ص ١١٣ .

عن الحسن قال : " أن عبيد الله بن زياد عاد معقل بن يسار في مرضه الذي مات فيه فقال له معقل : إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سمعت النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول : " مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة ". (١)

مما مر معنا تبين لنا أهمية مسئولية الرعاة وما قد ولّوا ، وعاقبة من جار منهم لرعيته ولم يف في تأدية ما أوجب الله — تعالى — عليه ، وما يحصل من مفاسد من جراء الإهمال في الواجب والجور في ذلك وسوء عاقبة وجزاء في الآخرة ، وحسب الظلمة الجائرين والذين لم يحيطوا رعيتهم بالنصح والعدل حرمانهم حتى من رائحة الجنة كما بينه الرسول — صلى الله عليه وسلم — .

عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " من حمل علينا السلاح فليس منّا ، ومن غشنا فليس منّا." (٢). يعني ليس على هدى الرسول — صلى الله عليه وسلم — والمنهاج الصحيح الذي عليه المسلمون الملتزمون بالشرع الحكيم .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الاحكام حديث ٧١٥٠ ، ومسلم : إيمان ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، وأمارة باب ٢٠١ حديث ١٨٣٠ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الايمان حديث ١٠١ ، وأبو داود كتاب البيوع ٥٠ ، والترمذي كتاب البيوع ٧٢ ، وابن ماجه كتاب التجارات ٣٦ ، والدارمي كتاب البيوع ١٠ ، وأحمد في المسند ٢/٥٠ ، ٢٤٢ ، ٤١٧ ، ٣/٤٦٦ ، ٤/٤٥ .

# المبحث الثالث

## أثر الظلم في نكبة المسلمين وتسلط الكافرين .

## ١ — "الميل عن دين الله — تعالى —"

إن أروع مثل مشرق يضربه لنا التاريخ هو الدولة الاسلامية التى أسسها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى المدينة المنورة ، ثم كيف انبثق نور الاسلام من تلك المنطقة وأخذ ينتشر شيئا فشيئا حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا قال الله تعالى ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّابا ﴾(١) .

ثم كيف عمّ المعمورة فى شمالها وجنوبها وشرقها وغربها على أيدى خلفائه الراشدين ، وصحابته الكرام الذين لم يركنوا إلى الدنيا وزخرفها ، ولم يكونوا يريدون الا نشر هذا الدين ، والموت فى سبيل الله شهداء ، وحقق الله لهم ذلك — رضى الله عنهم — اجمعين .

قال تعالى : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا ﴾(٢) . وقد خلفهم على ذلك رجال نهجوا نهجهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ولكن عندما طال الأمد وقست القلوب ومالت إلى الدنيا وحطامها ، اختلفت الكلمة ، وتفرق شتات الأمة ، وأصبحت الدولة الاسلامية دويلات صغيرة ، يلعب بها أعداء الاسلام ويغرون بعضهم على بعض حتى حصلت بينهم العداوة والبغضاء ، وأخذ بعضهم

---

(١) سورة النصر .

(٢) سورة الاحزاب : آية (٢٣) .

يستعين بأعداء الاسلام على الآخر ، فسلّط الله عليهم أعداءهم وهذا مصداق قول الله تعالى : ﴿ إن الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾ (١) .

فلقد حلّ بالمسلمين ما نرى اليوم من تفرّق في الوحدة وفي الرئاسة حتى أصبح اليوم ممالك وجمهوريات وامارات وسلطنات ، وهذا بسبب تبديل نعمة الله ، وتغيير ما كانوا عليه من الحق الذى كان به جمع الكلمة ووحدة الصف ، وقد وقع عقاب الله ـ تعالى ذكره ـ فقال تعالى : ﴿ ومن يبدّل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب ﴾ (٢) .

فما يحصل اليوم من أعداء الاسلام على بعض الدول المسلمة وما يسومونهم به من سوء العذاب هو بسبب تبديل نعمة الله ـ تعالى ـ وأيّ نعمة أعظم من الاسلام الذى كله أمن وسلام ، فاذا نكص المسلمون عن الاسلام وأهملوا أوامر الرب ـ تبارك وتعالى ـ ووقعوا في محارمه سلط الله عليهم اعداءهم .

قال الدكتور على عبد الحليم محمود :

( كان العالم الاسلامى فى تلك الآونة ـ فترة الصليبية التى شنتها أوروبا على الشرق الاسلامى ـ يعيش ظروفا أبسط ما توصف

---

(١) سورة الرعد : اية (١١) .

(٢) سورة البقرة : آية (٢١١) .

بها أنها ظروف اضطراب أدّى إليه الإنقسام والفرقة التى كانت واضحة لكل ذى عين .

وإذا كان الأصل فى العالم الاسلامى أن يكون أمة واحدة وقيادة واحدة فإنه كان فى تلك الآونة بالذات أكثر ما يكون انقساما فى القيادة وفرقة فى الاتجاه .

فالخلافة العباسية فى بغداد تقلّص نفوذها ، وطمع فيها قوّادها وأمراؤها بل استبدوا بها حتى أصبح الخليفة صورة لا حقيقة ، وأصبحت الخلافة شكلا ولا جوهرا .

ولقد استمرت الخلافة العباسية مظهرا لوحدة المسلمين وقوتهم أكثر من قرنين من الزمان ، بلغ فيها المسلمون فى السياسة شأوا بعيدا ، ثم بدأ الضعف يدب فى الخلافة فتقسمت دولتها دولاً صغيرة .) (١) اهـ

هذا كله بسبب ترك ماكان عليه السلف الصالح من أمر الله ـ تعالى ـ وأمر رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والانغماس فى ملهيات الدنيا وتقديم الرئاسة وما يحققها .

قال تعالى : ﴿ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرّتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ (٢) .

---

(١) الغزو الصليبى والعالم الاسلامى ص ١٥٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية (٥١) .

وقال تعالى : ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك فى ضلال بعيد ﴾ (١) .

يقول الشهيد عبد القادر عودة :

( ولقد جهل أكثر المسلمين الاسلام حتى بعدوا عن حقائق الاسلام وأحكامه ، وبعد المسلمون عامة عن الاسلام وهجروا أحكامه حتى خرجوا على الاسلام وهدموا معالم الاسلام . وإن شئنا أن نعرف إلى أى حدّ بعدنا عن الاسلام فلقد رأينا فيما سبق كثيرا من أحكام المسلمين فلننظر أين نحن من هذه الأحكام ؟

إن الاسلام يجعل من المسلمين وحدة سياسية واحدة ، ولقد كوّن المسلمون هذه الوحدة وحرصوا عليها من يوم أن تجمّع المسلمون فى المدينة ، وظلّت هذه الوحدة تتسع وتقوى حتى بلغت من المنعة والقوة مالم تبلغه أيّة وحدة سياسية أخرى قبلها ، ثم أخذ المسلمون بعد ذلك يستجيبون للأهواء والمطامع ، ويفتنهم عن دينهم الحكم والسلطان ، وتحركهم المنافع الشخصية والعصبيات القبلية ، فانقضّوا على هذه الوحدة المقدسة التى صنعها الله وأمر بالمحافظة عليها فمزقوها شر ممزق وقطعوها أمارات وسلطنات وممالك وجمهوريات باسم الاسلام وباسم الاستقلال فى ظاهر الأمر ، وباسم الاستقلال وباسم الاستعلاء وباسم العصبيات فى حقيقته ، وما فعلوا إلا أن مزقوا قوتهم ومنعتهم ، وأضعفوا ملكهم وسلطانهم ، وهيؤوا لأعداء الاسلام أن ينالوا من الاسلام ، وأن يضعوا أيديهم على هذه الامارات

---

(١) سورة ابراهيم : آية (٣) .

والسلطنات والممالك والجمهوريات باسم الاحتلال وباسم الحماية وباسم الانتداب وباسم التحالف وبغير ذلك من الأسماء التى يستظل بها الاستعباد ويستتر فيها الاستعمار ويستعان بها على إذلال الشعوب واخضاع الأمم .

ويوم كان للمسلمين دولة واحدة كانت دول الأرض جميعا تخافهم وترجوهم وتتودد إليهم وتتهافت عليهم ، وكانت كلمة هذه الدولة الواحدة هى الكلمة العليا فى السياسة الدولية ، بل كانت سياستها هى السياسة العالمية ، أما اليوم ودولة الاسلام بضع عشرة دولة عدا الامارات والسلطنات فقد خفت صوت الاسلام والمسلمين ، وأصبح المسلمون سخرية أهل الأرض وأهونهم على الناس ، وأضيعهم فى ميدان السياسة الدولية وما نفعتهم هذه الدول المتعددة شيئا وما حفظت لهم حقا ولا ردت عنهم حيفا ، وما كانت إلا ذيلا لغيرها من الدول تستتبع فتتبع ، ويشار إليها فتخضع .) [1] اهـ

قال الاسعردى وهو يبين حال المسلمين وتفريطهم فى أوامر الله فعدد ما حل بالدولة الاسلامية حتى قال : ( وكذلك الشام كان أهله فى أول الاسلام فى سعادة الدنيا والدين ثم جرت فتن وخرج الملك من أيديهم ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل وفتحوا البناء الذى كان عليه وجعلوه كنيسة ، ثم صلح دينهم فأعزهم الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم . وكذلك أهل

---

(١) الاسلام وأوضاعنا السياسية ص ٢٨٣ — ٢٨٥ .

الأندلس كانوا رقوداً فى ظلال الأمن وخفض العيش والدعة فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فاشتغلوا بمعاصى الله — تعالى — وأكبّوا على لهوهم ولم يتقوا موقع سخط ربهم ومقته ففعل بهم مالا يحصره قلم كاتب . ولا يحصيه حساب حاسب . بتسليط عدوهم عليهم حتى مزّقهم الله كل ممزّق وفرّقهم أيادى سبأ وارتد بعضهم على عقبيه ركونا الى الدنيا الفانية والحظوظ العاجلة ، ومن قرأ تاريخهم علم ما كان القوم عليه ، وما صاروا إليه وفى التاريخ أكبر عبرة لمن اعتبر .) [1] اهـ

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

( أمور الناس تستقيم فى الدنيا مع العدل الذى فيه الاشتراك فى أنواع الإثم : أكثر مما تستقيم مع الظلم فى الحقوق وان لم تشترك فى إثم ، ولهذا قيل : ان الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة . ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والاسلام ، وقال النبى — صلى الله عليه وسلم — : " ليس ذنب أسرع عقوبة من البغى وقطيعة الرحم " [2] .) [3]

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية جزء ١ " تحذير أهل الايمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن " ص ١٥١ — ١٥٢ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب صفة القيامة حديث رقم ٢٥١١ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود كتاب الأدب حديث رقم ٤٩٠٢ ، وأحمد في المسند ٥/٣٦ .

(٣) مجموع الفتاوى : ج ٢٨ ص ١٤٦ .

## ٢ - " كفر النعمة وأثرها في نكسة المسلمين "

لقد خلق الله الخلق من أجل عبادته - جل وعز - دون غيره وتكفّل لهم بالأرزاق كما أخبر تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ (١) .

قال ابن كثير :

( ومعنى الآية : أنه تبارك وتعالى - خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب ، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم فهو خالقهم ورازقهم ) . (٢) اهـ

إذا علم هذا وأن الغاية من وجود الخلق هي عبادته ، وأن الأرزاق هي من فضل الله تعالى ومنّته على عباده ، فيلزم كل مكلف أن يعبد الله حق عبادته وأن لا يكفره في نعمته أو غيرها ، فيغير الله عليهم ذلك بفقدانهم لها أو عذابهم على كفرهم كما أخبر تعالى : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيّرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (٣) . وهذا من تمام عدله وقسطه في حكمه ، ولا يغيب عن النفوس ماحل بالأقوام السابقين

---

(١) سورة الذاريات : آية (٥٦ - ٥٨) .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ج ٤ ص ١٣٨ .

(٣) سورة الأنفال : آية (٥٣) .

بكفرهم وبتكذيبهم بآيات ربهم وما قد أنعم به عليهم من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين . وهذا ما جاء تذييلا للآية آنفة الذكر فقال تعالى : ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ﴾ (١) . فما ظلمهم ذو العزة والجلال بل هم الذين بدّلوا نعمة الله كفرا فظلموا أنفسهم حتى حاق بهم العذاب . يقول تعالى : ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ (٢) .

عن عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة أخبره أن عمرو بن عوف وهو حليف بني عامر بن لؤي وكان شهد بدرا مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أخبره أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث أبا عبيدة بن الجراح الى البحرين يأتي بجزيتها وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما صلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين

---

(١) سورة الأنفال : آية (٥٤) .

(٢) سورة النحل : آية (١١٢ — ١١٣) .

رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشئ من البحرين فقالوا : أجل يارسول الله قال : " فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم " (١) .

ففى هذا الحديث الشريف يبين الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ خشيته على أمته من أن تبسط عليهم الدنيا فتهلكهم بتنافسهم وتكاثرهم فيها كما حصل للأمم السابقة ، لأنه من المعلوم أن من ركن إلى الدنيا وكانت أكبر همه غفل عن الجانب الآخر وهو الدين فكان حظه منه قليلا ، أو قد يكون ضياعه بالكلية أقرب إلى ذلك فتحصل النكسة عن دين الله وهذا من الظلم الذى حرمه الله ـ تعالى ـ وبين أن عاقبته الهلاك والدمار .

وعن أبى سنان الدؤلى أنه دخل على عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وعنده نفر من المهاجرين الأولين فأرسل عمر إلى سفط أتى به من قلعة من العراق فكان فيه خاتم فأخذه بعض بنيه فأدخله فى فيه فانتزعه عمر منه ثم بكى عمر ـ رضى الله عنه ـ فقال من عنده : لم تبكى وقد فتح الله لك وأظهرك على عدوك وأقر عينك ؟ فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ : إنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " لاتفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله ـ عز وجل ـ بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وأنا أشفق من ذلك " (٢) .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الزهد حديث ٢٩٦١ ، والبخارى فى صحيحه كتاب الجزية ١ ، وكتاب المغازى ١٢ ، والترمذى كتاب القيامة ٢٨ ، وابن ماجه كتاب الفتن ١٨ .

(٢) رواه أحمد فى المسند ١٦/١ ، واسناده صحيح . أنظر تحقيق : أحمد شاكر لمسند أحمد ٩١/١ حديث ٩٣ .

## ٣ – المداهنة وعدم الانكـــار "

إن من أسباب نكسة المسلمين وتسلط الكافرين تركهم للأمــر بالمعروف والنهى عـن المنكر والذى هو قوام الدين فما من نبي ولا رسول إلا وأمر بتوحيد الله – تعالى – ونهى عـن الإشراك به ، أمـر بما أمر الله به ونهى عـما نهى عـنه ، وكذا الأفـراد والأمم مطالبـة بذلك . يقول تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعـد ما جاء هم البينات وأولئك لهم عـذاب عـظيم ﴾ (١) .

وعـن حذيفـة بن اليمان عـن النبى – صلى الله عـليه وسلم – قال : " والذى نفسى بيده لتأمرنّ بالمعـروف ولتنهونّ عـن المنكـر أو ليوشكنّ الله أن يبعث عـليكم عـقابا منه ثم تدعـونه فلا يستجـاب لكـم " (٢) .

ما أهون الخلق عـلى الله إذا هم ضيّعوا أوامره وارتكبوا نواهيه ولم يكن هناك أمة تنتصب لهذا الأمر ، فأول أمر ربمـا يقـع بهـم هو تسلط أعـدائهم أعـداء هذا الدين عـليهم ، لأنه لا عـزة لأحد ولا رفعـة ولا سوءدد إلا بهذا الدين – دين الاسلام – الذى ارتضاه

---

(١) سورة آل عـمران : آية (١٠٤ – ١٠٥) .

(٢) رواه الترمذى كتاب الفتن حديث ٢١٦٩ ، وقال حديث حسـن ، وأبو داود كتاب الملاحم ٤٣٣٦ ، وأحمد فى المسند ٥/٣٨٨ .

الله لنا دينا كما قال تعالى : ﴿ ان الدين عند الله الاسلام ﴾[1]. ﴿ ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾[2]، ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾[3].

فاذا تركت الأمم الاسلامية هذا الدين والعض عليه ولم يضربوا على أيدى الظلمة الذين خالفوا شرع الله — تعالى — عمّهم الله بعذابه وسلّط عليهم أعداءهم.

وعن قيس بن أبى حازم عن أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — قال : أيها الناس انكم تقرؤون هذه الآية : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ﴿ لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ﴾ وإنّى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : " إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه "[4].

قال الامام الحافظ أبى العلى :

( أى الزموا حفظ أنفسكم عن المعاصى فإذا حفظتم أنفسكم لم يضرّكم إذا عجزتم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ضلال من

---

(١) سورة آل عمران : اية (١٩).

(٢) سورة آل عمران : اية (٨٥).

(٣) سورة المائدة : آية (٣).

(٤) رواه الترمذى كتاب الفتن حديث ٢١٦٨، وقال : حديث صحيح.

ضل بارتكاب المناهى إذا اهتديتم إلى اجتنابها " وإنّى " أى أنكم تقرؤون هذه الآية ، وتجرون على عمومها ، وتمتنعون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وليس كذلك فانّى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : " إن الناس " أى المطيقين لإزالة المنكر مع سلامة العاقبة . " إذا رأوا الظالم " أى علموا ظلمه وفسقه وعصيانه . " فلم يأخذوا عليه " أى لم يكفوه عن الظلم بقول أو فعل . " أوشك " بفتح الهمزة والشين أى قارب أو أسرع . " أن يعمهم الله بعقاب منه " إمّا فى الدنيا أو الآخرة أو فيهما ، لتضييع فرض الله بلا عذر )[1] .

هكذا كانت أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعاقبة السيئة لمن لم يكن على ذلك ، كما أن المداهنة وعدم تنفيذ أحكام الله — تعالى — سبب هلاك من كان قبل كما أخبر — صلى الله عليه وسلم — عن ذلك فيما ترويه عائشة — رضى الله عنها — أن قريشا أهمّهم شأن المرأة[2] المخزومية التى سرقت فقالوا : ومن

---

(١) تحفة الأحوذى : ج ٦ حديث ٢٢٥٧ . دار الفكر .

(٢) المرأة المخزومية : قال العينى : " المرأة التى سرقت هى فاطمة بنت الأسود بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهى بنت أخى أبى سلمة بن عبد الأسد الصحابى الجليل الذى كان زوج أم سلمة قبل النبى — صلى الله عليه وسلم — قتل أبوها كافرا يوم بدر قتله حمزة بن عبد المطلب ووهم من زعم أن له صحبة ، وقيل : هى أم عمرو بنت سفيان بن عبد الأسد وهى بنت عم المذكورة . وفيه نظر " — عمدة القارى شرح صحيح البخارى كتاب الحدود ١٧ مجلد ١٢ جزء ٢٣ ص ٢٧٧ .

يكلّم فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ؟ قالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — . فكلّمه أسامة ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : " أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : " إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .(١)

في هذا الحديث تظهر لنا العدالة الحقة ، وإقامة حدود الله دون أي مجاملة مع أحد ، فلا مكانة لشريف ولا صاحب سلطان ولا منزلة رفيعة تمنعه من إقامة حدود الله عليه إذا هو وقع في ذلك ، وقد بيّنا في المبحث الذي قبل هذا كيف كان موقف الخلفاء الراشدين ومنهجهم في سياستهم مع الناس بهذا يعلم أن ديننا لا يفرق بين أسود ولا أبيض ، ولا بين شريف ، ولا غيره من الناس الا بالتقوى ، الكل من آدم وادم من تراب ، وما أروعه من مثل يضربه الرسول — صلى الله عليه وسلم — ففاطمة ابنته وأقرب الناس إليه ، فهو يقسم أنها لو سرقت لقطع يدها ، هنا تظهر العدالة الصادقة وعدم المجاملة والمداهنة في دين الله — تعالى — ولم تستقر الأرض وتستقم الحياة الا بالعدل ، والغيرة لحدود الله — تعالى — وتمعّر الوجوه لذلك ، ومن هنا جاء الحق وزهق

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الانبياء حديث ٣٤٧٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب الحدود ٨ ، والترمذي كتاب الحدود ٦ .

الباطل إن الباطل كان زهوقا .

قال محمد بن الحسين الآجري :

( من تصفح أمر هذه الأمة من عالم عاقل علم أن أكثرهم والعام منهم تجري أمورهم على سنن أهل الكتابين كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- أو على سنن كسرى وقيصر أو على سنن أهل الجاهلية ، وذلك مثل السلطنة واحكامهم في الأعمال والأمراء وغيرهم ، وأمر المصائب والأفراح والمساكن واللباس والحلية والأكل والشرب والولائم والمراكب والخدم والمجالس والمجالسة . والبيع والشراء والمكاسب من جهات كثيرة ، وأشباه لما ذكرت يطول شرحها ، تجري بينهم على خلاف السنة والكتاب ، وإنما تجري بينهم على سنن من قبل ، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- والله المستعان ) .[1] اهـ

قال محمد حامد الفقي :

( إذا كان هذا في زمان أبي بكر الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ من الهجرة فكيف به لو رأى الناس اليوم ، وما تتابعوا فيه من تقليد اليهود والنصارى والوثنيين ، وكل ملحد زنديق في فسوقهم وتمردهم على الله وكتبه ورسله وسننه وآياته وما جر عليهم ذلك التقليد الأعمى من الانحلال والذلة والصغار وذهاب ريحهم ،

---

(١) الشريعة ص٢٠ للامام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري المتوفى سنة ٣٦٠هـ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

وضياع كل ما خلقه لهم آباؤهم من أسباب القوة والسلطان . ولو أن الناس عقلوا عن ربهم وآمنوا بآياته ونعمه ورحمته وحكمته ، وآمنوا بما أكرمهم به ربهم من الانسانية العاقلة ، وما أعطاهم من هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وما حفظ لهم من هدى مختاره ومصطفاه إمام المهتدين عبد الله ورسوله ( محمد ) — لو أنهم عقلوا وآمنوا بهذا لانتفعوا بهدى الله ، ولنفخ الله فيهم من روح العزة والقوة ، ولمكّن الله دينهم الذى ارتضى لهم ولبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، كما أعطى المسلمين الأوّلين ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون ، فهم فى تقليدهم الأعمى يتخبطون ، وفى ضلالهم يعمهون ، ويجرون فى كل شىء حياتهم ذيولا للفرنجة أعدائهم ، فلا ينالون منهم إلا كل ظلم وبغى واستعباد ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ) .(١)

---

(١) الشريعة ص ٢٠ للامام الآجرى . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

# الخاتمة

## " الخاتمة "

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على أفضل وأشرف المخلوقات نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

**أمّا بعد :**

فلقد بحثت موضوع الظلم الذى بسببه يحصل الندم والخسارة ، وبالسلامة منه يحصل الفوز والنجاح • فتوصلت الى :

١ ) رحمة الله — تعالى — وتنزهه عن الظلم وتحريمه ذلك على عباده وجعله بينهم محرما وعدله — تعالى — بينهم فيما يرتكبون ويقعون فيه من مخالفات • ومن هنا يتبين لنا :—

أ — مظاهر عدله — تعالى — وشواهده من كمال نزاهته — عز وجل — عن الظلم ونجاة المتقين والنكال بالظالمين وامهال الظالمين الى يوم القيامة بحضور رسلهم وكتب أعمالهم والحفظة عليهم من الملائكة •

ب — طرق التخلص من الظلم بالذكر والاستغفار وكف النفس عن الظلم والتوبة •

جـ — عقوبته — تعالى — للظلمة جزاء على ما ارتكبوه ممّا قد نهاهم عنه في الحياة الدنيا •

٢ ) شرع الله الحكيم وحمايته للأفراد والمجتمعات الاسلامية وذلك ب :—

أ — تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم •

ب — تحريم الظلم ووجوب رد المظالم .

جـ — نصرة المظلوم واجابة دعوته .

٣) بيان أنواع الظلم وأنّه ينقسم الى قسمين :

أ — **ظلم العبد لنفسه :**

وأعظمه اشراكه بالله — تعالى — والمولى — عز وجل — حذّر من ذلك وأنّ هذا الظلم لايقبل معه عمل أبدا .

قال تعالى :

﴿ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ ان الله لايغفر أن يشرك بن ويغفر ما دون ذلم لمن يشاء ﴾ .

ثم ظلم العبد لنفسه بما دون الشرك من كبائر الذنوب وصغائرها .

ب — **ظلم العبد لغيره :**

وذلك بالوقوع في حقوق الآخرين من عرض

أو مال أو دم . وأن هـذا لايسقط بالتوبة مثل النـوع الأول الذى يكفى التخلص منه بالتوبة وهنا لابد من التحلل أو رد المظالم ، ويدخل فى ظلم الغير ظلم الحيوان فقد حرمت الشريعة ذلك .

٤) عواقب الظلم الوخيمة وأثره السيء على الأفراد والمجتمعات وذلك بعقاب الله ـ تعالى ـ لهم فى الدنيا .

أ ـ فقد أهلك ـ سبحانه وتعالى ـ الظلمة من قوم نوح بالطوفان وفرعون وقومه بالغرق والظلمة من قوم لوط جعل الله عليهم الأرض عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود وثمود قوم صالح ومدين قوم شعيب أخذتهم الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين وللظالمين أمثال ذلك .

ب ـ **جور الحكام** وانعكاس ذلك عليهم بزوال الملك والسلطان وسوء العاقبة وعذاب الله ـ تعالى ـ لهم وسخطه عليهم ، وأثر ظلمهم وجورهم على الرعية ، ونتائج الظلم من الرعاة الذين ذكرهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحديث : " ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الأعظم الذى على الناس راع وهو مسئول

عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " (١) .

**فرعاية الامام :**

حياطة الشريعة باقامة الحدود والعدل فى الحكم .

**ورعاية الرجل أهله :**

سياسته لأمرهم وايصاله حقوقهم .

**ورعاية المرأة :**

تدبير أمر البيت والأولاد والخدم والنصيحة للزوج فى كل ذلك .

**ورعاية الخادم :**

حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته .

فالتقصير فى هذه الرعاية من الاهمال وضياع الحقوق ظلم يستحق العقاب عليه .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه كتاب الأحكام حديث ٧١٣٨ ، ورواه مسلم فى صحيحه كتاب الامارة ٢٠ ، وأبو داود كتاب الامارة ١ ، والترمذى كتاب الجهاد ٢٧ ، وأحمد فى المسند ٢/٥ ، ٥٤ .

جـ **نكسة المسلمين** : كانت بسبب اهمالهم فى دينهم وتشتتهم واختلاف كلمتهم وانقسامهم الى دويلات من أجل الركون الى الدنيا والميل الى حب الرئاسة وكان فى ذلك ظلم للنفس ومدعاة لتسلط الكافرين واستباحتهم لبيضة المسلمين .

**هذا** ولقد كان لكل موضوع تفصيل من كلام الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى موضعه من هذه الرسالة ما أرجو الله أن ينفع به المسلمين حكاما ومحكومين . وأن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم وأن لا يجعل لأحد فيه شيئا فانه نعم المولى ونعم النصير والحمد لله أولا وآخرا . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

# المراجع

## فهرس المراجع

* * القرآن الكريم .

( أ )

* * أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن :
محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى
المتوفي فى ١٧/١٢/١٣٩٣ هـ .
طبعة سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

* * اقتضاء الصراط المستقيم :
لشيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -
( ٦٦١ هـ - ٧٢٨ هـ )
الناشر : أنصار السنة المحمدية - لاهور .

* * اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان :
أبي عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم
الجوزية ( ٦٩١ هـ - ٧٥١ هـ )
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت / لبنان .

* * اثبات عذاب القبر :
تأليف : الامام أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى
( ٣٨٤ هـ - ٤٥٨ هـ ) تحقيق الدكتور شرف محمود
القضاة - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية .
دار الفرقان - عمان .

* * الاسلام وأوضاعنا السياسية :
الشهيد عبد القادر عودة
مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ( ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) .

* * الاصابة في تمييز الصحابة :
تأليف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بـــن
حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢ هـ .
الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م .
الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية ـ الأزهر ـ القاهرة .

* * الأحكام السلطانية والولايات الدينية :
أبى الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى
الماوردى ( ٤٥٠ ) هـ
دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

* * أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها :
عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى .
الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م . دار القلم دمشق . بيروت.

* * أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد :
سعيد الخورى الشرتونى اللبناني .
مطبعة مرسلي اليسوعية ـ بيروت .

(ب)

* * البداية والنهاية :
لأبي الفداء ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .
دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان . ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .

( ت )

* * تفسير القرآن العظيم :

للامام الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ .

دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م .

* * تفسير القرآن الكريم : ( الشهير بتفسير المنار ) :

محمد رشيد رضا ـ الطبعة الثالثة ـ أصدرتها دار المنار ١٤ شارع الانشا ١٣٦٧ هـ .

* * تفسير المراغى :

أحمد مصطفى المراغى ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

* * تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب :

للامام محمد الرازى فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى . نفع الله به المسلمين :

٥٤٤ هـ ـ ٦٠٤ هـ .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

* * تفسير أبي السعود والمسمى : ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم

أبي السعود محمد بن محمد العماد المتوفى سنة ٩٥١هـ

دار احياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .

* * تفسير البغوى المسمى ( معالم التنزيل ) :

للامام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى

الشافعي المتوفى سنة ٥١٦ هـ .
دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

* * تفسير النسفي :
أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي .
دار احياء الكتب العربية . عيسى البابي الحلبي وشركاه .

* * تاج التفاسير :
محمد عثمان بن أبي بكر بن عبد الله الميرغني :
دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت ـ لبنان .

* * تفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل " :
لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الشهير بالخازن المتوفى سنة ٧٢٥ هـ
الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م . ملتزم الطبع
والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

* * تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :
للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي . المتوفي
في ٢٣/٦/١٣٧٦هـ .
ملتزم الطبع والنشر : المؤسسة السعيدية بالرياض .

* * التفسير الواضح :
محمد محمود حجازي .
الطبعة الخامسة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م . مطبعة الاستقلال
الكبرى بالقاهرة

* * تفسير القاسمى المسمى ( محاسن التأويل ) :

تأليف : محمد جمال الدين القاسمي .

دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

* * التفسير القيم للامام ابن القيم ( ٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ) :

دار العلوم الحديثة ـ بيروت ـ لبنان .

* * تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى :

للامام الحافظ أبى العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم

المباركفورى ( ١٢٨٣ ـ ١٣٥٣ هـ )

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

* * تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد :

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ـ

المتوفى سنة ١٢٣٣ هـ .

الطبعة الرابعة / ١٤٠٠هـ المكتب الاسلامى لصاحبه

زهير الشاويش .

* * التوضيح والبيان لشجرة الايمان :

عبد الرحمن بن ناصر السعدى المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

ويليه مختصر شعب الايمان للبيهقي ( ٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ )

اختصار الشيخ أبى جعفر القزويني المتوفىسنة ٦٩٩هـ

طبع عام ١٤٠٥هـ على نفقة بعض المحسنين . مطابع

الاشعاع / الرياض .

* * تحفة الاخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران :
للشيخ حمود بن عبد الله التويجرى .
الطبعة الأولى ـ موءسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض.

* * تحكيم القوانين :
لسماحة مفتى الديار السعودية / محمد بن ابراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ .
دار الثقافة بمكة ـ غرة رجب سنة ١٣٨٠هـ .

* * التخويف من النار والتعريف بحال البوار :
لأبي الفرج عبد الرحمن بن رجب البغدادى الدمشقي .
الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ مطبعة الامام .

* * تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي :
الدكتور حسن ابراهيم حسن .
الطبعة السابعة ١٩٦٤م . مكتبة النهضة المصريـــــة .

* * تاريخ الخلفاء :
تصنيف الحافظ جلال الدين السيوطي .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ـ لبنان .

* * تقريب التهذيب :
لأحمد بن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢هـ) .
دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت ـ لبنان .

* * تاج العروس :

محمد مرتضى الزبيدى .

منشورات مكتبة الحياة . بيروت - لبنان .

* * ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة :

الطاهر أحمد الزاوى .

دار الكتب العلمية - بيروت .

( ج )

* * جامع البيان عن تأويل آى القرآن :

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفي سنة ٣١٠هـ .

الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى

البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الثالثة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م .

* * الجامع لأحكام القرآن :

لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى .

دار الشعب ٩٢ شارع قصر العيني / القاهرة .

* * جواهر الحسان في تفسير القرآن :

للثعالبى . منشورات موئسسة الأعلى للمطبوعات -

بيروت - لبنان .

* * الجامع الصحيح :

لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى .

هـ
( ١٩٤ - ٢٥٦ )

* * الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى :
لأبي عيسى بن سورة ( ٢٠٩ - ٢٩٧ هـ )
دار احياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان .

* * الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي :
لابن قيم الجوزية ( ٦٩١ - ٧٥١ هـ ) .
دار الندوة الجديدة ـ بيروت .

* * جامع العلوم والحكم فى شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم :
تأليف : زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن
شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادى ـ من
علماء القرن الثامن الهجرى .
دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان .

( ح )

* * حد الاسلام وحقيقة الايمان :
الطبعة الأولى / الكتاب السابع والعشرون من احياء
التراث الاسلامى .
مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى .

( خ )

* * خصائص التصور الاسلامي ومقوماته :
سيد قطب .
دار الشروق ـ بيروت ـ الطبعة الشرعية السابعة
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

( د )

* * الدر المنثور في التفسير المأثور :
للامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي .
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

* * الدر النضيد على أبواب التوحيد :
تأليف : الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان ـ
رحمه الله تعالى ـ .
المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة .

* * دعوة التوحيد :
الدكتور محمد خليل هراس .
دار الكتب العلمية . بيروت ـ لبنان ـ الطبعة
الأولى . ١٤٠٦هـ .

* * الدرر السنية في الأجوبة النجدية :
جمع عبد الرحمن بن قاسم .
الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م .

( ر )

* * روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني :
للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي
البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ .
دار الفكر ـ بيروت . طبعة جديدة مصححة ومنقحة
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .

* * رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين :

للنووى ـ المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

طبع المطبعة اليوسفية بمصر .

( ز )

* * زاد المسير في علم التفسير :

للامام أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى القرشى البغدادى

المكتب الاسلامي للطباعة والنشر . الطبعة الأولى .

* * الزواجر عن اقتراف الكبائر :

تأليف : أبى العباس أحمد بن محمد بن على بن حجر

المكي الهيثمى ( ٩٠٩ - ٩٧٤ ) هـ .

شركة ومطبعة مصطفى الحلبى وأولاده بمصر ( الطبعة

الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م .

( س )

* * سنن أبي داود :

للامام الحافظ المصنّف المتقن أبى داود سليمان ابن

الأشعث السجستاني . المولود فى سنة ٢٠٢ هـ .

والمتوفي بالبصرة فى شوال فى سنة ٢٧٥ هـ .

نشرته دار احياء السنة النبوية .

* * سنن الدارمى :

وهو الامام الكبير أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن

ابن الفضل بن بهرام الدارمى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ.

نشرته دار احياء السنة النبوية .

* * سنن النسائي : بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الامام السندى :

دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

* * سنن ابن ماجه :

الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٧ - ٢٧٥) هـ . تحقيق وتعليق : محمد فؤاد عبد الباقي .

* * سلسلة الأحاديث الصحيحة :

محمد ناصر الدين الألباني .

منشورات المكتب الاسلامي .

* * السيرة النبوية :

لأبي محمد عبد الملك بن هشام .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / القاهرة .

( ش )

* * شرح العقيدة الطحاوية :

للعلامة ابن أبي العز الحنفي . حققها وراجعها : جماعة من العلماء ، وخرج أحاديثها محمد ناصرالدين الألباني .

المكتب الاسلامي .

* * الشريعــــــة :

للامام أبى بكر محمد بن حسين الآجرى . المتوفــــي سنة ٣٦٠ هـ .

دار الكتب العلمية - بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(ص)

* * صحيح مسلم :

للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيــــــرى النيسابورى ( ٢٠٦ - ٢٦١ )هـ .

دار الفكر - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

* * صحيح الجامع الصغير وزياداته " الفتح الكبير " :

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .

تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى .

منشورات المكتب الاسلامى .

* * صحيح مسلم بشرح النووى :

محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ .

دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان .

* * الصحـــــاح :

اسماعيل بن حماد الجوهرى .

دار العلم للملايين .

( ع )

* * عمدة القارى شرح صحيح البخارى :

بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد المعروف بالبدر العينى ـ المتوفي سنة ٨٥٥ هـ .

دار الفكر .

* * عون المعبود شرح سنن أبي داود :

للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ـ لبنان .

* * العقيدة الواسطية :

لشيخ الاسلام ابن تيمية . تقديم : مصطفي العالم .

دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ـ لبنان .

( غ )

* * الغزو الصليبي والعالم الاسلامي :

أستاذ الأدب المشارك بكلية اللغة العربية . جامعة الامام محمد بن سعود .

الناشر / دار الطباعة والنشر .

( ف )

* * في ظلال القرآن :

سيد قطب .

دار الشروق . الطبعة الشرعية ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

* * فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية فى علم التفسير :

محمد على الشوكاني ـ المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

* * فتح البيان في مقاصد القرآن :

صديق بن حسن بن على البخارى القنوجى .

مطبعة العاصمة . شارع الفلكى . القاهرة أكتوبر ١٩٦٥م .

* * فتح البارى شرح صحيح البخارى :

أحمد بن على بن حجر العسقلاني ( ٧٧٣ - ٨٥٢ هـ )

دار المعرفـــة .

* * الفتح الرباني لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى :

تأليف / أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتى .

دار احياء التراث العربي . بيروت ـ لبنان .

* * فتح المجيد شرح كتاب التوحيد :

تصحيح وتعليق : سماحة الشيخ عبد العزيز بــــن

عبد الله بن باز .

دار الفكر .

* * فتح المجيد شرح كتاب التوحيد :

تحقيق وتخريج : عبد القادر الارناءوط .

مكتبة دار البيان . دمشق .

( ق )

* * القاموس المحيط :

الفيروز أبادى . دار الجيل .

( ك )

* * كتاب الكبائر :

للامام الحافظ المحدث المحقق الناقد مؤرخ الاسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي التركماني الفارقي الأصل . الدمشقي الشافعي ( ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ ) .

تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة المدرس سابقا بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .

( ل )

* * لسان العرب :

محمد بن مكرم بن منظور .

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر .

( م )

* * منار السبيل في الأضواء على التنزيل :

محمد العثمان القاضى .

رقم الفسح من وزارة الاعلام ٩٧٧ /م في ٢٦ / ٣ / ١٣٩٣ هـ الرياض .

* * المنتخب في تفسير القرآن الكريم :
لجنة القرآن والسنة .
الطبعة السابعة ـ القاهرة . رمضان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

* * المعجم المفهرس لألفاظ القرآن :
وضعه : محمد فؤاد عبد الباقي .
دار الفكر . بيروت .

* * مسند الامام أحمد :
أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى
( ١٦٤ - ٢٤١ ) هـ .

* * الموطأ :
لامام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس .
دار احياء التراث العربي .

* * المستدرك على الصحيحين :
للحافظ الكبير امام المحدثين أبى عبد الله محمد بن
عبد الله المعروف بالحاكم .
دار الكتب العلمية .

* * المسند :
للامام أحمد بن حنبل ( ١٦٤ - ٢٤١ ) هـ
شرحه وصنع فهارسه : أحمد محمد شاكر .
الطبعة الرابعة . دار المعارف بمصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤م.

* * المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى :
( أ . ى . ونسنك وى . ب . منسنج ) .
مطبعة بريل في مدينة ليدن . سنة ١٩٦٥م .

* * المغنى والشرح الكبير :
للامامين : موفق الدين ابن قدامة المتوفى سنة ٦٢٠هـ.
وشمس الدين ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٨٢هـ.
دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع .

* * مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
تصوير الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ .

* * مجموعة التوحيد النجدية :
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦هـ . مطبعة المنار بمصر
على نفقة الامام عبد العزيز آل سعود . وتحتوى على
رسائل لمشائخ الدعوة .

* * مجموعة التوحيد :
وتحتوى على ستة عشر رسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية
ومحمد بن عبد الوهاب . ونخبة من علماء المسلمين .
المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

* * معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول فى التوحيد :
تأليف : الشيخ حافظ بن أحمد حكمى .
المطبعة السلفية ومكتبتها .

* * مذكرة التوحيد :

عبد الرزاق عفيفي .

المكتب الاسلامى .

* * مدارج السالكين :

للامام السلفي العلامة المحقق ابن قيم الجوزيـــــة
( ٦٩١ - ٧٥١ هـ )

دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان .

تحقيق : محمد حامد نقي .

* * مجموعة الرسائل المنيرية :

يشتمل على ١٣ رسالة . ادارة الطباعة المنيرية . دار احياء التراث العربي . بيروت ـ لبنان .

* * المستطرف في كل فن مستظرف : ( بجزأيه ) :

لشهاب الدين محمد الأبشيهي .

دار العلـــــــــم . بيروت ـ لبنان .

* * المعجم الوسيط :

قام باخراجه ابراهيم مصطفي ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد عبد القادر ، ومحمد على النجار .

مطابع دار المعارف

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

* * مشكاة المصابيح :

تأليف : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزى . توفى بعد سنة ( ٧٣٧ هـ ) بزمن طويل .

تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني .

المكتب الاسلامى .

( ن )

* * نظام الحكم فى الاسلام :

تأليف : الدكتور محمد يوسف موسى .

دار الفكر العربى .

( ى )

* * يسألونك في الدين والحياة :

الدكتور / أحمد الشرباصي . الطبعة الثانيـــــة

دار الجيل ١٩٧٧م .

# الفهرس

# فهرس الموضوعـــات

| الموضـــــــوع | رقم الصفحـــة |
|---|---|

| الموضـــــــوع | رقم الصفحـــة |
|---|---|

| الموضـــوع | رقم الصفحـة |
|---|---|

| الموضـــــوع | رقم الصفحـــــة |
|---|---|

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|


...............

...............